حاخامات وجنرالات

الدين والدولة فى اسرائيل



أحمد بهاء الدين شعبان



اهداءات ٢٠٠١

أ/ عبد الرحمن طارق الشرقاوي

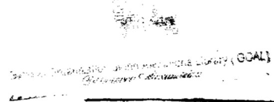
مكتبة سندباد - القاهرة



أحمد بهاء الدين

حاخامات وجنرالات

الدين والدولة في إسرائيل



نوارة
للترجمة والنشر

2

الدين والدولة فى إسرائيل

أحمد بهاء الدين شعبان

ط١ : نوارة للترجمة والنشر - ١٩٩٦

تصميم الغلاف : أحمد بهاء الدين شعبان

المراجعة اللغوية والطباعية : عبد الرحمن الشرقاوي , حسام نايل

الطباعة بمطابع الوادى الجديد : دار السلام - الملأة - ١٧ ش محمد سراج ،
ت: ٣٢٠١٤٧٢

رقم الإيداع: ١٠٨٢٧ / ٩٦

ISBN:977-5730-06

إلـى روح الـشـهـيـد.. الأخ والـرفـيـق

شـفـيـع عـبـد الـغـفـار

الـوطـنـى المـصـرى الـصـعـيـدى "الجـدع"

قـضـى مـن أجـل مـصـر، وفـمـه يـلـهـج بـاسـم فـلـسـطـيـن

وإلـى أشـرف وعـمـر.. الحـاضـر والمـسـتـقـبـل



تـــنـــــويـــــه

يتـوجب على كـاتب هذه الصـفـحات أن يتـوجـه بالشكر الجـزيـل إلى كل الرواد من الأسـاتذة والهيئات التى اقتحمت مجال دراسة بنية تكوين العدو الصهيونى الأيديولوچية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية، بصورة علمية وموضوعية، فى محاولة دؤوبة لاستخلاص أبعاد وطبيعة هذه التركيبة العدوانية والمساهمة بجهد موضوعى فى صياغة سبل مواجهتها.

وفى مقدمة هؤلاء الرواد الأساتذة : «حسن ظاظا» والدكتور «عبد الوهاب المسيرى» وغيرهما من الأساتذة والعلماء على اختلاف مناحى إسهاماتهم، وأيضاً الدكتور «رشاد عبد الله الشامى» الذى مثلت مجموعة دراساته حول البنية الفكرية والسياسية والأيديولوچية الإسرائيلية مرجعاً مهماً وأساسياً لهذا العمل.

أما بالنسبة للدراسات الأجنبية، فلقد استفادت هذه الدراسة من بحث «أيان لوستك» المعنون «الأصولية اليهودية فى إسرائيل»، وهو أبرز ما كُتب وترجم فى هذا السياق؛ لما احتواه من معلومات غزيرة وتحليلات عميقة، ثم يجئ كتاب «دانى روبنشتاين» المعنون بـ «جوش ايمونيم» باعتباره مرجعًا مهمًا ورئيسيًا فى تغطية دور هذه الجماعة العنصرية الأساسى فى سياق الموضوع، كما احتوى كتاب «يوم الله» للكاتب الفرنسى جيل كيبل على فصول مهمة حول صعود الأصوليات الدينية، ومنها اليهودية، فى الفترة الأخيرة، أما الكتاب المعنون بـ «الأصولية اليهودية : العقيدة والقوة» لـ «ديفيد لنداو»، والذى ترجم ونشر عن «مكتبة مدبولى» بالقاهرة، فلقد وقف حائلاً دون الاستفادة منه، بصورة ذات قيمة، رداءة الترجمة وفداحة الأخطاء والإهمال المعيب فى المراجعة، مما جعله - على أهمية موضوعه - مجرد كومة من الورق بلا طائل أو فائدة.

ومن ناحية المؤسسات المعنية بهذا الأمر، فلعل من المناسب هنا التنويه بدور كل من «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» ودور «مركز الدراسات الاستراتيجية» بالأهرام على اهتمامهما المستمر ورفيع المستوى بهذه النوعية من البحوث، كذلك ينبغى التنويه بدور متميز قام به لفترة، قبل أن يتوقف عن العطاء - لسوء الحظ - مركز «الفالوجا» الذى تخصص فى تقديم

ترجمات ودراسات مهمة ومتميزة عن الفكرة الصهيونية بأبعادها الاستراتيجية والأيديولوچية.

كما يتوجب علينا أيضاً أن نحيى الوليد الجديد، فى هذا السياق، وهو التقرير الذى يصدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام، تحت اسم «مختارات إسرائيلية Israeli Digest»، ويرأس تحريره الدكتور عبد العليم محمد؛ لأنه يسد فراغاً معيباً لا يمكن تبريره، فى هذا المجال.

وهناك جهود أخرى مرموقة لدور نشر عديدة (فى مقدمتها دار الجليل بالأردن) نعترف لها بالسبق والتأسيس، نعتذر عن الإشارة إليها، لضيق المجال، دون أن نقلل من قيمتها أو حجم إسهاماتها المشكورة.

ومع كل هذه الجهود المعترف بها، التى تطرقنا إليها أو لم نتطرق، يبقى من الضرورى التأكيد على أن هذا المجال الخطر من مجالات المعرفة الضرورية، بحاجة ماسّة ومستديمة إلى مزيد من الإضاقة والاقتحام والاهتمام، فى كل لحظة وموقع، ذلك أن هذا الأمر موضوع الأمس واليوم والغد بالنسبة لأوطاننا التى تتعرض إلى غزوة صهيونية - استعمارية منظمة، منذ أواخر القرن الماضى وحتى الآن، لم تنقطع حملاتها يوماً وإن اتخذت مسارات عدة، وتزينت بأثواب متباينة.

من الغزو بالاستيطان والقوة الغاشمة الباطشة، إلى الاحتلال بالاقتصاد والهيمنة عن طريق شركات الاحتكار عابرة القارات، متعددة القوميات، تعددت صور الاستغلال وأنماطه وتنوعت أشكال استنزاف الجهد القومى والثروات الوطنية والطاقات الشعبية، لكن يبقى أن المعرفة الموضوعية بالعدو - أياً كان اسمه - شرط لازم للانتصار؛ ومن هنا جاءت الحاجة المستمرة إلى دراسة العدو الإسرائيلى، وهى حاجة لا تنتهى بعقد أية تسوية سياسية مفروضة، لا تحقق العدل ولا تنجز غايات الأمة ولا تضمن مصالح الوطن الاستراتيجية أو تحمى أمنه القومى.

(المؤلف)

تقـــديـــم

للكاتب الفلسطيني الأستاذ / عبد القادر ياسين

مع انحطاط الظاهرة القومية فى أوروبا، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، ولدت الفكرة الصهيونية؛ لذا حملت هذه الفكرة الملامح البشعة للقومية فى أحط صورها، بعد أن نجحت القوى الظلامية الأوروبية فى أن تجهض النهوض القومى فى القارة، ومن هنا جاء الطابع الفاشى للصهيونية.

في السياق نفسه، كان طبيعياً أن تتكئ الحركة الصهيونية علي الدين اليهودي، ما دام اليهود مادتها البشرية؛ حيث يتيح هذا الدين للقائمين على الحركة الصهيونية مجالا رحباً لتضليل جموع اليهود، وحشدهم وراء الفكر الصهيونى.

لذا فلا مفارقة بين إلحاد جُل القادة المؤسسين للحركة الصهيونية وبين الدين الذى تسربلت به الحركة؛ الذى لم يكن أكثر من ثمرة للضرورة، ودليلاً أكيداً على مدى براجماتية هذه الحركة وقادتها.

لقد صدَّقت نسبة غير قليلة من اليهود دعاوى هؤلاء القادة المؤسسين، فاعتنق يهود متدينون كثيرون الفكرة الصهيونية، وأخذوا يعملون من أجل «العودة إلي أرض الميعاد». فيما رفض متدينون آخرون الفكرة، وقاوموها، ولا يزالون؛ وفي مقدمة هؤلاء جماعة «ناطوري كارتا»، التى تدين الصهيونية وكيانها. على أن هذا لم يمنع منظمات صهيونية دينية كثيرة من أن تقوم فى فلسطين المحتلة، وتتغذى على التوراة والفكر الصهيونى، فى آن معًا.

هكذا، غدا موقع الدين اليهودى قلقاً فى الحركة الصهيونية وكيانها؛ حيث لا يستطيع القادة السياسيون الاستغناء، الآن، عن هذا الدين، ولا يريد المتدينون اليهود أن يتركوا لهؤلاء القادة الفكرة الصهيونية وحركتها، حتى بعد أن اكتشف هؤلاء المتدينون « لعبة » هؤلاء القادة.

ومنذ أن اكتشف القادة الصهاينة بأن «الشرق أوسطية» أقدر على تحقيق الأهداف الصهيونية فى «أرض إسرائيل»، التى سبق أن دعوا إلى إقامتها «من النيل إلي الفرات»، فإن هؤلاء القادة بدأوا يستغنون، تدريجياً، عن الدين اليهودى؛ ودخل هذا الدين وبراجماتية الساسة الصهاينة فى صراع مكشوف داخل الكيان الصهيونى. وربما كان مقتل الرمز الصهيونى، إسحق رابين، خريف العام ١٩٩٥، أحد أهم تعبيرات هذا الصراع المحتدم المكشوف.

إن هذه العلاقة الملتبسة بين الدين والدولة داخل الكيان الصهيونى فى أمس الحاجة إلى من يرصدها فى حركتها، ويلقى الضوء على خصائصها المميزة، ويحلل أشكال تطورها، ويرصد نقاط اللقاء والافتراق بين طرفيها، فضلاً عن التأثير المتبادل بين هذين الطرفين، سلباً وإيجاباً، ناهيك عن استشراف مستقبلها.

إن موضوع هذا البحث أكاديمي كفاحي، فى آن معًا؛ لذا يجب ألا يُترك أمره لأكاديميى الأبراج العاجية، بل

يجب إسناده إلى أكاديمي يكافح، ذى حس سياسى وطنى واضح. ومن هنا فالصديق العزيز أحمد بهاء الدين شعبان أهل لمثل هذه المهمة الأكاديمية الكفاحية، وهو الذى بدأ حياته العملية مكافحاً وطنياً، فى طليعة الحركة الطلابية المصرية، التى تُوجت بالاحتجاج الشهير الذى زلزل نظام السادات، مطلع سنة ١٩٧٢. ومن هذا الموقع دلف بهاء إلى الكتابة السياسية، ولم يأت إليها من قبيل الترف، أو لطبيعة دراسته الجامعية، أو من باب الصدفة.

ولا أخالني أبالغ، إذا ما رأيت بأن الدين والعلمانية دخلا مواجهة دامية داخل الكيان الصهيونى، وستفضى هذه المواجهة إلى إعادة توزيع المواقع داخل هذه الكيان؛ كما أنها ستعيد صياغة الفكر الصهيونى، من جديد؛ بيد أن ذلك التوزيع وهذه الصياغة لن يتما بدون صراع محتدم دامٍ، من الصعب التنبؤ بنتائجه، أو احتوائها.

لقد غدت هذه المواجهة، منذ سنوات قليلة، نقطة فرز واستقطاب داخل الحركة الصهيونية وكيانها؛ مما سيدفع بالليكود، باطراد، إلى هامش الحياة السياسية الصهيونية، ويجعل من حزب العمل والقوى الدينية الصهيونية قطبى» هذه المواجهة، بعد أن أخذ الليكود يفقد مبرر وجوده، ودخل فى حالة التأرجح بين البراجماتية السياسية والأيديولوچية الدينية؛ لن يفلت منها إلا بمعجزة، فى عصر توارت فيه المعجزات.

لعل من فضول القول بأننا تأخرنا كثيراً فى التعرف علي ملامح عدونا المباشر، الصهيونية وكيانها؛ بعد أن أدرنا ظهرنا، طويلاً، لحكمة فيلسوف الصين القديم، «صن تزو»، القائلة : «أن تعرف نفسك وتعرف عدوك، ففى مائة معركة ستنتصر مائة مرة».

عبد القادر ياسين

القاهرة في ١٩٩٦/٦/٢٣

هناك حادثان هامان من طبيعة واحدة؛ لكنهما متعارضان، وهما: يقظة الأمة العربية، والجهد اليهودي الخفي لإنشاء مُلك إسرائيل القديم من جديد وعلي مقياس أوسع.

إن مصير هاتين الحركتين هو الصراع المستمر إلي أن تغلب إحداهما الأخري.

ومصير العالم كله منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متعارضين.

« نجيب عازوري »

«يقظة الأمة العربية»

Le Réveil de la Nation Arabe, Paris,1905

□ □ □ □

إن التحرر اليهودي يعنى فى النهاية، تحرر الإنسانية من اليهودية.

إن التحرير الاجتماعي لليهودية هو تحرير المجتمع من اليهودية.

" كارل ماركس "

" المسألة اليهودية " - ١٨٨٤

هذا الكتاب ... لماذا ؟

منذ فترة ليست بالقصيرة، لفت انتباهي - بصورة متعاظمة - وأنا أطالع تطورات الواقع داخل إسرائيل، ولابد أنه لفت انتباه الكثيرين أيضًا، التنامي المطرد للدور الذي تلعبه، والنفوذ الذي تتمتع به، التيارات الدينية والأصولية اليهودية داخل إسرائيل؛ وبالذات فيما يتعلق بقضية الأراضي العربية المحتلة، وما يتفرع عنها ويرتبط بها من مشكلات التسويات السياسية والاستيطان والعدوان الصهيوني المستمر على أبناء الشعب الفلسطيني، وعلى الجماهير العربية في لبنان وغيرها من المناطق العربية الأخرى.

إن صورة الشاب اليهودي الملتحي، الذي يرتدي الطاقية اليهودية المزركشة الشهيرة، ويحمل على كتفه رشاش «عوزي»، ويمرق رائحاً غادياً، مختالاً فخوراً داخل المناطق العربية المحتلة، وفي وسط التجمعات الفلسطينية؛ متحدياً، بروح الاحتقار والاستفزاز، «أصحاب الدار» و «أهل البيت»، أو صورة الحاخام، المحتقن الوجه، النافر الأعصاب، الجاحظ العينين، الذي يصرخ في مواجهة الفلسطينيين طالباً الدم، ومهدداً بالانتقام- لمن الصور التي أصبحت معتادة، وشبه يومية على شاشات البث التليفزيوني، أو من خلال الصحف والمجلات المحلية والعالمية، كذلك فإن النفوذ الذي بات يتمتع به رجال الدين مرتدي الملابس السوداء، مطلقي اللحى، حاملي التوراة، على الحياة السياسية والثقافية في (إسرائيل) لمن الأمور التي أصبح بروزها واضحاً لا يحتاج إلى جهد في تبين ملامحه ..

ومن هنا انتابني الشعور بأنه قد أصبح من الضروري لنا أن ننكب على قراءة هذا المتغير الجديد/ القديم، وأن نعكف على محاولة فك طلاسم هذه الظاهرة ودراسة أعماقها لأنها تؤثر - بشكل فوري، ومباشر- - علينا وعلى مستقبل بلادنا، وأجيالنا القادمة.

ثم حدثت واقعتان إضافيتان، جعلتا من هذا التوجه أمراً أكثر إلحاحاً وحسماً.

أولاهما : أنني قرأت في مجلة المصور (العدد ٣٦٥٩)، بتاريخ ١٩٩٤/١١/٢٥ رسالة من «واشنطن»، كتبها الصحفي الأستاذ «محمد وهبه» بعنوان «صدمة يوسي بيلين في سوق السمك؛ هل أصبحت الصيحة : لبيك يا إسرائيل .. لبيك ؟!»، ويحكي فيها عن محاضرة ألقاها «يوسي بيلين»، نائب وزير الخارجية الإسرائيلي، وأحد أهم الشخصيات التي «هندست» اتفاقية «السلام» الفلسطيني - الإسرائيلي (كما يذكر الكاتب)، أو التسوية الأمريكية - الإسرائيلية (كما أعتقد)، ومعه «إهود يعاري» أبرز خبراء التليفزيون الإسرائيلي في الشئون العربية، وأكثرهم تردداً على الوطن العربي، وجها فيها الحديث إلى نخبة من قيادات الفكر والسياسة والإعلام في واشنطن، في اجتماع بمؤسسة «بروكنجز» الأمريكية الشهيرة، واهتماماتها بالمنطقة والتسوية فيها قديمة ومعروفة أيضاً.

وفي هذه المحاضرة، التي تناولت التغيرات شديدة الوقع التي تشهدها المنطقة، بعد أن أضاف «بيلين» مجموعة من الوقائع «الطريفة» إلى مجمل ملامح الصورة، منها حديثه عن اجتماع «غريب» و «مشجع» عقد في القاهرة بينه وبين ممثل للجامعة العربية، نوقشت فيه إمكانية مشاركة الجامعة العربية في

المباحثات المتعددة الأطراف (مع إسرائيل)، (ولم لا !!)- بدأ بيلين يحكى عن زياراته لـ «إحدى دول الخليج»؛ بهدف بحث العلاقات الثنائية بينها وبين إسرائيل، و عن العديد من الأحداث المماثلة، التى كانت أى منها كفيلة بأن تصبح حدث العام، غير أنها - لكثرتها وتواترها - لم تعد تصنع العناوين الرئيسية على صدر الصفحة الأولى للصحف، وإنما تحتل مكانها بين الأخبار العادية فى صفحاتها الداخلية (على حد قوله) !.

لكن كل ذلك لم يكن المهم، فى ما ذكره «يوسى بيلين»؛ بل كان المهم هو الجزء من حديثه الذى يقول فيه :«بدون الدخول فى التفاصيل. لقد أصبحت هناك مصالح فى العالم العربى تريد أن تزج بنا (أى إسرائيل) فى الخلافات الغربية القديمة التى تقع فيه !! .. وإننى أعتقد أن إحدى المشاكل التى سنواجهها فى المستقبل القريب جداً ستتمثل فى القرار الذى سنتخذه فيما إذا كنا سنشارك فى شئ من هذا القبيل أم لا ؟ .. إن الإغراء للمشاركة - يقول «يوسى بيلين» - لكبير، ولكنى أعتقد أننا يجب أن نأخذ حذرنا، خاصةً وقد أصبحت هناك ضغوط علينا لكى نؤيد طرفاً عربياً ضد طرف آخر، ويمكن لى أن أقول - مرةً أخرى - إننى عندما أتحدث عن تحديات السلام، فإننى أعتقد أنه كان أسهل لنا أن نكون مقطوعين عن (العالم) العربى، لا تعرف بالضبط مَن ضد مَن ؟! ولماذا ؟ من أن نكون فى وضعنا الحالى وقد فُتحت الحدود لنا، وبدأنا نشعر بأننا أصبحنا ضمن اللاعبين فى هذه الساحة »!!

انتهى هذا المقتطف الطويل، الذى أوردته بحذافيره، لدلالته التى لا تكاد تخفى على أحد، وأشارك الأستاذ «محمد وهبه» الصحفى المصرى والسفير العربى، الذى كان بجانبه فى اللقاء، شعورهما بالعار، وكذلك تعبيرات التساؤل والاستغراب التى عبر عنها الصحفى المصرى : « أبهذه السرعة تحول عدو الأمس إلى حليف للبعض منا ضد البعض الآخر لدرجة أثارت الاشمئزاز فى نفس صديق اليوم، فغداً يترحم على أيام زمان، عندما كان بعيداً عن هذا القرف !!».

ومن أجل هذه الواقعة وغيرها التى تثير الاستياء و «القرف» بالفعل، وددت لو أتيحت لى الفرصة، كى أعرض فى سطور هذا الكتاب، وبالتفصيل أحياناً، كيف يرانا هؤلاء الحلفاء الجدد ؟! كيف ينظرون إلينا ؟! وكيف يخططون لنا ؟! وكيف يترجمون أطماعهم فى ثرواتنا وبلادنا. ومرة أخرى وجدت أنه من الضرورى أن أقدم صورة عن قطاع هام وخطير من مجتمع الأصدقاء الجدد وحلفاء آخر الزمان، قطاع سيكون له دور، وأى دور، فى المستقبل القريب، حينما تنتقل المفاوضات بين الفلسطينيين والصهاينة إلى تلك النقاط الأساسية المؤجلة المتعلقة بالمستوطنات، وبوضع مدينة القدس، والتى لازلنا نراهن على «شهامة» وأريحية «الأصدقاء» فى حلها . وحيث سيكون لهؤلاء المتطرفين العنصريين الكلمة العليا فى صياغة الحل «المأمول» !!

أما الواقعة الثانية التى أكدت الحاجة لمثل هذه «القراءة» لحاضر القوى والاتجاهات الدينية والأصولية داخل إسرائيل وتجلياتها، فهى الرصاصات التى أطلقت يوم ١٩٩٥/١١/١١ فأردت رئيس الوزراء السابق،«إسحق رابين» قتيلاً، فقد أكدت تأكيداً لا مزيد عليه أن العالم كله (الذى انتابته الصدمة لما حدث)، وليس نحن فقط، فى حاجة إلى مضاعفة الاهتمام بما يجرى داخل هذا القطاع الفاعل فى السياسة الإسرائيلية الآن.

لقد فجّرت الرصاصات التى أطلقها «إيجال عامير»،العديد من التساؤلات، وطرحت الكثير من علامات

الاستفهام حول طبيعة القوى «الأصولية» اليهودية، فى إسرائيل، وبخصوص تكوين وحراك الأحزاب والتكتلات الدينية فيها.

وكان من الواضح - من حجم الصدمة التى انتابت، ليس فقط الرأى العام، وإنما أيضاً «المعنيين» داخل إسرائيل وخارجها - أن حدود المعرفة بهذا القطاع المهم من المجتمع الإسرائيلى ضئيل للغاية، وأن الوعى بأبعاد نشأة هذه التيارات، وإدراك مضامينها الفكرية، وتكتيكاتها التنظيمية، وقدراتها الحركية، لا يرقى - بحال - إلى مستوى وضعيتها الفاعلة والمؤثرة فى صياغة السياسات الإسرائيلية، وتوجيه عملية صنع القرار الاستراتيچى بها، وخاصةً فيما يتعلق بنقاط الصراع المصيرى مع الأمة العربية : كقضايا الأراضى العربية المحتلة، والحدود «التوراتية» المزعومة لما يطلقون عليه اسم «أرض إسرائيل الكاملة»، وكذلك الموقف من مسألة المستوطنات، وموضوع مدينة القدس ومستقبلها، ومستقبل المقدسات الإسلامية فيها .. إلخ، وهى قضايا شديدة الخطورة والتفجر، وستكون محل صراعٍ دامٍ فى الشهور القليلة القادمة.

ونحن فى الوطن العربى، معنيون، من شتى الزوايا، بدراسة هذه الظاهرة، وبتعمق مكنوناتها؛ فالركون إلى الاسترخاء تحت تصور واهم ينطلق من أن «التسوية السياسية» الراهنة، أو ما أُطلق عليه اسم «عملية السلام العربى - الإسرائيلى» يحل لب المشكلة، وينفى جوهر التناقضات الموضوعية، ويبدد كافة مقومات الصراع؛ مما أن يشكل تهديداً خطيراً على مستقبل أمتنا ومصائر شعوبنا، بل ويطول مستقبل «السلام» الحقيقى ذاته، فمفهومٌ بالطبع أنها تسوية تتم فى ظل موازين قوى مختلة اختلالاً بيناً لصالح إسرائيل، وهى لم تتخل عن أيٍ من المقومات الأيديولوچية الصهيونية، الاستراتيچية، وهى متمسكة بثوابتها الأساسية، وتوجهاتها الرئيسية، وإن بدلت بعضاً من مساراتها التكتيكية استجابة للمستجدات، وهى - إلى ذلك - لا زالت تحشد آلتها الحربية الضاربة، وحريصة كل الحرص على دعمها بكل جديد فى مجالات تكنولوچيا السلاح، وهى القوة الوحيدة التى تنفرد بالخيار النووى فى المنطقة؛ الأمر الذى يضفى على توجهاتها هذه معانى عدوانية جلية، برغم كل ما تم على مسار التسوية حتى الآن.

ومن هنا كانت أهمية موضوع هذه الدراسة، التى تستهدف :

١- استجلاء غوامض القوى الدينية، والاتجاهات الأصولية، فى إسرائيل، ومحاولة رسم خريطة واقعية لها، وبناء هيكل موضوعى لعناصرها، يفيد القارئ، وصانع القرار، فى فهم هذه الظاهرة، وتلمس مواقع الأقدام فى مواجهتها، مع شرحٍ مُركّزٍ، ووافٍ، لنشأتها التاريخية، والخلفية الأيديولوچية والتراثية لعقيدتها.

٢- تبيان ملامح الوحدة والصراع فيما بين صفوف هذه القوى من جهة، وفيما بينها وبين سائر القوى السياسية (العلمانية - الدنيوية ..)، الصهيونية، الأخرى، من جهة ثانية.

٣- دراسة مواقف هذه القوى الدينية والأصولية من قضايا تمس مصير أمتنا العربية، كقضايا تحقق «الوعد الإلهى» المزعوم، والموقف من «الأغيار»، وفكرة بعث «المسيح المُخَلّص»، ... وقضية إعادة بناء

«الهيكل الثالث» فى موقع المسجد الأقصى الشريف .. إلخ، وكلها قضايا شديدة التفجر، وتعنينا بصورة مباشرة.

٤- محاولة استشراف المستقبل، وقراءة احتمالات نمو (أو تقلص) ظاهرة التطرف الدينى اليهودى، وما تشكله من تهديدات لمجمل البناء السياسى الصهيونى، داخل إسرائيل، وانعكاسات ذلك على أوضاعنا، وعلى مستقبل المنطقة.

ثم يجئ مبرر موضوعى آخر يحتم تعميق وعينا بهذه الظاهرة الخطرة، بكافة أبعادها : فكلنا يعلم أن حزب الليكود اليمينى المتحالف مع الاتجاهات الدينية والأصولية قد حملته أصوات الناخبين الإسرائيليين عام ١٩٧٧ إلى السلطة التى ظل على قمتها حتى انتخابات عام ١٩٨٨، ثم فى الانتخابات التى تلت ذلك العام، وحتى الآن، استبدل بتحالف عمالى/ (يسارى)/عربى (ممثلين لعرب الأراضى المحتلة) هش بفارق ضئيل للغاية، لم يتعد صوتاً واحداً أو صوتين فى بعض الأحيان. وبمعنى آخر، فإن هناك على الأقل نحو نصف الإسرائيليين يتبنون سياسة عنصرية معادية عداءً مطلقاً للعرب وللفلسطينيين وللسلام الحقيقى، ناهيك عن أن قطاعاً عريضاً من النصف الآخر، الذى يقبل بالتسوية (وأساساً من «صقور» حزب العمل) هو أيضاً، وبفروق طفيفة، ينتمى إلى معسكر المتطرفين العنصريين الصهاينة؛ غير أنه، لظروف عديدة، لا يتدخل بقوة لعرقلة المفاوضات الجارية، وربما لإدراكه أنها - فى نهاية المطاف - تحقق أهدافه الاستراتيجية، حتى لو اضطره ذلك إلى بعض التراجعات التكتيكية، أو تقديم بعض التنازلات الشكلية، التى لاتمس جوهر المشروع الصهيونى، ولا تطول برامجه بعيدة المدى، ولنا فيما حدث من مجازر فى لبنان، خلال شهر أبريل ١٩٩٦، على يد قوات العنصرية الصهيونية بقيادة (داعية) السلام و «الشرق أوسط الجديد»، «شمعون بيريز»، فى هذا الشأن، عبرة لا مزيد عليها.

لهذا كله، ولغيره من أسباب، رأيت بعد أن قدمت «الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية عام ٢٠٠٠» سنة ١٩٩٣، و «اتفاق غزة أريحا : الملامح والنتائج السياسية والاقتصادية» (بالمشاركة مع الأستاذة «نادية رفعت») سنة ١٩٩٤، أن أقدم هذه الدراسة عن «الدين والدولة فى إسرائيل» حتى يكتمل جانب من جوانب الصورة، وبما يساعد فى رؤية ملامح صراع المصير الدائر - على كل المستويات - فوق أرضنا.

ومن المهم أن أشير - فى هذا السياق - إلى أننى ركزت فى صفحات هذه الدراسة، من بين العديد من القضايا التى يطرحها موضوع «الدين والدولة فى إسرائيل»، على تلك القضايا التى تمس، أو تنعكس - بشكل مباشر أو غير مباشر - على واقعنا العربى، وحاولت أن ألتقط رؤى ووجهات نظر هذه الاتجاهات والقوى الصهيونية واليهودية - محل الدراسة - فى موضوعات أساسية تهمنا كالتسوية والاستيطان والدولة الفلسطينية والقدس ... إلخ؛ أى: تلك المسائل التى ستحكم مسار الوضع القادم، ومستقبل أجيالنا.

ومما هو جدير بالذكر أن محتويات هذه الدراسة قد تم الفراغ من صياغتها، بصورتها النهائية، قبل إعلان نتائج انتخابات الكنيست الرابع عشر، التى جرت فى شهر مايو عام ١٩٩٦، ولم أجد فى هذه النتائج (التى ترتب عليها فوز حزب الليكود مدعوماً بالأحزاب والتكتلات والتيارات الدينية) ما يدعونى إلى إعادة النظر فيما

احتوته الدراسة من تحليلات جاءت، بصورة واضحة، مؤكدة لمجمل الاستنتاجات ووجهات النظر التى تحملها صفحات الكتاب.

ولعلى أكون، بذلك، قد وفيت بجانب من الأمانة، وقلت ما أحسست أنه يتوجب قوله فى هذه الأيام العصيبة، التى اختلط فيها «الحابل بالنابل»، وغابت فيها الحقيقة، وارتدى الذئب جلد الحمل، والعدو رداء الصديق.

أحمد بهاء الدين شعبان

« أرض إسرائيل (Erez - Israel) هي ميراث مقدس لدي كل يهودي، ولا تملك أية سلطة دنيوية أو دينية القدرة علي إنقاص هذا الدعاء أو التقليل من شأنه.

« إسحق نسيم »
حاخام إسرائيل الأكبر الأسبق
يونيو ١٩٦٧

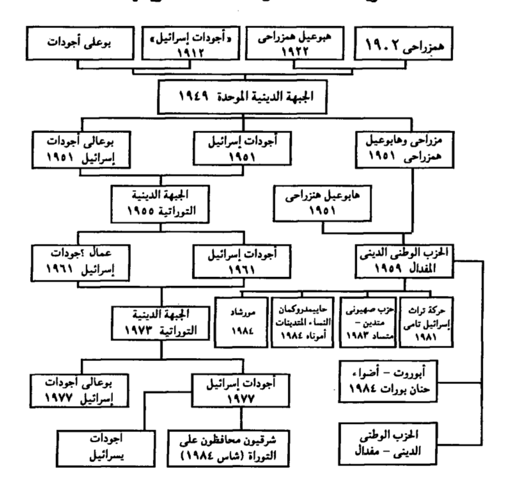
□ □ □ □

لقد أدار رجال الدين ظهورهم لكل تحذيرات الأنبياء والحكماء ضد القوة، وأصبحوا أكثر الناس حماساً وإعجاباً بالجيش والروح العسكرية، وبالأساليب المسلحة العنيفة .. وهم بهذا يعطون الجيش الإسرائيلي شهادة الإثبات بأنه ينفذ تعاليم الدين اليهودى.

« ناثان هوفش »
« الحاخامون والجيش »
جريدة «نير »، يناير ١٩٥٦

الأحزاب الدينية

خريطة التحالفات والانشقاقات التاريخية



المصدر : «الأحزاب والحكم فى إسرائيل»، غازى السعدى، دار «الجليل» للنشر والدراسات الفلسطينية، عمان - الأردن، ١٩٨٩، ص : ٣١٤.

خريطة القوى والأحزاب الدينية (الأرثوذكسية) في إسرائيل

١- بين " الأرثوذكسية " و " الأصولية " :

من ضمن التعبيرات والتعريفات الكثيرة عن «الأصولية»، يعرفها ريتشارد تابر Richard Tapper ونانسى تابر Nancy Tapper فى كتابيهما «بفضل الله فنحن علمانيون» Thank God, We're Secular باعتبارها «نظرة إلى العالم وكلام عن طبيعة الحقيقة .. يشتمل على المجال الدينى ويتخطاه متسامياً .. ولذلك فإن كل حركة أو قضية هى أصولية بالقوة» ويضيف «إيان لوستك» : «ولذلك فسواء استُعمل لفظ الأصولية فى وصف البروتستانت الإنجيليين فى أمريكا أو المسلمين الخمينيين فى إيران، أو الجماعات الثورية من المسلمين السُنّة فى مصر، أو اليهود فى إسرائيل القائلين بالخلاص، أو السيخ فى مقاطعة البنجاب، أو أتباع ماوتسى تونج فى الصين، أو القائلين بالقومية الطورانية فى تركيا، فإن الأصولية فى هذه الأحوال كلها يمكن أن تُفهم باعتبارها نمطًا من العمل السياسى يتسم بعلاقة وثيقة جداً ومباشرة بين عقائد المرء الأساسية وبين السلوك السياسى المصمم على تحقيق تغيير جذرى فى المجتمع»(١) .

وفى إطار السعى إلى تحقيق عملية التغيير المستهدفة هذه، لا يقبل الأصوليون بالمساومة مع الواقع لتحقيق أهداف مباشرة يمليها عليهم بصورة قاطعة، كما يتخيلون المصدر السامى للقيم المطلقة الذى يصدرون عنه فى سلوكهم، وهم لا يكتفون بالتبشير بهذه المفاهيم، أو الدعوة لها بقوة الحجة، وإنما يسعون إلى فرضها فرضاً بقوة الفعل، وسطوة الفرض.

ويقدم «إيان لوستك» - على هذا - ثلاثة شروط لتمييز الحركات الأصولية عن غيرها من الحركات التى قد تتشابه معها، فالحركات، من وجهة نظره، تُعَدُ أصولية بنسبة ما :

أولاً : تبنى نشاطها على مقتضيات لا تقبل المساومة والتسوية.

ثانياً : تعتبر سلوكها مُوَجَّهاً بفضل اتصال مباشر بمصدر السلطة المتعالية.

ثالثاً : تنخرط بصورة عملية فى محاولات سياسية ترمى إلى إحداث التغيير الشامل(٢) .

ويؤدى إدراج هذا الشرط الأخير، ضمن الشروط الواجب توافرها لوصف جماعة ما بكونها حركة أصولية، إلى استثناء حركات التقى والورع، كما يستثنى حركات الرهبنة (والصوفية فى بلادنا) من هذا التوصيف.

---

(١) إيان لوستيك، الأصولية اليهودية فى إسرائيل، ترجمة حسنى زينه، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩١، ص : ١١.

(٢) المصدر نفسه، ص : ١١.

وتطبيق هذه «النظرية» على القوى الدينية فى إسرائيل يقود إلى نوع من الحيرة؛ فمن حيث الواقع، كفت أغلب القوى الدينية فى إسرائيل، على الأقل منذ نحو نصف قرن، عن أن تصب جلّ اهتماماتها على الطقوس والتقاليد والفرائض الدينية وحسب، وشاركت - مشاركة فعّالة - فى نشاطات بناء الدولة وصياغة سياساتها العملية، وهى - بتأكيد أشد - انصرفت، منذ وقائع يونيو عام ١٩٦٧، إلى الانغماس فى صراع ضارٍ من أجل طرح وتدعيم رؤيتها، ووجهات نظرها، فى شأن مستقبل «إسرائيل الكبرى»، وواقع «الأراضى المحررة»، (المحتلة أصلاً) ومصير مدينة القدس التاريخية .. إلخ، وهى قضايا سياسية فى المقام الأول، يخرج الاهتمامُ بها القوى والأحزاب الدينية الإسرائيلية كافة، على الأغلب، من واقع كونها قوى وأحزاب دينية إلى كونها قوى وأحزاب سياسية ذات طبيعة دينية، أو تعمل بالسياسة.

ومع هذا، ولأغراض التحليل والفهم، آثرنا فى صفحات هذه الدراسة أن نفرق تفريقًا نسبيًا بين:

١- القوى والأحزاب التى نشأت لأغراض دينية (حتى ولو كانت قد اتجهت فيما بعد إلى ممارسة النشاط السياسى/الدينى)، مثل الأحزاب الدينية التقليدية [(الحزب القومى الدينيى - المفدال)، (أجودات إسرائيل) ... وانشقاقاتهما ..إلخ] وهى الأحزاب التى تكونت فى بدايات هذا القرن وأطلق عليها اسم «الأرثوذكسية»، واتخذت مواقف متحفظة تجاه الحركة السياسية الصهيونية عند تكوينها، قبل أن تعدل من مواقفها فى العقود الأخيرة باتجاه التحالف معها.

٢- القوى والأحزاب والحركات التى نشأت فى أغلبها بعد وقائع حرب ١٩٦٧، على أرضية سياسية بالأساس، حتى وإن تزيت بزى دينى، واستخدمت - فى دعايتها السياسية - قاموسًا مشتقًا من اليوتوبيا والتوراة والكتب المقدسة، ويندرج تحت هذا التوصيف حركات وأحزاب مثل «كاخ» التى أسسها الحاخام المقتول «مائير كاهانا»، و «جوش ايمونيم»، (كتلة الإيمان)، وغيرهما، وهى حركات وأحزاب يبدو الطابع السياسى فى نشاطها غالباً، وإن اعتبر منتسبوها أنفسهم، على حد التعبير الساخر لـ «روجيه جارودى»، : «موظفون لدى المطلق» !!.

٢- من «الشريك المتواضع» إلي «العامل الحاسم» :

على الرغم من أن الملامح الظاهرية تشير إلى اعتبار إسرائيل دولة علمانية، حديثة النشأة، عصرية التكوين، إلا أن المراقبين عن كثب يجمعون على أن نفوذ الاتجاهات الدينية قد تصاعد خلال العقود الثلاثة الأخيرة، بدءاً من حرب ١٩٦٧، حتى أصبح شديد التأثير فى مصير الدولة والمجتمع، وإلى الحد الذى دفع الكاتب الإسرائيلى «يوسى ميلمان» إلى التصريح بأن الحضور القوى للدين (فى إسرائيل) بات يعطى الانطباع بأنها «قد أصبحت بلداً مثل إيران يسيطر عليه ويديره المتطرفون»[(٣)] ! .. أما «شولاميت ألونى»، مؤسسة حركة «حقوق المواطن»[(٤)] ، (راتز) والوزيرة (اليسارية)، «المشاغبة»، فى حكومة حزب العمل، فتصور الأمر

---

(٣) يوسى ميلمان، الإسرائيليون الجدد : مشهد تفصيلى لمجتمع متغير، ترجمة مالك فاضل البديرى، [illegible] الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، بدون تاريخ (يُرجح ١٩٩٤)، ص : ١٣٤.

(٤) كلود موريس، الحوار - الإسرائيلى الفلسطينى : مؤيدون ومناهضون، مركز الفالوجا للدراسات والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، ص : ٣.

بشكل أكثر «دراماتيكية» : «سيدخل الدين فى مطابخكم، وسيتوزع المتدينون فى كل مكان عاجلاً فى شوارعكم وفى سواحل شواطئكم، وفى مدارسكم وعلى أسِرَّة نومكم !»[(٥)] .

وقد يختلف البعض حول المدى الذى وصل إليه نفوذ الاتجاهات الدينية والأصولية داخل المجتمع الإسرائيلى، لكن هناك اتفاقاً عاماً على أن هذا النفوذ يستمد أهميته من كونه يمثل «رمانة الميزان» التى تحكم علاقات القوى السياسية المختلفة داخل إسرائيل بالسلطة وتوجهها، كما يصفها البعض، فرغم كون هذه الاتجاهات قد حققت فى انتخابات الكنيست الثالث عشر، التى جرت وقائعها يوم ٢٣ يونيو ١٩٩٢، ما يوازى ١٣ ٪ فقط من أصوات الناخبين [٩.١٤٪ للحزب القومى الدينى (المفدال)، ٤.٩ ٪ للسفارديم حراس التوارة (حركة شاس)، و ٣.٢ ٪ لـ «يهودية التوراة»] إلا أن هذه القيمة تبلغ حداً خطراً ومؤثراً للغاية إذا أضيفت إلى مجمل ما حققته باقى الاتجاهات اليمينية والمتطرفة، المتحالفة معها، من أصوات؛ حيث تمثل فى هذه الحالة حداً حاسماً يقترب من أن يكون مكافئاً لنصف عدد أصوات الناخبين الكلية، والذى رجح كفة حزب العمل وائتلاف (اليسار) عاملان أساسيان، أولهما : أصوات الأقلية العربية، وثانيهما : نجاحه فى عقد صفقة مع حركة «شاس» الدينية على قاعدة الإغراء بالمصالح والمكتسبات المادية والأدبية حتى يمكن تشكيل الحكومة، وقد ظل وضعها الهش هذا رهناً برضاء ممثلى الاتجاه الدينى من أعضاء حركة «شاس» الذين تلاعبوا به، وأتقنوا تقنيات ابتزازه، وهددوا وجوده فى مواضع عديدة بعد ذلك .. إنهم، على حد ما يقول «حاييم بيير»، تعاملوا مع إسرائيل «كأنها ماكينة مصرفية، فكلما احتاجوا مالاً - وحاجتهم للمال لا يمكن إشباعها- يذهبون إلى الماكينة، ويضغطون بعض الأزرار ويحصلون على مالهم، وإنهم بدلاً من أن يضعوا البطاقة البلاستيكية يضعون التخويف السياسى (..) إن الأحزاب «الأرثوذكسية» تستخدم لغة بسيطة : «أعطنا هذه .. لانريد تلك .. وإلا فلن نصوت لصالحك !!»[(٦)] .

لقد ساعدت طبيعة «العملية الانتخابية» وآلياتها، كما تجرى فى إسرائيل، على منح الأحزاب والحركات ذات الصبغة الدينية قدرة سياسية أكبر بكثير من حجمها الموضوعى، فنظام «الانتخاب النسبى» على أساس القائمة كما هو مطبق فيها، يعطى الأحزاب الصغيرة تمثيلاً فى الكنيست يفوق واقعها الطبيعى؛ بحيث يصبح بمقدورها - كعامل توازن - ترجيح أى من القطبين الرئيسيين تذهب إليه السلطة : العمل أم الليكود ؟! .. ومن هنا تكتسب هذه الاتجاهات مصدر قوتها الرئيسى، وقد دفع هذا الأمر بعض المعلقين إلى وصف الحاخام «عوفاديا يوسف» حاخام «حركة شاس» الأعلى، باعتباره «الرئيس الفعلى لإسرائيل»، وليس «حاييم هيرتزوج»، الرئيس السابق !.

ومما يضاعف من دواعى خطورة هذا الأمر، استمرار انحياز يهود الطوائف الشرقية إلى معسكر اليمين والقوى الدينية المتشددة، فى مواجهة تحالف الكتل الأشكينازية الممثلة فى التحالف العمالى (اليسارى)، ويرى البروفيسور «سامى سموحا»، عالم الاجتماع، اليهودى، والأستاذ بجامعة «حيفا» أن هذا الاستقطاب يزيد من «تآكل الهيمنة الأشكينازية (على مقاليد الأمور فى إسرائيل)، ويؤكد استمرار تدهور قوى (اليسار)»[(٧)] .

---

(٥) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص : ١٥٥ .

(٦) المصدر نفسه، ص : ١٥١.

(٧) منذر طرابلس، أحزاب الجيتو تحكم إسرائيل»، مجلة كل العرب، باريس، ١٩٩٠/٤/١٦.

لقد أدى حرمان اليهود الشرقيين، وشعورهم بالنبذ فى المجتمع الإسرائيلى وانعدام فرص المساواة وإمكانات التقدم، فى ظل حكم طويل المدى لحزب العمل وحلفائه، إلى اتجاههم - بقوة - ناحية دعاة الفكر السلفى- اليمينى؛ حيث رأوا فيهم ملاذاً من سيطرة اليهود الغربيين (العلمانيين) وانفرادهم بكل عناصر النفوذ والتأثير فى إسرائيل، وقد أدى ذلك فى السابق إلى وصول تكتل الليكود إلى السلطة .. ولازال هذا الأمر قائماً، على أعتاب انتخابات ١٩٩٦، حيث ذكرت الصحف الإسرائيلية - على سبيل المثال - أن اليهود من أصل مغربى قد أدوا صلواتهم فى المعابد من أجل فوز «نتانياهو» فى الانتخابات القادمة(٨).

لقد حدث تحول انقلابى فى توجهات الأحزاب والقوى الدينية اليهودية فى إسرائيل على امتداد السنوات الخمسين المنصرمة (التى هى عمر الدولة ذاتها)؛ ففى حين أن هذه الأحزاب تجاهلت، فى أول سنوات الدولة، القضايا ذات الطابع السياسى، وركزت مطالبها فى النواحى ذات الطبيعة الدينية .. الأمر الذى شجع حزب «المباى» [والتكتل العمالى/ (اليسارى)] على مد يد التعاون إليها، وحفزه على تلبية مطالبها فى مقابل إطلاق يده فى شئون الدولة السياسية، تقدمت هذه الأحزاب، على ما يرى بعض المراقبين - خطوة بعد أخرى - وقفزت من مجرد «شريك متواضع» فى الحكومة، إلى «عامل مهم» فى تشكيلها، ثم إلى «العامل الحاسم» فى تقرير إلى من تذهب السلطة، وإلى أين تتجه ؟! وما طبيعة توجهاتها الأساسية ؟!! وتطورت مطالبها من مجرد زيادة دعم المدارس الدينية «اليشيفا» وتوسيع نطاق إعفاء الطلاب المتدينين من الخدمة العسكرية، أو التدقيق فى الالتزام بقدسية يوم السبت، أو التشدد فى تحديد مسألة «من هو اليهودى» ؟! إلى قضايا ذات طابع استراتيجى تمس صلب التوجهات الأساسية للدولة : طابعها : (مدنى أم دينى ؟!) الأرض المحتلة وحدود التفاوض بشأنها - الصلح مع العرب وأبعاده - السلطة الفلسطينية ومواقعها - مصير مدينة القدس المستقبلى - المستوطنات - ..إلخ، وغيرها من القضايا ذات الطبيعة السياسية الاستراتيجية الحساسة؛ وقد صاحب هذا التحول الذى مثل توجهاً جديداً لـ «تسييس» الحركة الدينية والأصولية، بروز ملامح جديدة للاختلاف بين الحركة الدينية، المعاصرة، فى إسرائيل، وبين تلك التى كانت موجودة فى العقود الثلاثة الأولى، بعد إنشاء الدولة، رصدها الخبراء فى عدة ملامح أساسية، أهمها :

(١) غلبة العناصر ذات الاتجاهات المتشددة والمتطرفة، بالمقارنة مع (المعتدلين) الذين كانوا يمثلون القوى الغالبة فى هذا المعسكر، سابقاً.

(٢) ميل هذا المعسكر باتجاه التطرف القومى، وأصبح المتطرفون القوميون، أو ممثلو الصهيونية الدينية المتطرفة، هم الأغلبية فيه، بينما كان هذا المعسكر فى الماضى، يعادى - فى مجمله - الصهيونية، ويقضى بتكفيرها؛ من منطلقات توراتية !

(٣) نبذ هذا المعسكر لموقف الاستكانة والضعف السابق، بعد أن تدفقت عناصر اليهود الشرقيين إلى صفوفه، وشعوره بقوته، وممارسته لها، ومطالبته - اعتماداً عليها - بمشاركة أكبر فى اتخاذ القرارات المصيرية بالدولة.

---

(٨) جريدة معاريف، إسرائيل، ١٩٩٦/٥/٥.

وقد أكدت نتائج انتخابات الكنيست الثالث عشر (مايو ١٩٩٦) هذه التوجهات حيث فاز «بنيامين ناتانياهو» زعيم تكتل الليكود اليمينى برئاسة الوزراء الإسرائيلية، مدعوماً من القوى والاتجاهات الدينية والأصولية.

(٤) اشتداد نفوذ الحاخامات، داخل هذا المعسكر، وتدنى سلطة الساسة المتدينين، الذى كانوا يوجهون أموره فى الماضى.

(٥) ازدياد نفوذ الحاخامات الموجودين بالخارج، وفى أمريكا أساساً، وسيطرتها على توجهات هذا المعسكر وقيادة صفوفه(٩).

وقد دفع هذا الوضع بمفكر إسرائيلى مرموق، هو «أبا إيبان» وزير الخارجية الأسبق إلى القول : «إن اليهودية النابعة من تعاليم الأنبياء ومن الصهيونية الكلاسيكية، اللتين عبر عنهما (إعلان الاستقلال !)، يتحداها الآن الخرافة، التعصب، السياسة الأحادية الجانب، الخوف من الآخرين وكرههم، والنزعة المغامرة التى تبتعد بنا كثيراً عن العالم الذى ارتفع فيه علم إسرائيل لأول مرة ..

إن هذه الأيام تُستدرج فيها أصوات الناخبين ببركات ولعنات بدائية من مخلفات العصور الوسطى، ويمارس فيها يهود غريبو الأطوار من وراء البحار× سلطة مبتذلة على حملة لواء سيادة إسرائيل !!»(١٠).

٣-القوى «الأرثوذكسية» الدينية الرئيسية فى إسرائيل :

مرت الأحزاب والحركات والقوى الدينية (الأرثوذكسية) فى إسرائيل بموجات من المد والجزر، التقدم والتراجع، التوحد والانقسام .. منذ بدأت مسارها المنظم، أوائل هذا القرن، وسط التجمعات اليهودية فى أوروبا الشرقية والغربية، وقبل أن تنقل جانبًا أساسيًا من نشاطاتها إلى فلسطين العربية التى تم احتلالها، لكى تنشأ على أرضها الدولة الإسرائيلية الراهنة.

ولا يتسع مجال الدراسة هنا للخوض، بتفصيل كبير، فى مولد أو تاريخ التكوينات الدينية اليهودية وأحزابها التى تمارس النشاط الدينى/السياسى، أو السياسى ذى الصبغة الدينية، داخل إسرائيل الآن .. وسنكتفى بـ «نظرة طائر» تحلق فوقها، لكى ترصد بعض أحزابها الهامة، والنقاط الفاصلة فى مسارات هذه الأحزاب، على أن نتريث - فى فصل تال - عند واحدة من أهم الجماعات الدينية، فى إسرائيل، وأقواها، وأنشطها .. «جماعة اليهود اللوبافتش» .. التى سنعرض لملامحها، وأبرز قياداتها ومواقفها بتفصيل أكبر؛ لما لها من أهمية ونفوذ ملحوظين، فى الواقع السياسى الدينى بالدولة الصهيونية.

---

(٩) أحمد خليفة، جولة استكشافية فى كهوف الأحزاب الدينية : تشديد القبضة على المجتمع ودعم التطرف السياسى، مجلة اليوم السابع، باريس، ٢٨/١١/١٩٨٨.

× الإشارة إلى حاخام طائفة اليهود اللوبافتش المقيم بنيويورك.

(١٠) المصدر نفسه.

١- الحزب الديني القومي، (المفدال) [مفلاجا داتيت لتوميت] :

تعود جذور «المفدال» إلى أوائل هذا القرن حين تأسيس حركة المتدينين اليهودية الصهيونية (همزراحي)، «الشرقي»، في أوروبا، وأنشأت فرعاً لها في فلسطين عام ١٩١٢.

أما الجناح العمالي لهذه الحركة «هبوعيل همزراحي»، «العامل الشرقي»، فقد تأسس عام ١٩٢٢ تحت شعار «التوراة والعمل»، في محاولة لاستقطاب الفئات العمالية اليهودية المتدينة. وبصفة خاصة فإن حزب «همزراحي» احتفظ بنفوذ واضح في أوساط البرجوازية الصغيرة اليهودية في شرق أوربا (١١) .

في عام ١٩٥٦ اتحد حزبا «همزراحي» و «هبوعيل همزراحي» وكونا الحزب الوطني الديني «المفدال»، وقد شارك المفدال منذ انتخابات عام ١٩٥٩ - كشريك أساسي - في الائتلافات الحكومية التي قادها حزب «الماباي» ومن بعده المعراخ، حتى عام ١٩٧٧، ثم انحاز إلى تكتل الليكود في انتخابات ذلك العام، وكان أحد الأسباب الرئيسية لفوزه بالسلطة آنذاك.

يُعَدُّ حزب المفدال جزءاً عضوياً من الحركة الصهيونية، قد شارك في إنشاء دولة إسرائيل، ويمثل التيار القومي- الديني لليهود ذوي الأصول الغربية، (الأشكيناز)، ويتعاون مع العلمانيين، وتتميز حركته بالمرونة النسبية، ويؤمن بالتحول التدريجي لإسرائيل باتجاه تطبيق الشريعة (الهالاخاه)، وعناصره تخدم في الجيش الإسرائيلي، ويشاركون في الحياة العامة ويحتفلون بالمناسبات (القومية) كعيد (الاستقلال) وغيرها. وفي انتخابات عام ١٩٩٢ حصل على ستة مقاعد فقط؛ الأمر الذي يعكس تدنياً واضحاً في مراكز تأثير هذا الحزب، من جراء الانشقاقات المتعددة في صفوفه، واتجاه جموع الشباب إلى التنظيمات الأكثر تطرفاً وتشدداً.

يضم دستور الحزب مبادئه الأساسية التي ترتكز على أن الحزب «يصبو إلى تجديد حياة (شعب إسرائيل) في (أرض إسرائيل) بموجب توراة إسرائيل»، ويؤكد على أن واجب الفرد والمجموع هو «دعم كيان هذا (الشعب) في (أرضه)». إلى جانب ذلك يؤكد «المفدال» على أن «الحاخامية الكبرى هي السلطة الدينية العليا في الدولة» (١٢) .

ويعمل «المفدال» على بناء دولة إسرائيل ودعمها وتطويرها دينياً وثقافياً وأمنياً واقتصادياً واجتماعياً؛ وينمي «حب إسرائيل» والإخلاص لها بين اليهود، ويسعى إلى إقامة مجتمع مبني على الأسس الروحية والاجتماعية والدينية الواردة في التوراة.

وانطلاقاً مما يسميه حزب المفدال «الوعد الإلهي»، فإن (شعب الله !) : «سيرجع إلى أرض آبائه وأجداده، ويقيم فيها (مملكة التوراة) في الحدود التي وعد بها الله شعب إسرائيل، وهي «من الفرات إلى النيل» ويرى «المفدال» أن «التطورات السياسية والأمنية منذ قيام إسرائيل كانت بداية لتحقيق الغاية الإلهية، وخطوة على طريق الخلاص الشامل لشعب إسرائيل»، ويعتبر أن توسيع إسرائيل، بعد عدوان يونيو ١٩٦٧، «خطوة أخرى

---

(١١) غازي السعدي، الأحزاب والحكم في إسرائيل، عمان - الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٩، ص : ٣١٥.

(١٢) المصدر نفسه، ص ص : ٣١٨ - ٣١٩.

على طريق الخلاص».

ولا يؤمن الحزب إلا بدولة واحدة تمثل (الحق التاريخي) لليهود في (أرض الميعاد) كلها (!)، تقوم بين «النهر والبحر»، وعاصمتها القدس الموحدة، ولا تقبل - بأية حال - الموافقة على أي برنامج قد ينجم عنه التنازل عن أي جزء من «أرض إسرائيل» التاريخية ! ولذا فهو يحبذ الاستيطان «في جميع أنحاء (أرض إسرائيل) بما في ذلك الضفة الغربية (يهودا والسامرة) وقطاع غزة وهضبة الجولان» التي يطلق عليها «أرض إسرائيل المحررة !!»؛ كما يعارض الحزب إنشاء دولة فلسطينية، كما يسعى - على الصعيد الداخلي - إلى صبغ الحياة بصبغة دينية (في التعليم والثقافة والإعلام)، وإلى مزيد من التوجهات الحرة في الإدارة الاقتصادية للدولة(١٣) .

٢- أجودات إسرائيل؛ « رابطة إسرائيل » :

حزب ديني مناهض للصهيونية من منطلقات توراتية. تأسس عام ١٩١٢ رداً على تعريف المؤتمر الصهيوني العالمي (عام ١٩١١ - بمدينة بازل) للحركة اليهودية بالمعنى المدني العلماني، وعلى قراره بامتداد صلاحيات «الهستدروت» لكي تشمل شئون التربية في «أرض إسرائيل»، وكانشقاق على حزب «المزراحي» الذي هادن «الصهيونية السياسية» وتواطأ مع برامجها.

وفي عام ١٩٢٢ تأسس في بولندا حزب «بوعلي أجودات يسرائيل»، (أي عمال رابطة إسرائيل» للدفاع عن حقوق العمال اليهود، وتأسس فرعه الفلسطيني عام ١٩٣٣.

مع بداية الثلاثينيات وهجرة جماعات كبيرة من يهود بولندا وألمانيا المتطرفين دينياً، غيرت «أجودات إسرائيل» من موقفها في مواجهة الحركة الصهيونية، وتبنت سياسة جديدة للتعاون مع مؤسساتها؛ حيث بدأت ترى في بناء «وطن قومي» لليهود «ملجأ مؤقتًا يقي اليهود شر كوارث المهجر»(١٤) . وقد أدى هذا التوجه الجديد إلى انشقاق مجموعة أطلقت على نفسها اسم «ناطوري كارتا» (أو «حراس المدنية»)×، التي لازالت حتى الآن لا تعترف بإسرائيل، وترى في إنشائها كارثة حلت بالشعب اليهودي، وهي تعترف بالدولة الفلسطينية وتقيم علاقات سياسية مع السلطة الوطنية الفلسطينية، ويمثلها وزير فيها.

يشرف على شئون «أجودات إسرائيل»، «مجلس كبار حكماء التوراة»، [موعيتست جدولي هتوراه] الذي يمثل المرجعية الرئيسية للحركة، ويتكون من خمسة عشر عضواً من بينهم سبعة من «الأدمورائيم» [لقب يطلق على كبار رجال الدين اليهودي من الحسيديم (المتشددين)]، وثمانية من رؤساء «اليشيفوت»، المدارس الدينية، التابعة للحزب، ولا ينعقد هذا المجلس إلا للبت في القرارات المصيرية للحزب «مثل مسألة الانضمام إلى الائتلافات الحكومية، والقضايا الهامة المتعلقة بالدين والدولة»(١٥).

شارك حزب «أجودات إسرائيل» في الحكومات الثلاث الأولى التي أعقبت إعلان الدولة (٤٩ - ١٩٥٢)، وظل منذ عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٧٧ في المعارضة لرفض «مجلس علماء التوراة» المشاركة في الحكم؛ نظراً لعدم استجابة التحالفات العمالية لشروطه، وأولها المتعلقة بشئون التعليم، وشارك عام ١٩٧٧ في الائتلاف الحكومي مع الليكود دون أن يُمثل في الحكومة، وكذلك عام ١٩٩٠، وقد استغل هذا الوضع في

---

(١٣) لمزيد من التفاصيل عن برنامج الحزب انظر غازي السعدي، مصدر سبق ذكره، ص ص : ٣١٨- ٣٤.
(١٤) المصدر نفسه، ص : ٣١٦.
× أنظر فصل يهود ضد الصهيونية في موقع آخر من الكتاب.
(١٥) د. رشاد عبد الله الشامي،مصدر سبق ذكره، ص : ١٤٣.

الحصول على مكاسب مالية ضخمة، وكذلك إعفاء طلاب المدارس الدينية التابعة له من أداء الخدمة العسكرية.

لا تعترف حركة «أجودات إسرائيل»، فى الواقع، بدولة إسرائيل، وهى تنظر إلى الكنيست نظرتها إلى البرلمان البولندى الذى كان أعضاؤها ممثلين فيه عن مدينة وارسو، ولا يحتفل الحزب بعيد (استقلال) إسرائيل ولا ينشدون نشيدها الوطنى ولا يرفعون علمها، وهم يعارضون الجماعات اليهودية المتطرفة (كجوش إيمونيم)، وتُناقضُ مواقفهم المواقفَ المعلنة للحزب الدينى القومى (المفدال)، وصوتت حركة «أجودات إسرائيل» إلى جانب اتفاقات «كامب ديفيد»، ووافقت على حكم الفلسطينيين ذاتياً.

٣- اتحاد حراس التوراة السفارديم «شاس»:

تشكلت حركة «شاس» عام ١٩٨٣ لكى تضم فى صفوفها قطاعات من المتدينين الشرقيين الذى تخرجوا فى المدارس الاشكينازية (التوراتية)، وأتباع الحاخام «عوفاديا يوسف» وكذلك جموع العائدين إلى الدين (أو من يطلق عليهم اسم «التائبين») إضافة إلى جمهور واسع من أبناء الطوائف الشرقية التقليديين ونفر من أتباع حزب الليكود السابقين[(١٦)] ؛ أى: أن مجال نفوذ الحركة يمتد أساساً فى أوساط اليهود السفارديم.

حصلت حركة «شاس»، فى انتخابات عام ١٩٨٨، على ستة مقاعد، وفى انتخابات ١٩٩٢ على أربع مقاعد، وخطها السياسى يميل إلى قبول الحلول السياسية للصراع فى المنطقة، ويرى زعيم الحركة الروحى الحاخام «عوفاديا يوسف» أنه «من الممكن لإسرائيل التخلى عن الأراضى المحتلة فى مقابل السلام»؛ ذلك لأن «الأرض ليست أهم من حياة الإنسان»[(١٧)] .

تعترف حركة «شاس» بوجود «قضية فلسطينية»، وتقبل بتقديم «تنازلات إقليمية» فى سبيل حلها[(١٨)]؛ غير أنها شديدة التطرف فى الناحية الدينية والتشريعات اللاهوتية، وكذلك تواجه بحدة وتعصب أى افتئات على حرمة يوم السبت أو غيرها من مرتكزات العقيدة اليهودية حسبما تعتنقها الحركة.

يتمتع زعماء «شاس» بجماهيرية واسعة بين أتباعهم، وتستخدم الحركة أساليب إعلانية تليفزيونية (على النمط الأمريكى) لنشر أفكارها، وهو ما دفع «يوسى ميلمان» إلى التصريح بأن «حزب شاس هو الحزب التبشيرى الأكبر فى البلاد الذى جعل من شعائر (التوبة) صناعة جماهيرية (...) حيث يوظف (صائدو الأرواح) من حزب شاس كل أدوات وتقنيات التسويق الحديثة من الدعايات والإعلانات وأجهزة التسجيل المرئية والسمعية»[(١٩)] ، وهو يشن حملات مسعورة ضد مظاهر الحياة المدنية، وقد وجهت للعديد من كوادره تُهم إساءة استخدام المال العام والشراء غير المشروع؛ ومع هذا فقد شق «حزب شاس» طريقه ليكون منظمة سياسية لها جذورها داخل الدولة، حيث ضم إلى صفوفه عدداً من أعضاء الكنيست ومسئولى الدولة، وأسس شبكة مستقلة للتعليم عززت من نفوذه، ومنحته وضعية مميزة داخل المجتمع.

---

(١٦) المصدر نفسه، ص : ١٩٢.

(١٧) المصدر نفسه، ص : ٢٠٨.

(١٨) غازى السعدى، مصدر سبق ذكره، ص : ٣٢٧.

(١٩) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص ص : ١٥٣ - ١٥٤.

٤- حزب « ديجل هتوراة »، (علم التوراة) :

يصفه المختصون باعتباره المقابل الأشكنازي لحركة «شاس» السفاردية، «بأروحاته وأهدافه في كل القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية»(٢٠) أسسه الحاخام «مناحم أليعازر شاخ» عشية انتخابات الكنيست الثاني عشر عام ١٩٨٨، وقد لعب هذا الحزب دوراً مؤثراً في تغيير المعادلة السياسية داخل إسرائيل، لصالح تكتل الليكود، وتحكم في مسار العملية الانتخابية إلى الحد الذي أهاج العديدين ضده، فهتف «هيرس جوتمان» في «الجيروزاليم ريبورتر Jerusalem Reporter» يُحرض ضد «صانع الملوك» قائلاً : «إن أكثر ما يبعث على الاكتئاب بشأن الحكومة المقبلة، هو أن «الحاخام شاخ» هو الذي سيقرر، على الأرجح، من سيكون رئيس الحكومة الجديدة.. لقد حمل «شاخ» مسدساً فوق رؤوسنا لمدة طويلة، وإن لم نتوخ الحذر فإن إصبعه قد تضغط على الزناد، ومن الأفضل أن نجرده من السلاح الآن !»(٢١).

وقد أدى استفحال نفوذ «الحاخام شاخ»، الذي أهاج واستفز العديد من القوى السياسية، وعلى رأسها «حزب العمل» ضده من جهة، وتعاليه علي التجمعات الشرقية من اليهود، الذين اعتبرهم «غير ناضجين بعد لتسلم القيادة السياسية أو الدينية في الدولة»(٢٢) ، من جهة أخرى، إلى محاصرة سطوة هذا الزعيم وتجمع الخصوم في مواجهته، وفي انتخابات عام ١٩٩٢ حاول إملاء شروطه على الائتلاف الحكومي الجديد، بعد أن فشل في «تتويج» زعيم اليمين رئيساً للحكومة، كما فشل في إبعاد حركة «ميرتس» عن الائتلاف الحكومي(٢٣) أو حجب حقيبة وزارة التعليم والثقافة عن «شولاميت ألوني»، الوزيرة (العلمانية) الصدامية(٢٤) ، ثم جاء فشله الأكبر في منع حركة «شاس»، وقد كان أحد مؤسسيها، من دخول ذلك الائتلاف، على الرغم من حملة التشهير الإعلامي الصاخبة التي شنها على الحركة (٢٥) ، فيما أُعتبر «موتا للوصاية الأشكنازية»، وتتويجًا للحاخام «عوفاديا يوسف» كـ «كبير لقادة الجمهور الديني في البلاد وفي العالم»(٢٦) .

بعد انتخابات عام ١٩٨٨، وافق رئيس الحزب، الحاخام «أفراهام رافيتش»، على الانسحاب من الأراضي المحتلة، مع إنشاء دولة فلسطينية منزوعة السلاح، كما «أعرب عن استعداده لتأدية التحية لعمل هذه الدولة !»(٢٧) .

---

(٢٠) د. رشاد عبد الله الشامي، مصدر سبق ذكره، ص : ١٩٢.

(٢١) Jerusalem Reporter, Israel, June, 1992.

(٢٢) جريدة معاريف، إسرائيل، ١٩٩٢/٦/٢٦.

(٢٣) المصدر نفسه.

(٢٤) جريدة يديعوت أحرونوت، إسرائيل، ١٩٩٢/٧/٩.

(٢٥) عطا القيمري، الانقلاب الديني يكمل حلقة الانقلاب السياسي، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد (١١)، خريف ١٩٩٢، ص : ٢٤٦.

(٢٦) جريدة هآرتس، إسرائيل، ١٩٩٢/٦/٢٦

(٢٧) د. رشاد عبد الله الشامي، مصدر سبق ذكره، ص : ١٧٥.

« إن الصهيونية السياسية هي مجرد صيغة مُجددة لعقيدة انتظار المُخَلِّص، جري نقلها من العقول المتحمسة للقباليين الدينيين (Kabbalists) إلي عقول الزعماء السياسية للجماعات اليهودية، تغشّي فيها النشوة المرتبطة بفكرة البعث العظيمة الخطوط الفاصلة بين الواقع والخيال ».

المؤرخ اليهودى الروسى
« سيمون دوبنوف Dubnov »
في «رسائل حول اليهودية القديمة والجديدة » (١٨٩٧ – ١٩٠٧).

الحركة الصهيونية : رؤية براجماتية للدين

تلقفت الصهيونية السياسية الأفكار الدينية اليهودية، ووجدت فى مكوناتها أداة هامة وفاعلة لشحن وتعبئة قطاعات مؤثرة من اليهود المتدينين، خدمةً لأهدافها السياسية، وتحقيقاً لمطامعها الاستراتيجية، فليس هناك ما هو أكثر تأثيراً في النفس المكلومة، ولا أشد وقعاً في الأرواح المعذبة والمهانة على مدى قرون وقرون، من التلويح بالمهمة المقدسة الملقاة على عاتقهم، وبفكرة «الخلاص» و «العودة» إلى أرض «اللبن والعسل» والبلاد الموعودة التى وهبها الرب لهم.

وليس بخافٍ أن قادة الحركة الصهيونية السياسية الكبار (من هرتزل إلى بن جوريون) كانوا أصحاب مواقف سلبية من الدين وبعضهم كان واضح الإلحاد؛ فهم لا يؤمنون به ولا بمضامينه «الأسطورية»، وقد رد بن جوريون على سؤال وجهه إليه موشى بيرلمان نصه : «هل تؤمن بالله ؟» فقال : «لا أستطيع أن أقول إننى أشارك معظم أصدقائى الورعين عقيدتهم» معلناً رفضه لما احتوته التوراة بشأن «تصوير الله فى صورة مادية» ، «مثال ذلك تلك الفقرات التى مثلته وهو يتكلم، أو يُوجه له الكلام»، وهو يرفض ما جاء متناقضاً فى النصوص المقدسة (من وجهة نظره)، والتى تتعارض مع قوانين الطبيعة: «فإلقاء موسى لعصاه فى بلاط فرعون، وتحول هذه العصا إلى ثعبان، هو أمر يتعارض مع قوانين الطبيعة، وعلى ذلك فليس فى وسعى أن أتقبل هذا الأمر على أنه سجل حقيقى لما حدث [(١)] » وحتى حينما لجأ بن جوريون للتفاعل مع الاتجاهات الدينية فى إسرائيل، لم يكن دافعه فى ذلك إيمان أو عقيدة، وإنما أملى هذا السلوك اعتبارات «براجماتية» بحتة؛ فقد برر تقديم تنازلات لماأسماه «السلطة الدينية» مثل منحهم حق النظر فى الأحوال الشخصية، مقدماً سببين (دنيويين تماماً)، أولهما :«أن الحكومات التى رأستها كانت جميعها حكومات ائتلافية تضم ممثلين عن الأحزاب الدينية، وكان علىّ أن أمنحهم بعض الامتيازات فى بعض المجالات حتى أحصل على مساندتهم فى مجالات أخرى كنت أعتبرها أكثر أهمية»، والثانى : «أنا لم أعتبر أن مسائل الأحوال الشخصية تستحق أن يكون لها الأولوية على غيرها[(٢)] » وقد أكد، فى غير مرة، «أننى كنت مصمماً على أن تكون (إسرائيل) دولة دنيوية، تحكمها حكومة دنيوية لا سلطة دينية، وحاولت أن أبعد الدين عن الحكم وعن السياسة بقدر المستطاع، ولقد تكللت محاولتى بالنجاح فيما يتعلق بالدولة، فإسرائيل هى دولة دنيوية ليس لرجال الدين فيها أى سلـطة»، ومع هذا فإن بن جوريون كان مدركاً للخطر الكامن خلف القبعة والزى الأسود واللحية الطويلة، فهو يعرف أنه «لسوء الحظ» لم ينجح «فى إبعاد الدين عن السياسة بشكل كامل، فالأحزاب الدينية لا تزال قائمة فى إسرائيل، كشئ منفر خلفته المؤتمرات الصهيونية التى كانت تعقد فى الفترات التى سبقت قيام الدولة»[(٣)] .

ولذلك فإن الصهيونية السياسية، وإزاء إدراكها لأهمية وحيوية العنصر الدينى الكامن فى النفس اليهودية، والتى نمت فى المعازل «الجيتو» على امتداد أحقاب طويلة، استخدمت خليطاً من العقيدة والبعد السياسى،

---

(١) فى أحاديث مع موشى بيرلمان، « بن جوريون يستعيد الماضى »، بدون مترجم، القاهرة، بدون دار نشر، ١٩٦٦، ص : ٢٦٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص : ٢٦٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص : ٢٦٦.

واستغلته بذكاء وحنكة، لعزل العناصر التى كانت تدعو إلى «الاندماج» من جهة، وإلى ضرب فكرة «الخلاص المسيحانى» النقية، والتى كانت تربط بين هذه الفكرة وبين «التدخل الإلهى» المباشر، كشرط لإنجازها؛ من جهة أخرى، فمن وجهة نظر بن جوريون فإن العقيدة اليهودية هى « التعبير القومى »× عن تطلع «الشعب اليهودى» لتحقيق غاياته الوطنية، وذلك أنه «لا تتمثل العقيدة اليهودية فى الإيمان بالتوحيد ووجود إله فحسب، ولكن يلازمها دوافع (قومية) وإقليمية هى التى أدت إلى ارتباط اليهود ارتباطاً روحياً عميقاً بأرضهم القديمة، حتى أثناء وجودهم فى المنفى .. إن ارتباط اليهود بوطنهم القديم، حتى أثناء وجودهم فى المنفى، ينبع من المظهر (القومى) والإقليمى الذى يلائم عقيدتهم !»[٤] .

... «لقد كانت فكرة «الخلاص» تتغذى على الشعور الذى ظل سائداً بين اليهود حتى نهاية القرن الماضى (بل ويسود بعضهم حتى يومنا هذا) بأن الإقامة خارج إسرائيل، هى بمثابة إقامة فى المنفى أو فى ملجأ مؤقت»[٥] .

لقد اندمج الدين، بسبب من وعى الحركة الصهيونية بأهميته، فى صلب برامجها وخططها السياسية، وتشعبت تداخلاته حتى أصبح من الصعب الفصل بين الدين والسياسية فى أحيان متعددة؛ بل إن الدين- على الرغم من الادعاءات العلمانية لقادة الحركة الصهيونية - أصبح صلب دعاويها السياسية؛ ذلك أن «الفلسفة الصهيونية لا يمكن أن تقوم إلا بالاستناد إلى الدين الموسوى» حسبما يقرر ناثان وينستوك Nathan Win-stock فى كتابه «الصهيونية ضد إسرائيل» Le Sionisme Contre Israël ، «فإذا ما ألغينا مفهوم «الشعب المختار» وفكرة «أرض الميعاد»، فإن أساس الصهيونية سينهار، ولهذا السبب تستمد الأحزاب الدينية قيمتها من التواطؤ مع الصهيونيين الذين لا يؤمنون بالدين، فالحزب الاجتماعى الديمقراطى (الماباى) هو الذى قرر، بناء على توجيه بن جوريون، تدريس الدين كمادة إجبارية فى البرامج الدراسية، ولم تقرر ذلك الأحزاب الدينية»[٦] .

وهكذا فخلال فترة مخاض الكيان الوليد الذى تم الإعلان عنه فى ١٥ مايو ١٩٤٨، اصطرع فى أوساط التكتلات اليهودية اتجاهان أساسيان :

الأول: ويمثله قطاع ملموس فى أوساط التيارات السياسية الصهيـ ـنية (الخالصة) إذا صح التعبير، والذى كانت منطلقاته تميل إلى منازع علمانية، تخشى من عواقب التسليم بدور أكبر لدعاة تديين المجتمع، وترى فيهم جنوحًا إلى الارتدادية، والرجعية الفكرية، والتقليدية الكهنوتية التى تنتمى إلى ماضٍ سحيق، مقبضٍ ومزرٍ ينبغى الخلاص منه، فلقد كانوا يعتقدون - مثلما عبر «بن جوريون»- أن «الحياة لو تركت لحاخامات اليهود لظلوا حتى الآن كلاباً ضالة فى كل مكان، يضربهم الناس بالأقدام، ويحتمى اليهود من أقدام الأغلبية

× لابد من ملاحظة المغالطات العميقة الكامنة فى استخدام هذه المفاهيم، فلا اليهود شعب واحد متجانس متحد السمات على مر حقب التاريخ، ولا الصهيونية حركة «تحرر قومى» بأى معنى من المعانى.

(٤) المصدر نفسه ، ص ص : ٢٧١ - ٢٧٢.

(٥) المصدر نفسه ، ص : ٢٧٣.

(٦) روجيه جارودى، ملف إسرائيل : دراسة للصهيونية السياسية، بدون مترجم، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣ ، ص : ٨٦.

الساحقة لهم فى كل مكان بأحلام العودة إلى أرض الميعاد والأجداد، وانتظار المسيح الذى سيهبط عليهم من السماء لينقذهم ويقوم لهم بكل العمل، بينما هو يصلون الفجر والعشاء ويبكون ليلاً ونهاراً »[٧] .

والثانى : وتمثله القيادات البراجماتية العملية، وعلى رأسها «بن جوريون»، والتى كانت مع تسليمها بالتقويم السابق لدور دعاة التدين التقليديين كانت تتقبل التسليم بدور ما للحركات الدينية ودعاتها، دور لا يقود المجتمع ولكنه يسهم فى حشده خلف الراية الصهيونية، ولا يعرقل توجهاتها أو يعرقل خططها الاجتماعية والاقتصادية لكنه يخدم برامجها السياسية، ويحشد من خلفها قطاعات عريضة من «الجماهير المؤمنة»، التى مثّلَ الدين، وكان لازال يمثل، مرتكزاً أساسياً لفهم الوجود والتعامل مع معطيات الحياة.. كان الدين فى عرف هذه القيادات هو «وسيلة مواصلات فقط ينبغى أن نبقى فيها بعض الوقت، لا كله»[٨] .

وانتصر الاتجاه الثانى، وتم التوصل - مع الاتجاهات الدينية - إلى ما عرف باسم اتفاق « الوضع الراهن »، أو « الأمر الواقع »، أو ما أطلق عليه اتفاقية الـ « Que Status ».

ومضمون هذه الاتفاقية تضمنته رسالة أرسلها «ديفيد بن جوريون» - عام ١٩٤٧ - حينما كان يحتل موقع رئيس الوكالة اليهودية، إلى قيادات حزب «أجودات يسرائيل»، أعلن خلال سطورها تعهد قيادة الحركة الصهيونية بمجموعة من الالتزامات ذات الطبيعة الدينية، تمثلت فى ضمان الدولة لعدة مطالب للأحزاب الدينية من أهمها :

١) تعترف الدولة بالقضاء الدينى فى قضايا الزواج والطلاق الخاص باليهود من مواطنى الدولة أمام المحاكم الربانية (الحاخامية)، وتلتزم هذه المحاكم بالحكم وفقاً لأحكام «الهالاخاه» ×.

٢) فى القضايا الأخرى المرتبطة بالأحوال الشخصية يتم الالتزام بأحكام «الهالاخاه» ويتم الأخذ بها أمام المحاكم المدنية.

٣) تمنح الدولة «الحاخامية الرئيسية» صلاحيات لتحديد وتشكيل هذه المؤسسة التى تدعمها الدولة مادياً..

٤) تمنح الدولة فى المجال المحلى صلاحيات للمجالس الدينية، لتحدد تنظيمها وتكون مسئولة عن ميزانيتها.

٥) تهتم الدولة بالتعليم الدينى، وتقيم شبكة من المدارس الرسمية الدينية.

٦) تنشئ الدولة وزارة حكومية للأديان، لها ميزانية خاصة للخدمات الدينية.

٧) تشرع الدولة قوانين تستمد من الشريعة الدينية فيما يختص بالسبت والأعياد والكشيروت (الطعام الشرعى).

٨) يتم إنشاء حاخامية عسكرية تكون لها صلاحيات فى مجال الجيش[٩] .

---

(٧) د. رشاد عبد الله الشامى ، القوى الدينية فى إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، رقم (١٦٨)، الكويت، يونيو ١٩٩٤ ص :٥٤.

(٨) المصدر نفسه.

× الهالاخاه : الشريعة اليهودية.

(٩) المصدر نفسه ، ص : ٧٣.

لقد مثلت اتفاقية الـ (Status Que) نوعًا من حل وسط مقبول للطرفين، منح الاتجاهات الدينية نوعاً من الشرعية والاعتراف، فى مقابل إطلاق يد الاتجاهات (العلمانية) - أو الصهيونية السياسية - فى إدارة شئون الدولة. وكان من جراء هذه الاتفاقية، أن تبدت ملامح دينية عديدة فى الكثير من سمات الدولة الوليدة فنجمة داوود السياسية، وألوان العلم «الأبيض والأزرق السماوى» وهى ألـوان «شال الصلاة»، (الطالوت)، والاستخدام المكثف للمسميات والرموز ذات الطابع الدينى .. إلخ، كلها كانت تعبيرات عن هذا المعنى، ورغم ذلك فإن الأمر لم يخل - عموماً - من صراعات علنية أو مكتومة، ولا انتفت منه الضربات «تحت الحزام»، أو محاولات «لوى الذراع» من طرف فى مواجهة الطرف الآخر، غير أن أبرز رموز التأثير الدينى على «دولة إسرائيل» كان فى مجال التشريع، «الذى يقوم فى أساسه على الدين، وليس على أى طابع اجتماعى آخر، فلمؤسسات القضاء والحاخامية مكانة رفيعة كمؤسسات حكومية رسمية، وصلاحياتها مطلقة فى مجال الأحوال الشخصية»، «لقد حظى «الأرثوذكسيون» (فى هذا السياق) بمكاسب مذهلة»(١٠).

ومنذ عام ١٩٥٥ قننت العلاقة بين حزب «الماباى»، القائد للدولة، والأحزاب الدينية، ولمدة ٢٢ عاماً متواصلة، على أساس هذه الاتفاقية، وحتى حينما انفكت عرى هذا الائتلاف، ظلت الاتفاقية نفسها هى الأساس المعمول به فى التحالف الجديد الذى تم بين الاتجاهات الدينية والاتجاهات الصهيونية اليمينية (تكتل الليكود) عام ١٩٧٧.

كذلك كان الخوف من حسم هذه المسألة، مسألة وضع الدين فى علاقته بالدولة، تحسباً للمخاطر المحتملة على تماسك العناصر الداخلية لها، فى ظل عداوات وحروب مستمرة مع الوسط المعادى المحيط، هو أحد العناصر الدافعة لتأجيل مهمة إصدار دستور، يحدد - بشكل قاطع - الملامح الرئيسية لتوجهاتها، حتى الآن.

غير أن هذا الأمر لم يحل دون الاستدعاء المستمر، من القيادات الصهيونية السياسية للتراث الدينى التوراتى، باعتباره أداة مجربة وناجحة فى جلب المهاجرين والأموال والمساعدات من اليهود والمتعاطفين معهم فى شتى أرجاء المعمورة؛ ولم تثن «ديفيد بن جوريون»، الذى كان يستهدف عبور «المرحلة الحاخامية» فى التراث اليهودى بشتى السبل، عن أن يصرح بأن «خلود إسرائيل يرتبط باثنتين : دولة إسرائيل والتوراة»(١١)؛ لكنه، مع ذلك، كان يتحرك وفى ذهنه تصور مبنى على الاعتقاد بأن دور الدين فى المجتمع الإسرائيلى، سيتجه إلى الاضمحلال التدريجى، فانتعاشه يرتبط بظروف حياة اليهود فى الشتات، والتى تعرضوا خلالها لمحن وأزمات عديدة، كان الدين خلالها وسيلتهم للمقاومة والبقاء، والنزاع بشأن قضايا لها أبعاد دينية سيصبح «أقل حدة مع مرور الزمن، مثله مثل الكثير من المشكلات التى تواجه إسرائيل، وبمرور الزمن سيتضاءل الأثر الذى يستطيع المتطرفون أن يتركوه فى نفوس خصومهم، ويصبح ضعيفاً للغاية»(١٢).

لكن نبوءة بن جوريون السابقة خانها التوفيق هذه المرة؛ فلا النزاع الدينى ذوى، ولا تضاءل الأثر المترتب عليه والذى استطاع المتطرفون من غلاة الصهاينة واليهود أن يتركوه فى نفوس الخصوم؛ بل تزايدت وتيرة نمو الاتجاهات الدينية (صهيونية وغير صهيونية)، (معتدلة) ومتطرفة، حتى أصبح لها - فى بعض الأحيان -

---

(١٠) المصدر نفسه.

(١١) المصدر نفسه ، ص : ٥٣.

(١٢) موشى بيرلمان، مصدر سبق ذكره ، ص : ٢٦٧.

لكلمة الحاسمة فى مصير الحكم وتوجهات السلطة، وفى تحديد من يقبض على مقاليد الأمور فى إسرائيل، وهى - بسطوتها المتزايدة تلك - تمنع، حتى الآن، إقرار دستور الدولة نتيجة الخلاف حول تعريف طبيعتها الأيديولوچية، وتثير العقبات حول قضية «من هو اليهودى»، وتحافظ على الانشقاقات الحادة فى المجتمع وعلى الفوارق بين الأشكناز والسفارديم، حفاظاً على مصالحها ونفوذها المتزايدين دوماً، والمتطورين باضطراد، والأخطر من هذا، أن القوى الدينية اليهودية، قد خدمتها طبيعة العملية الانتخابية وطريقة إدارتها بصورة لم تكن فى الحسبان؛ إذ إنه نظراً لأسلوب الانتخاب بالقائمة النسبية المعمول به فى الدولة الصهيونية، أصبح لهذه القوى - التى كانت ضعيفة فى بداية الأمر - القدرة على التحكم فى مسار العملية الانتخابية ونتائجها برمتها، فهى مثلت «لسان الميزان» السياسى بين (اليمين) و (اليسار) الصهيونيين، وتمكن البعض من دهاقنة الحاخامات - اعتماداً على ذلك - من التدخل لتحديد من الذى يقبض على مقاليد السلطة، الأمر الذى سمح بإطلاق لقب «صانع الملوك» على واحد منهم، «الحاخام شاخ»، بكل ما يعنيه وما يستدعيه هذا اللقب من مفاهيم ومن معان.

وفى مقابل هذا الدور، استطاعت الاتجاهات الأرثوذكسية «ابتزاز الدولة» للحصول على منافع وخدمات متزايدة الحجم والقيمة، وباضطراد، وانهالت ملايين الدولارات على مؤسساتها ومراكزها التعليمية، التى أضحت، مع مرور الوقت، «دولة داخل الدولة»، تصوغ طبيعة «إسرائيل» وتبنى صورتها المستقبلية، ثم كانت الخطوتان الحاسمتان فى هذا السياق :

الأولى : امتداد النفوذ الدينى إلى داخل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ذاتها، ممثلة فى الحاخامية العسكرية من جهة، وفى المعاهد الدينية / العسكرية التى تجند عبرها طلاب المدارس الدينية، (اليشيفوت)، من جهة أخرى.

والثانية : انتشار الوباء الاستيطانى، الذى تصاعدت وتيرته مع انفتاح شهية اليمين الصهيونى لابتلاع الأراضى المحتلة، عقب وصوله إلى السلطة فى انتخابات عام ١٩٧٧، وبروز الدور «الريادى» أو «الطليعى» الذى لعبته العناصر الدينية، والأصولية بالذات، من خريجى المدارس التلمودية، ودور تنظيم «جوش إيمونيم» الأصولى المتطرف، على وجه الخصوص، هذا الدور المدعوم بشدة من قبل الاتجاهات اليمينية المتطرفة داخل الحركة السياسية الصهيونية أدى إلى انتعاش الحركة الدينية، وتنامى طموحها لكى تلعب دوراً شديد الوضوح فى رسم مجريات السياسة فى إسرائيل، بعدما لم يعد يقنعها دور المحرك من خلف الستار.

ويكاد كل المحللين يجمعون على أن وقائع حرب ١٩٦٧ بنتائجها التى لم تكن فى الحسبان، والتى جعلت إسرائيل، بضربة ساحقة غير متوقعة الأثر، تضع يدها الشرهة على مساحات هائلة من الأراضى العربية، المعتبرة ضمن الحدود التوراتية لـ «أرتزيسرائيل» الكاملة، هى اللحظة الفاصلة فى سياق نمو الأصولية فى إسرائيل .. وربما فى المنطقة أيضاً.

لقد اكتملت الدائرة إذن، وتحققت النبوءة، وأعاد الحاخامات إمساك أعنة الأحداث من جديد، ودانت السيطرة لهم بعد عقود من الاستبعاد ومحاولات الإزاحة، وحق لهم أن يقولوا مقالة أحدهم : «رب إسرائيل يلعب لصالحنا مجدداً» !!!

« إن هـذه البـلاد لنا، ولا توجد هنـا أية منـــاطـق عربية، أو أراضٍ عـربيـة، بل أراضــى إســرائيل .. تراث الآباء الخـالد، وهى - فى جميع حدودها الواردة فى التوراة - تابعة للحكم الإسرائيلى » !

الحاخام « كوك » الابن

على مر التاريخ اليهودي، لعب الحاخامات دوراً مركزياً، كانوا فيه واسطة العقد التى التفت حولها الجموع اليهودية، وهم الذين قاموا بتفسير النصوص الدينية، وحماية الفرائض من الانقراض، والزود عن حياض «الشريعة - الهالاخاه» حتى لا تنزوى وتموت، ودافعوا، باستماتة، ضد انصهار اليهود فى المجتمعات التى تواجدوا بين ظهرانيها؛ لأنهم كانوا يعلمون جيداً أن هذا الأمر يشكل الخطر الأساسى، الذى لا يمكن رده، على نفوذ العقيدة، ونفوذهم بالتالى، باعتبارهم حماتها، ورمزها، وحافظى وصاياها، وهمزة الوصل - فى شئونها- بين «الإله»، وشعبه «المختار» !

وهكذا فقد برز على مر التاريخ، مجموعة من الحاخامات، الذين تحولوا، بفعل الاضطهاد وظروف الحياة ليهود «الشتات» فى أحياء الجيتو، بشرق أوربا - على وجه الخصوص - إلى قادة وموجهين، وتمتعوا بتأثير معنوى ومادى كبير الأثر على الجاليات اليهودية المنتشرة هناك، وبلغ تعلق التجمعات اليهودية بهم حد رفعهم إلى مراتب القداسة، واعتبارهم «مراجع» دينية يعتد بها، فيُؤمن بفتاويها، وتُقتبس آراءها، وتُستشار سيرتها لدى كل معضلة يواجهونها، بحثاً عن حل، وتطلعاً ليقين.

وفى العصر الحديث، برز فى صفوف الحاخامات اليهود شخصان تمتعا بهذه الهالة «الكارزمية» التى منحت كلا منهما وضعية مميزة، ومتمازة، فى الأوساط اليهودية،ولازالا حتى الآن - بالرغم من رحيلهما - يمثلان، بواصاياهما التى تتبع وبتعليماتهما التى توضع موضع الاحترام، عنصراً مؤثراً للغاية فى صياغة مواقف وتحركات الجماعات الأصولية اليهودية، وبالذات لدى أكثرها تطرفاً وعدوانية : «جوش ايمونيم» وامتداداتها.

هذان الشخصان هما : الحاخام «إبراهام يتسحاق كوك» (الحاخام كوك الأكبر)، وابنه الحاخام «تسفى يهودا كوك» اللذان سيطرا - ولازالا - بنفوذهما، الروحى والفكرى على أيديولوچية الحركة الأصولية اليهودية، لمدة ثلاثة أرباع القرن، منذ أن عين البريطانيون الحاخام «إبراهام إسحق كوك» (الأكبر) رئيساً لحاخامى فلسطين الأشكناز (عام ١٩٢١)، وحتى الآن، بالرغم من وفاة كوك الأكبر عام ١٩٣٥ ثم وفاة كوك الأصغر (تسفى يهودا) عام ١٩٨٢. ويبدو الأثر الكبير الذى خلفه الأب والابن واضحاً للغاية لدى مراجعة الثوابت الأيديولوچية التى تحدد منطلقات الأصوليين اليهود فى إسرائيل؛ فالمرجعية والطاعة لهذين القطبين مطلقة، والسيادة لأفكارهما واجبة .. إلا فيما ندر، وجحافل المريدين والأنصار والتلاميذ لا تنقطع، يستمر زخمها عاماً بعد آخر، وبالذات من خريجى مركز الحاخام، «مركاز هارب» الدينى المتشدد، والمتميز.

الحاخام إبراهام يتسحاق كوك (الحاخام كوك الأكبر) :

ولد الحاخام «إبراهام يتسحاق كوك» فى شمال روسيا عام ١٨٦٥، واتجه منذ طفولته إلى تلقى أصول التعليم التلمودى، وتأثر بالفكر الصوفى اليهودى (القبالاة) قبل أن يُعين حاخاماً لقرية «زجل» فى «ليتوانيا»، وهو المنصب الذى شغله بين عامى ١٨٨٨ و ١٨٩٥، ومن عام ١٨٩٥ حتى عام ١٩٠٤ تولى منصب الحاخامية لمدينة «بويسك» فى «لتفيا»، وهاجر إلى «فلسطين» عام ١٩٠٤ حيث أصبح حاخاماً لمدينة «يافا». «وقد اعتبر تعيينه فى هذا المنصب ثورة حقيقية فى الحياة الدينية اليهودية فى فلسطين، حيث كان أول حاخام صهيونى بارز بها»[1] .

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص : ٣٣٣.

احتجز اندلاع الحرب العالمية الأولى الحاخام «كوك الأكبر»، فى أوروبا التى كان وصلها ممثلاً لحزب «أجودات يسرائيل» للاشتراك فى الاجتماع الكنسى العالمى، وحين عاد إلى القدس من لندن، التى عمل بها حاخاماً مؤقتاً خلال الفترة (١٩١٦ - ١٩١٩)، أصبح الحاخام الرئيسى للمدينة، و «أول «حاخام أكبر» للطائفة اليهودية الأشكنازية فى فلسطين»[٢] ، واستمر بهذا المنصب منذ عام ١٩٢١ ، وحتى وفاته عام ١٩٣٥.

وللحاخام «كوك» الأكبر بحوثًا فى العلوم الدينية، والتصوف اليهودى، وأعمال شعرية وفلسفية نُشرت فى عدة مجلدات تحت اسم «أوروت» (أضواء).

وقد تمتع الحاخام «كوك» الأكبر بشخصية قوية، منحته (قداسة) ذاتية ونفوذاً روحياً واسع المدى وسط طائفة واسعة من مريديه، وجعلته «قوة» أفكاره و «أصالتها» - بعد أكثر من ثلاثين عاماً على وفاته- صاحب «الأساس النظرى والأيديولوجى لنشأة الأصولية اليهودية المعاصرة»[٣] ، وقد صاغ أفكاره بأسلوب قوى واضح شديد التأثير.

جسر مع الصهيونية والعلمانية:

اتجه الحاخام «كوك» الأكبر إلى تفسير «التفوق المميز للشعب اليهودى»، بـ «حضور الحس الإلهى فى لب وجوده»، وهو الأمر الذى يتيح لليهود، أفراداً وجماعات، الفرصة لاختبار «النور الإلهى» فى صورة غير وثنية، وهو، على عكس الكثيرين من حاخامات اليهود فى تلك الآونة، لم يتخذ موقفاً سلبياً من الصهيونية السياسية، أو يعمد إلى رفضها والوقوف فى مواجهتها؛ بل نظر إليها كقوة ذات أهمية إيجابية باعتبارها حركة رجوع لليهود من شتات طويل الأمد، ومطهر للنفوس كى يستعيد اليهود «رسالتهم الإلهية» وحتى يحققوا الخلاص فى «تمام بهائه»[٤] .

ولم يشتط الحاخام «كوك» الأكبر فى موقفه من الاتجاهات العلمانية التى سادت صفوف الحركة الصهونية ونحت منحىً معادياً للدين، رافضاً للشريعة وطقوسها، معتبراً أن نبذهم «ليس إرادة الله فى شئ .. فالجوهر الداخلى للقداسة اليهودية لازال فى قلوبهم»[٥] ، وبرر مسعى هذه العناصر للمجاهرة بمعاداة التوراة، والتمرد على التزاماتها باعتباره مظهراً من مظاهر المحنة؛ حيث يتزايد «فى أزمة الخلاص الفسق والاستهتار، يتمرد الناس على كل شئ ، يعصون ويرذلون، ويطلبون الكلأ فى المراعى الغربية .. يعتنقون المثل الغربية، ويستهترون بكل المقدسات»؛ لكنه أعلن ثقته فى مآل هذه العناصر إلى حضن الشريعة فى النهاية، بتأثير من احتكاكهم باليهود المتدينين، حاملى لواء الشريعة؛ حيث يدركون المعنى الروحى والخلاصى لمنجزاتهم : «إن شباب المستقبل الإسرائيليين، الحازمين بدناً وروحاً، المضطرمين بهدىً حىٍ عميق، سيتكلمون - إذا مارأوا نهضة شعبهم وأرضهم - باعتزاز عن الأرض المقدسة، ومجد إله إسرائيل، وسوف تهب قوة روحية شديدة

---

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ايان لوستك، «الأصولية اليهودية فى إسرائيل»، ترجمة حسنى زينه، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩١، ص : ٣٨.

(٤) IBRAHAM ISAAC KOOK, The Road to Renewal, Re- Hanir (1909), printed in Tradition, Vol. 3 (winter 1973), P. 144.

مذكورة فى ايان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص : ٣٩.

(٥) ايان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص : ٤٠.

لحيوية فتحرك العظام الجافة التى استمدت بقائها من المنطق البارد والميتافيزيقا الهامدة وانحطاط الشك الفلسفى .. وعندئذٍ تتم النبوءة !»(٦) .

لقد مد الحاخام «كوك» الأكبر جسراً للعلاقة بين الاتجاهات الدينية والصهيونية، وفى ظن كل منهما أنه سيستطيع استعمال الآخر لتحقيق أغراضه؛ حيث كان يعتبر أن الصهيونية العلمانية، ما هى، فى التحليل الأخير، «إلا أداة من أدوات صهيونيته الدينية الخالصة»(٧) ، ومن هنا حاز تعيينه رئيساً لحاخامى فلسطين ترحيب الحركة الصهيونية، ومباركتها.

تعاليمه تبارك الاستيطان :

وقد وجدت الحركة الأصولية فى أفكاره، بعد مرور أربعة عقود على وفاته،التبرير الدينى الذى يسوغ الاستيلاء على الأرض الفلسطينية المحتلة، ويقدم التغطية لأطماعها - التى لا تحدها حدود - فى الاستيطان متزايد الوتيرة بأراضى العرب الفلسطينيين، واعتبرت «جوش ايمونيم»، التى رفعت لواء أفكار الحاخام «كوك» الأكبر وابنه، أن تعاليمه هى الأساس الذى يتيح لها المجال كى تستوعب فى تشكيلها التوراتى الاتجاه «أقلية مهمة من غلاة القوميين العلمانيين ذوى الدافعية العظيمة للعمل»(٨) .. لقد قام الحاخام «كوك» - من مرقده - بمباركة علاقة الطرفين، على أرضية «القيمة الرفيعة المتزايدة» التى نسبها إلى «أرض إسرائيل» والمزايا الفريدة التى أسبغها على عملية تجدد الصلة بين اليهود و «أرضهم» (التى تحققت بعد حرب ١٩٦٧) ، ففتوى الحاخام «كوك» بأن «أرتس يسرائيل»، (أرض إسرائيل)، «جزء من صميم جوهر قوميتنا، وهى مرتبطة ارتباطاً عضوياً بحياتها ولب كيانها، والعقل البشرى وهو فى أسمى ذراه لا يستطيع أن يبدأ فى فهم القداسة الفريدة التى تتسم «إرتس يسرائيل» بها ... الأمل بالخلاص هو القوة التى تحيى اليهود فى الشتات، واليهودية فى «إرتس يسرائيل هى الخلاص نفسه»، رأى فيها المتطرفون الدينيون والعلمانيون مسوغاً شرعياً للتشبث بالسيطرة عليها كاملة غير منقوصة، وراحوا يرددون تعاليم الحاخام «كوك» الأكبر القاضية بالتمسك بـ «الأرض» وعدم التفريط فيها : «نحن مأمورون بأن نقضم بعمق من حلاوة «أرض إسرائيل» المجيدة اللذيذة، ومن قداستها المنشطة القوية : «لكى ترضعوا وتشبعوا من ثرى تعزياتها، لكى تعصروا وتتلذذوا من درة مجدها» [أشعيا ٦٦ : 11]، وعلينا أن نعلن للعالم كله، لأولئك الذين يزوون ضارعين فى المنافى المظلمة، إن القناة التى تجرى فيها الحياة الملأى والنور الغامر والقداسة الحلوة لأرضنا الحبيبة قد بدأت تتفتح»(٩) .

وتبرر الاحتلال:

ولتبرير عمليات التمسك بالأرض المحتلة وتشريع الاتجاه لضمها إلى سابق الأراضى التى استولى عليها الصهاينة، من أرض فلسطين، وأنشأوا فوقها «الدولة الإسرائيلية»، أصدر الحاخام «كوك» الأكبر فتواه الشهيرة الذى اعتبر خلالها أن العيش والعمل فى الأرض المقدسة «يتسفا»، (أى فريضة إلهية)، وعادل فى

---

(٦) IBRAHIM ISAAC KOOK ، مصدر سبق ذكره، ص ص : ١٥٠ - ١٥١

(٧) ايان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص : ٤٠.

(٨) المصدر نفسه، ص : ٤١..

(٩) المصدر نفسه.

قيمتها الفرائض الدينية الأخرى مجتمعة»(١٠) ، ومن هنا يمكن إدراك لماذا تبوأ الحاخام «كوك» الأكبر منزلته الرفيعة فى قلوب كل دعاة الضم والترانسفير والإرهاب المستمر الموجه تجاه عرب فلسطين، أصحاب الأرض الشرعيين الذين انتزعت منهم أوطانهم انتزاعاً، تحت زعم «الوعد الإلهى» لـ «شعب الله المختار».

ومن الثابت أن واحداً من أهم إنجازات الحاخام «كوك الأكبر»، كان قيامه بتأسيس مدرسة «مركاز هاراب» [مركز الحاخام] الدينية عام ١٩٢٤ ، والتى اعتبرت «أول مدرسة صهيونية دينية فى إسرائيل»(١١)؛ وقد تلقى الآلاف من غلاة الدعاة المتزمتين دروسهم الدينية فى صفوف هذه المدرسة، حيث تشربوا تعاليم الحاخام «كوك»، وأفكاره التى تُعلى من القيمة المركزية لـ «أرض إسرائيل» فى الحياة الدينية لليهود× ، وتوحد بين «شعب إسرائيل والتوراة وأرض إسرائيل» . . كـ «مزيج واحد»، وهو المبدأ الذى آمن به نفر من أتباعه المتشددين، الذين أسسوا، فيما بعد، جماعة «جوش ايمونيم»، متبعين شعار : «شعب إسرائيل، فى أرض إسرائيل، بحسب توارة إسرائيل» !

وأفكاره تمجد العنصرية !:

ومن نافل القول، بالطبع، أن مثل هذه الأفكار التى تبناها الحاخام «كوك الأكبر»، وعبر عنها، ونظم صفوف أتباعه ومريديه على أساسها، تُستقى من معين عنصرى شوفينى، استعدائى، استعلائى، متعصب، يؤمن بتمايز وامتياز الجنس اليهودى، ويعتقد بسمات راقية تخصه دون غيره من البشر، وهو القائل فى هذا السياق: «إننا لا نختلف فقط عن باقى الشعوب، بل نختلف ونتمايز بحياة ذات قيمة دينية ممتازة، لا مثيل لها لدى أى شعب فى العالم، لأننا أسمى وأعظم جداً من باقى الشعوب» !(١٢)

ومن الجدير بالذكر أن تأسيس حركة «المزراحى» الدينية، التى أنشئت بمدينة القدس عام ١٩٢١، قد تمت بتوجيه من الحاخام «كوك الأكبر»، وهى الحركة التى كان لها تأثير ملحوظ فى بلورة تواجد حملة الفكر الدينى على ساحة الفعل السياسى فى الدولة الصهيونية.

الحاخام تسفي يهودا كوك:

الابن الأوحد للحاخام الشهير، أول حاخام لفلسطين الحاخام «إبراهام يتسحاق كوك»، أو «كوك الأكبر» كما اشتهر بين اليهود المتزمتين والأصوليين المحدثين، والزعيم المطلق الذى ارتضته جماعة «جوش ايمونيم» راعياً ومرشداً روحيًا لها منذ نشأتها وحتى وفاته عام ١٩٨٢، والمفسر المعتمد لمقولات والده الحاخام الأكبر، وفتاويه وإرشاداته، صاحب الشخصية الكاريزمية المؤثرة، وأستاذ لجيل من عتاة الأصوليين ومتطرفى المستوطنين :

---

(١٠) المصدر نفسه.

(١١) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص : ٩٠.

× يقول الحاخام «كوك الأكبر»، بهذا الخصوص : «إن العقل البشرى، فى أسمى مراتبه، لا يستطيع أن يدرك معنى قدسية «أرض إسرائيل»، ولا يستطيع أن يحرك الحب الكامن فى أعماق شعبنا نحو هذه الأرض، وأن الإبداع اليهودى الأصيل، إن كان فى عالم الأفكار أو فى حلبة الأعمال الحياتية اليومية، لا يمكن تحقيقه إلا فى «أرض إسرائيل»، واليهودى لا يستطيع أن يكون مخلصاً صادقاً فى أفكاره وعواطفه وخيالاته فى أرض الشتات كما يكون فى إسرائيل، فالوحى المقدس بأية درجة كان، يكون نقياً فى أرض إسرائيل فقط، بينما يكون فى خارجها مشوشاً ملوثاً وغير نقى».

(١٢) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص : ٩١.

على رأسهم الحاخام «حاييم دروكمان» والحاخام «موشيه ليفنجر»، والحاخامات «أليعيزر فالدمان»، «ويؤيل بن نون»، و «يسرائيل آريئيل»، و «يعقوب آريئيل» وغيرهم، الذين ادعوا جميعًا أنهم ناقلو الرسالة الأصلية التي جاء بها «إبراهام يتسحاق» و «تسفى يهودا» ومفسروها المعتمدون!

تولى إدارة هيئة «مركاز هاراب» الدينية التي أسسها والده، فجعل منها حاضنة لتفريخ الزعماء المتشددين للأصولية اليهودية؛ حيث اجتذبت أصحاب «القبعات الدينية المنسوجة» من الخريجين الأوائل لمدارس «بني عكيبا» الدينية، وأصبحت مركزاً لتجهيزهم الفكرى وإعدادهم الأيديولوچى، كدعاة لا يهمدون من أجل تحقيق «غايات الرب» وتجسيد تعاليمه، وكان الحاخام «تسفى كوك» قد أسس فى أواسط الستينيات جماعة «نواة متعلمى التوراة الرواد»، «جاحيبليت»، (جذرة، اختصاراً)، وقد تربى بين جنباتها عدد كبير من القادة الأصوليين الذين تزعموا جماعة «جوش ايمونيم»، بعد عدة سنوات، بعدما تشربوا من أفكار الحاخام «كوك»، واستوعبوا توجيهاته وتعاليمه.

تأثر الحاخام «كوك الابن» تأثراً شديداً بأبيه، الحاخام الراحل «كوك الأكبر»، فى موقفه الإيجابى من دعاة الصهيونية السياسية، الذين : «لا يحترمون مؤسسة السبت، ولا يتمسكون بالنواحى الدينية فى تناول الطعام، ولكنهم يبنون الاستيطان اليهودى فى فلسطين»(١٣)، وإضافةً إلى ذلك، فقد اجتذبت شخصية الحاخام «تسفى كوك»، «الرسولية»، جماهير الشبّان المتزمتين – مثلما فعلت شخصية «كوك الأكبر» سابقًا– بتعصبها الشديد لـ «أرض إسرائيل»، الأمر الذى كان يعنى، من وجهة نظره، «الحق المطلق والملكية التامة والوحيدة لشعب إسرائيل فى كافة أرجاء إسرائيل»(١٤)، كذلك تميز بموقفه المنحاز للجيش الإسرائيلى الذى اعتبره : «المبعوث الذى سيحرر جميع أرجاء (أرض إسرائيل)»(١٥) :

... «إن جيشنا المدهش جاهز للقيام بمهماته، وضمان النجاح لكل الجهود المبذولة من أجل ترسيخ جذورنا فى الأرض والاستيطان فى أنحاء أرض آبائنا كلها (...) إن رب الجنود إله يعقوب سيكون معنا ويحمينا»(١٦).

دعوة للغزو والاستعمار والحرب!:

ويقود هذا الموقف العنصرى بالتبعية إلى النتيجة المنطقية التى تبرر الغزو وتحلل الاستيطان باعتبارهما جزءًا من الشريعة الهابطة من السماء، يقول «تسفى يهودا» : «لقد أُمرنا بأن نستولى على الأرض وبأن نستوطن، أما معنى الاستيلاء فهو الغزو، ونحن إذ نؤدى هذه المتسفا (الفريضة)، نستطيع تأدية الأخرى : فريضة الاستيطان. لقد فُرض علينا فى توراتنا الخالدة أن نستعمر الأرض اليباب (!)، وهذا يعنى أيضاً التى ألم الخراب الروحى بها !... لا قيل لنا باجتناب هذه الفريضة : التوراة ، الحرب ، الاستيطان .. ثلاثة فى واحد»(١٧) يؤثر فيهم فى ذلك الاتجاه.

---

(١٣) دانى روبنشتاين، جوش ايمونيم، عمان – الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٣، ص : ١٤.
(١٤) المصدر نفسه، ص : ١٥.
(١٥) المصدر نفسه.
(١٦) TZVI YEHUDA KOOK "And Again to Break the Yoke of the Gentiles from our neck", Artzi, Vol. 1 (1982) P. 3.
(١٧) TZVI YEHUDA KOOK, "Between the people and its land," Artzi, Vol. 2, (1982), P.19.

ومثله مثل الحاخام «كوك الأكبر»، نظَّر «تسفى يهودا للاستيلاء على الأراضى العربية، ومنح هذا التوجه العدوانى بعداً دينيا توراتيا لا منجاة من الامتثال له :

يقول الحاخام «تسفى يهودا كوك» : «لقد أمرنا بأن نستولى على الأرض، وبأن نستوطن : التوراة - الحرب - والاستيطان .. ثلاثة فى واحد»(١٨) .

والذين يعرفون الحاخام «تسفى يهودا كوك»، ولديهم دراية بأفكاره يستطيعون أن يدركوا خطورة مثل هذه الفتوى/التوجيه، ومدى فداحة تأثيرها على الأجيال الجديدة من أصولى إسرائيل، لابسى «الطواقى المزركشة»، حاملى الرشاشات، المنتشرين فى المستوطنات الصهيونية المقامة على امتداد الأرض العربية المحتلة .. فالحاخام «تسفى يهودا كوك»، هو، بدون أدنى مبالغة، الأب الروحى لحركة الاستيطان الحديثة، وعراب العنف والعدوانية الأصولية اليهودية المعاصرة.

لقد كانت أفكار الحاخام «تسفى كوك»، بمثابة معزوفة لعبادة القوة وتمجيد الحرب والتغنى بـ «رب الجنود»؛ إذ عندما تندلع الحرب، كما يقول «تسفى كوك» : «تُستجاش قوة المسيح، لقد آن أوان العندليب، إنه يغنى على الأفنان، الأشرار يزولون من العالم، والأرض تُعطر، وصوت القُمرى يسمع فى ربوعنا» ! ويعلق الحاخام «فالدمان» مؤمِّنًا على هذه الدعوة لتجييش الدين وتديين الصراع : «ومن سوء الطالع أنه ليس من الممكن بُعد أن يتم الخلاص بأية طريقة أخرى .. غير الحرب» (١٩) !.

وماذا عن أصحاب الأرض الأصليين من الفلسطينيين العرب الذين أطلقوا عليهم اسم «السكان»، أو «الأقليات» ؟! يقول «تسفى كوك» : «عليهم أولاً أن يقروا بعدم التقدم بأى مطالب تتعلق بالسلطة السياسية (...) فمن المستحيل علينا إنكار حقيقة أننا لا نقر لهم بأية حصة فى الحكم، ولا مجال للمناقشة معهم إلا بعد أن يعرفوا هذه الأمور»، ويستند «تسفى كوك» فى هذه الفتوى إلى التضمينات الهالاخية المعتمدة على أصول الشريعة» لمفهوم الـ «جاز توشاف»، أو (الأجنبى المقيم)، الذى يتوجب مراعاة «وصايا نوح السبع» فى التعامل معه، ومضمونها يقوم على ضرورة قبوله بسيادة اليهود ودفع الضريبة لحكومة إسرائيل والإقرار بقداسة التوراة والخضوع لقوانين الدولة اليهودية وحظر تملك الأرض لغير اليهود فيها ونقل ملكيتها .. إلخ، وليس هذا فحسب، بل إن رؤية الحاخام «كوك الابن»، امتدت لكى تنسحب إلى حدود ما أطلق عليه «أرض إسرائيل» أو «إسرائيل الكاملة»، التى تتعدى واقع الحدود الحالية للدولة اليهودية بعد اغتصاب فلسطين، فقد أفتى أن «كل عبر الأردن لنا، كل كومة تراب فى كل قطعة صغيرة، كل جزء من تلك الأرض هو جزء من أرض الله، فهل بوسعنا أن نسلم مليمتراً واحداً منها ؟!»(٢٠) بالقطع لا، خاصة فى وجود «جيش إسرائيل» المناط به، على حد تعبير «تسفى كوك»، «تحرير كل أرض إسرائيل»(٢١) !!

---

(١٨) ايان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص : ١٢١.

(١٩) ELEGAR WALDMAN, the struggle on the road of peace, Artzi, Israel, Vol. 3, (1983), PP ١٨ - ٢٠.

(٢٠) المصدر نفسه، ص : ٢٠.

(٢١) ايان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص : ٤٥.

ومن الجدير بالذكر، أن نفوذ هذا الحاخام الواسع، قد انتشر حتى فى أوساط الاتجاهات (اليمينية) الإسرائيلية (العلمانية)؛ أى: خارج الاتجاهات الدينية والأصولية، إلى الحد الذى مكنه من التدخل لتجديد شخصية رئيس حزب «هتحيا»، (النهضة)، عندما أنشئ فى أوائل عام ١٩٧٩، بدعمه للبروفيسور «يوفال نئمان»، «أبو القنبلة النووية الإسرائيلية»، وأحد كبار علماء الطبيعة النووية فى إسرائيل، وأحد غلاة القوميين العلمانيين المتحالفين مع الاتجاهات الأصولية اليهودية لاحتلال هذا الموقع الهام.

اليهود اللوبافتش (الحريديم من طائفة خَبَدْ)

طائفة شهيرة تعتبر واحدة من أكبر طوائف اليهود المتشددين، «الحسيديم»، تضم عدداً ضخماً من المتزمتين دينياً، الذين يعتمدون العقيدة التوراتية - حسب مفهومهم - باعتبارها مرجعية أساسية لحياتهم وكينونتهم، يحيون فى إطارها ومن أجلها، يصيغون واقعهم ونمط عيشهم صياغة خاصة محددة، وثقافتهم ذات سمات مميزة لا يُخطئها بصر.

ويصف الدكتور «رشاد الشامى» هذه الجماعة فيقول إنها، بسبب من أنماط نشاطها وتنظيمها وانتشارها، تُشكل وحدة قائمة بذاتها «ويبدو أن اصطلاح «ميسْدَر»، (أتباع الطريقة) يناسبها أكثر من الاسم «طائفة»، وهم يتميزون بالسمات الواضحة لأصحاب الطريقة، فهم يعترفون بالصلاحية المطلقة لمن يرأسهم، ويتم توجيههم من مركز عالمى واحد، ويخضعون للأوامر والانضباط، ويشكلون شخصيتهم الذاتية فى إطار نمطى لا يمكن الخطأ فى تمييزه . . وربما كانت هذه الجماعة أكثر الظواهر الاجتماعية إثارة للدهشة فى العالم اليهودى المعاصر!»[(١)] .

تأسيسها :

تأسست جماعة «اليهود اللوبافتش» على يد الحاخام «شنيور زلمان»، (١٧٤٥ - ١٨١٣)، لكنها استقت اسمها من المدينة التى عاش فيها الحاخام «دوف بر»، (١٧٧٣ - ١٨٢٧) [مدينة لوبافتش الروسية]، وقد تولى زعامتها سبعة من «الأدمورائيم»× من أبناء وأحفاد الحاخام زلمان المؤسس، آخرهم وأكثرهم نفوذاً وسطوةً الحاخام «مناحم مندل شينورسون»، المولود عام ١٩٥٠، «أدمور» الطريقة الحالى، المقدس المبجل فى نظر أتباعه ومريديه، والمقيم فى مركز إدارة الحركة العالمى، المزود بالتكنولوجيا الرفيعة والإمكانات الضخمة، والواقع فى حى «بروكلين» بولاية «نيويورك»، فى الولايات المتحدة الأمريكية.

وحركة اليهود «اللوبافتش» هذه، يُطلق عليها أيضاً اسم «حَبَدْ» أو «خَبَدْ»؛ أى: حركة «الحكمة» أو «المعرفة» و «الإدراك»× ، وهى حركة شديدة الثراء، عظيمة القدرات، لها نحو ١٥٠٠ مركز منتشر فى أنحاء العالم، منها أكثر من ثلاثمائة مركز موزع على نحو مائة وعشرين مدينة أمريكية، ولها عشرون مركزاً فى روسيا، كما تمتلك فى إسرائيل وحدها ١٤٤ مركزاً، إضافةً إلى عشرات الهيئات والمؤسسات الخدمية التابعة داخل أمريكا، وعلى امتداد العالم، شرقه وغربه، وفى إسرائيل، بل وحتى فى العالم العربى كذلك (فى سوريا وتونس والمغرب) وفى جنوب إفريقيا، ومعظم الدول الإفريقية، وهى تمتلك محطات إرسال إذاعى وتلفزيونى، تُبث عبرها شروح للتوراة وتعاليم زعيمها المطاع، ويتبع الجماعة العشرات من المعاهد والمدارس الدينية، فى العالم وفى إسرائيل، كما تمتلك صحفاً ومجلات ومراكز للنشر والتحرير، وتطبع إنتاجها الفكرى والدعائى بأربع عشرة لغة مختلفة (منها العبرية والعربية واليديشية والفارسية . . إلخ)، وتحتفظ الجماعة بواحد من أهم الأرشيفات اليهودية فى العالم، وعلاقاتها بالعديد من رؤساء الولايات المتحدة وثيقة، منهم «رونالد ريجان»

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص ص : ٢٤٣-٢٤٤.

× الأدمورائيم : لقب يطلق على كبار رجال الدين اليهودى من «الحسيديم»، وهى اختصار للكلمات (أدونينو - مورينو - ربينو) أى (سيدنا ومعلمنا ومولانا)، انظر المصدر السابق، ص ١٤٣.

الرئيس الأسبق، وكذلك بأعضاء مجلس الشيوخ، أما فى إسرائيل فقد انتمى لها العديد من الأعلام منهم الرئيس الأسبق «زلمان شازار» (المسمى على اسم مؤسسها الحاخام «شنيور زالمان»، الذى زار الحاخام «شينورسون» قبل حرب ١٩٦٧، متلمساً دعمه وبركته !: كما أن نفراً من أهم القادة الإسرائيليين كـ «شمعون بيريز» و «يوسف بورج» و «أهارون ياريف» و «مناحم بيجن» كانوا يستشيرونه ويمتثلون أمامه ويطلبون وده!

الحاخام «مناحم مندل شينورسون»:

يمثل «الأدمورائيم» الأخير لحركة «خَبَدْ»، الحاخام «مناحم مندل شينورسون»، حفيد المؤسس، والزعيم السابع للجماعة، ظاهرة «كاريزمية» شديدة التأثير، متفردة النفوذ، واسعة القدرة، يحيط به خمسة وعشرون ألفاً من أتباعه بصورة دائمة (!) . ولد عام ١٩٠٢ فى روسيا، ودرس العلوم الدينية على يد والده، كما درس الهندسة وعلوماً «دنيوية» أخرى فى جامعات : لينينجراد، وبرلين، والسوربون، وهو حاصل على الدكتوراه فى الفيزياء وعلوم الطبيعة، هاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤١، ثم تولى زعامة الجماعة عام ١٩٥٠، يقترب عمره الآن من القرن ! ويملك نفوذاً بالغ القوة إلى الحد الذى جعل الرئيس الأمريكى الأسبق، «جيمى كارتر»، يعتبر يوم ميلاده الثامن والسبعين يوماً «للتربية» فى أمريكا ! فى حين دفع هذا النفوذ، الرئيس «رونالد ريجان» إلى أن يعلن يوم ميلاده الثمانين «يوماً وطنياً للتأمل[٢] » ! وقد بلغ من اتساع مدى سطوة هذا الرجل أن خطبه التى يلقيها باللغة اليديشية ويحضرها عشرات الآلاف من أتباعه، تبث بالأقمار الصناعية إلى مريديه بشتى أنحاء العالم، فى أوروبا وإسرائيل واستراليا وأمريكا اللاتينية

فى يقين أتباع هذه الطريقة أن زعيمهم الحاخام «شينورسون»، هو «المسيح المنتظر» فيؤمنون بقداسته، وارتفاع قامته وسمو منزلته، ورفعة علمه، ويعتقدون عن تسليم أن «شروط المُخلِّص قد تحققت فيه»[٣]، وفى منتصف شهر أبريل عام ١٩٩٢ غمرت الملصقات وإعلانات الطرق الدولة الصهيونية؛ حيث أعلن عبرها أتباعه أنه على وشك تحقيق «النبوءة»، وإعلانه عن نفسه باعتباره «المسيح المُخلِّص»، بمجرد «تلقى الأوامر الإلهية بذلك !!»، وهو «المشروع» الذى رفضته بحَسم المراجع الإسلامية، فوصفه الدكتور «أحمد عمر هاشم»، أستاذ الحديث والتفسير بجامعة الأزهر، آنذاك، باعتباره محض «هوس فكرى وجنون يطبق على بعض العقول»، ورأى أن «شينورسون» : «مخرف يهودى الخزعبلات، وهو ليس أكثر من دجّال، مثله مثل كثيرون فى مصر والعالم كله !»[٤] ، وكان «شينورسون» قد مهد للإعلان عن هذا الأمر، بقوله فى مؤتمر عالمى عقد عام

× كان الحاخام «شينور زلمان» يرى أن العقل يحتوى على ملكات ثلاث مترابطة هى «حكماه»، (الحكمة)، «بنياه»، (الفهم)، «دعة»، (المعرفة)، وهى – فى رأيه – أمهات الغرائز العاطفية المعروفة؛ ولتركيز مؤسس الجماعة على هذه القواعد الثلاث التى اشتهرت بها، أصبح فكر جماعة «الحسيديم اللوبافتش» يسمى «خَبَدْ»، وهى كلمة مركبة من الحروف الأولى للكلمات العبرية السابقة، وتنطق «خَبَدْ»،لأن اليهود ينطقون الحاء خاء.، «وأصبحت الكلمة اسماً لفكر هذه الجماعة وعلماً عليها». انظر جعفر هادى حسن، «حركة اليهود اللوبافتش : تأسست فى روسيا وانتشرت فى أمريكا»، (١/٥)، جريدة «الحياة» الدولية، ١٩٩٢/٤/١٧.

(٢) جعفر هادى حسن، حركة اليهود اللوبافتش : تأسست فى روسيا وانتشرت فى أمريكا، (٢/٥)، جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٢/٤/١٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٢/٤/١٧.

١٩٩١، أن «اليهود يريدون إنهاء حال «الشتات» التى يعيشون فيها، وأن كل المؤشرات على ظهور المُخلِّص قد ظهرت وبانت، وأن الوقت قد حان للخلاص النهائى والخلاص الأخير، عن طريق مسيح مُخَلِّص !!»(٥) .

و «لمناحم مندل شينورسون» مجموعة من الأفكار الغريبة التى ترتكز على الإيمان المطلق بالتوراة، وما احتوته من مفاهيم وتبنته من مواقف، حتى لو تعارضت مع العلم أو المنطق أو العقل؛ لأن التوراة - من وجهة نظره - «كلها مقدسة، وكلها أوحى بها من دون استثناء، وليس هناك جزء منها غير إلهى» (٦) ، ومن هذا المنطلق، على سبيل المثال، يرى «شينورسون» أن عمر الأرض لا يزيد على سبعة وخمسين قرناً (كما ورد فى التوراة !!)، ويحل التناقض بين هذه الرؤية وما تثبته الحفريات والاكتشافات العلمية من وجود قرائن لحياة تمتد إلى ما قبل التاريخ المكتوب، على وجه البسيطة، فيقول عنها : «إنما هى أشياء وضعها الله على الأرض عند خلقه لها فى الفترة المذكورة!»(٧).

مواقف الجماعة من الصهيونية:

حدد الحاخام الأسبق «شالوم دوف بعر شينورسون من لوبافتش»، منذ أوائل هذا القرن، موقف الجماعة المعارض بشدة للصهيونية، التى رأى فيها «مبادرة سلبية لاستعجال النهاية، بما يتناقض مع التقاليد اليهودية المستقرة، الأمر الذى يضر بنبوءة الخلاص الذى ينبغى أن يتحقق بصورة مطلقة و «يوتوبية»، وهو ما يتعارض مع الصهيونية»(٨).

وقد تمسكَ خلفاء «الأدمورائيم» الخامس بهذا الموقف الرافض للعقيدة السياسية الصهيونية، وامتد هذا الموقف حتى الزعيم الأخير «مناحم مندل شينورسون» الذى يعتقد أن اليهود لا يزالون يحيون فترة «المنفى»، ويعيشون مرحلة «الشتات»، وقد أعلن مراراً أنه لا يرى فى الدولة الصهيونية، مثلما يرى البعض، بداية للخلاص الدينى؛ إذ إن هذا الأمر - من وجهة نظره - يرتبط بظهور «المُخَلِّص» وإعادة بناء «الهيكل»، أما ما فعلته إسرائيل فهو لا يعدو توفير فرصة لإنقاذ الكثيرين من اليهود خلال «عصر النفى»، وينظر إليها باعتبارها دولة كسائر الدول الأخرى التى يتواجد فيها أتباعه، فهو القائل: «إن هذه الدولة هى دولة فى حالة نفى، وليست دولة شرعية أصيلة، ولذلك فالهجرة لها تكون هجرة إلى دولة النفى، وهى كأى هجرة إلى مكان آخر يعيش فيه اليهود فى الشتات»(٩) .

وهكذا فلقد ارتكزت مواقف الجماعة المتشددة من المحاولات الصهيونية المتنامية لتأسيس دولة لليهود فى فلسطين، والتى تصاعدت فى أوائل هذا القرن، على أسس رؤيوية مسيحانية خالصة، تتأسس على مفهوم خاص للخلاص، مبنى على يقين بأن اليهود لابد أن يظلوا منفيين، يعانون من عذابات الشتات حتى ظهور «المسيح المُخَلِّص»، الموكل له وحده أمر انتشالهم من آلامهم، وساعتها فقط سيقوم بتأسيس «دولة اليهود» الحقيقية التى سيمتد عمرها لألف عام، ومن هذا المنطلق رفض «الأدمورائيم» الخامس للجماعة «دوف باثر»، المتوفى عام ١٩٢٠، الصهيونية، مؤكداً على أنه «حتى لو اتبع الصهاينة أوامر الإله بشكل دقيق، فإن

---

(٥) جعفر هادى حسن، مصدر سبق ذكره.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) المصدر نفسه.
(٨) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص : ٢٦٢.

ليهودى لا يجوز له أن ينضم إليهم لكى يبحث عن الخلاص بجهود ذاتية»؛ فالأفكار الصهيونية لن تنجح، من وجهة نظر «دوف»، لأنها «تحتوى على كل السموم التى تمزق الروح الإنسانية، وتحطمها، وأن كل قوتهم (الصهاينة) لن تحقق شيئاً، وأنهم سوف لا ينجحون تجاه إرادة الله، فالله وحده سوف يجمعنا من أطراف الأرض الأربعة »(١٠) ، واستناداً إلى ضرورة أن يكون الخلاص «إلهياً»، أفتى «الأدمورائيم دوف بائر» بعدم جواز التعجيل الإرادى الذى يستهدف تحقيق «الخلاص» بواسطة قوة البشر أو نشاطاتهم القصدية؛ حيث «لا يجوز أن تستعمل الأسباب المادية والسياسية لترك الشتات والذهاب إلى (فلسطين)، إذ إن هذه الطريقة تعارض وصايا التوراة، وكذلك تعارض العقيدة الصهيونية، وأمل اليهود الذين يأملون بالخلاص وينتظرون المُخَلِّص النهائى»(١١) .

وقد أتخذت خطوة باتجاه الاقتراب من الدولة الصهيونية، على يد الحاخام الأخير «مناحم مندل»؛ حيث رأى، مع تأكيده على ما تقدم، أن إنشاء الدولة، «كان مبادرة من الإله، والتفاتة منه نحو اليهود، ومن أجل خلاصهم»، غير أنهم أضاعوا هذه الفرصة، وبددوا تلك الإمكانية حين «بنوا وجود المجتمع فى فلسطين على أسس لا يجمعها جامع مع توراة شعب إسرائيل»، وفى رسالة بعث بها إلى «ديفيد بن جوريون»، أول رئيس لوزراء إسرائيل، حذر من خطر «نشوء جيل جديد يحمل اسم إسرائيل، ولكنه مقطوع تماماً عن تاريخ شعبنا وقيمه الأصيلة»(١٢) .

لقد كانت هذه الرؤية «الإيجابية» نسبياً حول الدولة «التى أنشئت بمبادرة من الإله»، على حد تعبير «مناحم مندل شينورسون»، خطوة محسوبة باتجاه اعتبار «شينورسون» نفسه هو ذات «المسيح المُخَلِّص» المرتقب، المناط به أمر جمع شمل اليهود وإلغاء نفيهم، وبناء «دولة يهودا» الألفية !

المواقف العنصرية لليهود اللوبافتش :

ولليهود اللوبافتش مواقف عنصرية فاضحة، تستند إلى أفكار مؤسسها «الأدمورائيم» الأول «شينور زلمان»، التى بثها فى ثنايا كتابه «تانيا»، من جهة، وإلى أفكار الحاخام «مناحم شينورسون» من جهة أخرى؛ حيث يقف مع جماعته على رأس المطالبين بتعديل قانون «من هو اليهودى ؟» لضمان «نقاء الجنس اليهودى المختار !»، ويرى «أن الفرق بين اليهودى وغير اليهودى، هو من النوع الذى ينطبق عليه التعبير السائد (لا وجه للتشبيه)؛ إذ كيف يمكن البحث عن فرق بين شيئين من مستويين مختلفين كلياً ؟! ففى حين يجلس اليهودى فى المرتبة العليا، وينحدر من الصنف الأسمى، تقبع بقية الأمم فى الدرك الأسفل، وتنحدر من أدنى صنف . . فحسبما جاء فى كتاب (الجمارا) المقدس، فإن الجسد اليهودى يختلف كلياً، عن أجساد بقية الشعوب - وأصل أرواح شعوب العالم هو من طبقات النجاسة الثلاث، بينما أصل أرواح بنى إسرائيل هو من الروح القدس ذاتها، وكذلك الأمر بالنسبة للجنين . . فلا وجه للتشابه بين جنينين من مرتبتين متناقضتين، لأن روح

---

(١٠) جعفر هادى حسن، حركة اليهود اللوبافتش : نشأت فى روسيا وانتشرت فى أمريكا، (٥/٣)، جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٢/٤/١٩.

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) من مجموعة محادثات الحاخام شينورسون، المجلد الثانى، ص : ٢٩٧، مذكورة فى ايان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص : ٢٧٦.

الجنين اليهودى، هى النقيض والضد تماماً للجنين التابع لأى شعب آخر» !![١٣] .

وقد اعتبر الحاخام «شاخ» هذه التصريحات «نازية وتعود إلى أفكار بعيدة عن روح التوراة»[١٤] . ومع هذا فلقد استمرت هذه المفاهيم العنصرية وتطورت وتبدت انعكاساتها فى الانفجارات اليهودية الدامية التى راح ضحيتها السود الأمريكيين، واستمرت عدة أيام فى شهرى أغسطس ١٩٩١، وفبراير ١٩٩٢، بمدينة «نيويورك»، وكذلك فى المواقف العنصرية تجاه العرب؛ حيث يتبنى الحاخام «مندل» أطروحات شديدة العداوة والكراهية.

الموقف من الاستيطان والعرب والحرب والفلسطينيين :

يؤيد الحاخام «مندل» فكرة «أرض إسرائيل الكاملة»، ويحض على توسيع مدى الاستيطان وتعميق أركانه فى الأراضى العربية دونما اعتبار لردود فعل العرب أو العالم أو أمريكا ذاتها× (!) ومن هنا كان حماسه لجماعة «جوش ايمونيم الاستيطانية»، وهو يرى أن على إسرائيل «ألا تعيد بوصة واحدة من الأراضى المحتلة عقب حرب ١٩٦٧ التى كان يرى أن على إسرائيل ساعتها، «الشروع فى عملية استيطان واسعة، وأن تغزو أراضٍ عربية جديدة وتحتلها لأنها ضرورية للمفاوضات المستقبلية ولأمن الدولة»، وعقب حرب ١٩٧٣ (التى توقع حدوثها) طرح خطة (نازية) لإجبار سوريا على قبول (السلام)، «بكل سهولة ويسر، وذلك عن طريق الوصول إلى «دمشق» وتطويقها، وقطع الإمدادات والمؤن عنها، ثم قصفها بالقنابل ليل نهار وبلا انقطاع، والاستمرار على هذا المنوال حتى تطلب سوريا الصلح !!»[١٥].

ومن هذه المنطلقات، فمن البديهى أن يرفض هذا الحاخام العنصرى رفضاً باتاً منح الفلسطينيين أى شكل من أشكال الحكم الذاتى؛ حيث يعتبر أن مجرد الحديث عن هذا الأمر «فيه تدنيس للرب وتدنيس للمقدسات»[١٦] ، ونكوص عن «العودة إلى أرض الآباء» بحسب وصايا التوراة التى «تعرض علينا المحافظة على كامل التراب، ورص الصفوف ووحدة الشعب !»[١٧] .

منح أرضنا للأغيار جريمة عقوبتها القتل

. . واغتيال «رابين» .. «عملٌ طيب !» :

ومما له دلالة أيضًا، فى هذا السياق، التصريح الذى أثار عاصفة كبيرة للحاخام «إبراهام هيكت»، من بوسطن، وأحد زعماء حركة اليهود «اللوبافتش» الكبار الذى عارض «منح» أية (أرض إسرائيلية)، فى إطار

---

(١٤) المصدر نفسه، ص ص : ٢٦٧-٢٦٨.

× يقول الحاخام «مندل شينورسون» فى رسالة إلى سكان مستوطنة «عتسمونا» برفح : «ليبارك الله كل واحد منكم، حيث قمتم بالعودة إلى أرض آبائكم واستيطانها، ونعاهدكم على أن نسير منتصبى القامة، رافعى الهامات، لأننا بهذا العمل نسير وفق تعليمات التوراة» !!.

(١٥) د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص : ٢٧٩.

(١٦) المصدر نفسه، ص : ٢٨٠.

(١٧) المصدر نفسه، ص : ٢٨١.

عملية (السلام) الجارية للعرب (!)، وقال : «إن الذين «يعطون» الأرض من أعضاء حكومة «رابين» هم «موسريم»، أو خونة لليهود، ويستحقون القتل بالتالى !» .. «فمن الناحية الأكاديمية، من ناحية القانون اليهودى .. فرابين خائن» . . «فالقانون اليهودى يقول إن أى إنسان يتعمد تسليم ثروة (الشعب) اليهودى إلى غرباء، يرتكب خطيئة عقابها الموت» . . .«إن ما فعله «إيجال عامير» عملٌ طيب» !![18] .

---

(١٨) جهاد الخازن، عيون وآذان، جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٤/١١/١٩٩٥.

« ألمانيا لهتلر .. وإيطاليا لموسولينى .. وفلسطين لنا »

« هتاف صهيونى »

□ □ □ □

« إن مأساة التاريخ المعاصر لليهودية يتلخص فى أنه بدلاً من اكتساب درس من معاناتهم، يتعامل اليهود مع العرب مثلما تعامل النازيون معهم ».

« توينبى »

□ □ □ □

« إن اليهود (المهددين بالإبادة)، يقومون، باسم الموتى، بمد حدودهم بلا عقاب، ويكثرون من الفتوحات، ويتمادون فى اغتصاب الحقوق والأعمال الانتقامية تجاه ضحاياهم الذين لا ذنب لهم سوى رفض التسليم بالمصير الظالم الذى فُرض عليهم .. لقد أصبح لهم أخيراً بدورهم « يهودهم العرب !! ».

« بيير ديميرون »

من كتاب « ديميرون ضد إسرائيل »

□ □ □ □

« لكنهم ليسوا بشراً ... إنهم عرب » !

« أحد قادة حزب العمل »

من كتاب « الصهيونية علي لسان قادتها » يونيل داديانى

□ □ □ □

« المجزرة .. هى استمرار للسياسة عند الصهيونية ».

« إيلان هاليفى »

من كتاب « إسرائيل من الإرهاب إلي مجازر الدولة »

" مائير كاهانا " .. الفاشية تتقدم

١- سيرة حياة صهيوني أصولي فاشي

وصفه كاتب إسرائيلي، فقال :

«إنه ذئب وحيد .. لقد ترعرع على الخوف وحقوق العظمة والمقت، وماجاءت منظمته داخل إسرائيل إلا لتؤكد الكُره العنصرى ضد العرب، ولكى تلجأ إلى المقاومة الإرهابية ضد المعارضة السياسية.

إنها حركة غير ديمقراطية المسعى وفاشية الأصل؛ بيد أنه مابرح، وهو فى أوج شعبيته غريباً على السياسة الإسرائيلية، فلكنة حديثه الأمريكية، وأسلوبه السياسى الأجنبى، وعالمه المشوش قد أضفت عليه وعلى مجموعته صورة السفاحين»(١).

فهل حقاً أن الحاخام «مائير كاهانا» غريبٌ على السياسة الإسرائيلية، أجنبى اللكنة والأسلوب ؟! أم أنه جزء عضوى من البنية الأيديولوچية، والتركيبة النفسية لمجتمع جُبل على العنف وكراهية الأغيار، واحتقار ماعدا الذات ؟!

يحاول «يوشى ميلمان» هنا، وحاول غيره كثيرون أن يتبرأوا من «كاهانا» وحركته، وتصرفاته التى استفزت العالم، وأثارت الغضب العارم على هذه التكوينة المرضية السارية، لكن قبل هذا كان قد مضى أكثر من عشرين عاماً وهو يعيث فى الأرض فساداً، يدمر ويفجر ويقتل ويتوعد، دون أن يعترض معترض أو يرتفع صوت صهيونى بالاحتجاج.

وفى الوقت الذى كان ضابط بوليس إسرائيلى يقول إن «كاهانا وأتباعه من الأمريكان قد أتوا إلى إسرائيل لكى يلعبوا لعبة رعاة البقر والهنود الحمر»(٢)! (وطبعاً معروف فى هذه اللعبة من سيكون الطرف الهندى ؟!) كانت أبواب الكنيست الصهيونى تنفتح على مصراعها لاستقباله استقبال الأبطال، وأنصاره فى كل مكان يرددون مقولاته، وينفذون أوامره .. فيحيلون الأرض العربية إلى جحيم تتفجر بالموت والدمار تحت أقدام أصحابها الشرعيين ..

فمن هو «مائير كاهانا» ؟ ومن هى «كاخ» و «كاهانا حى» ؟! ولماذا أثاروا ما أثاروه من عواصف؟!

ومع أن «مائير كاهانا» - على غرابة أطواره - لا يمثل حالة خاصة أو نسيج وحده داخل «المنظومة الصهيونية» .. إلا أنه حالة متفردة، ذات سمات قلّ نظيرها فى سوقيتها وابتذالها.

عاصفةٌ هوجاء من الحقد والكراهية الممضة؛ وكتلة كثيبة من الغلظة والإجرام .. إنه الصهيونية فى انكشافها وعريها .. على طبيعتها الفجة، مجردةً من كل عناصر الخداع، وحيل التمويه والتجميل اللازمة للتسويق والعرض العام.

---

(١) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص : ١٨٦.

(٢) د. رفائيل ميرجى - د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ١)، يوليو ١٩٨٧.

مائير كاهانا، سيرة حياة فاشي أصيل :

وُلد «مائير كاهانا» فى الأول من أغسطس عام ١٩٣٢، لعائلة حاخامية ممتدة، كانت تقيم فى صفد بفلسطين، ثم تركتهـا وهاجرت إلى الولايات المتحدة فى مطلع القرن، استـقـر أبوه الحـاخام «تشـارلز كاهانا» فى حى «بلانبـوس» النيـويوركى، وتولى الإشـراف على تعليم ابنه «مـائيـر» ولم يأل جهـداً فى تربيتـه وإعداده - كإرهابى واعد - لكى يلعب دوره المستقبلى المقدر.

فى صباه، انضم «مـائير كاهانا» إلى حركة «بيتار» الشبيبة الصهيونية، التى أسسها «زئيف جابوتنسكى»، عرّاب العنف الصهيونى وزعيم الحركة «التصحيحية» المتطرفة، واشتهر كعنصر صدامى، استفزازى، حينما قام، عام ١٩٤٧ (وكان عمره وقتذاك خمسة عشر عاماً)، بقذف «إرنست بيفان» وزير الخارجية البريطانية الأسبق، بحبات الطماطم العفنة، أثناء مناقشته للمسألة الفلسطينية بمقر الأمم المتحدة ..

ثم لم يلبث «كاهانا» أن ترك «بيتـار» لنزاع مع قادتها. درس القانون لكنه فشل فى الحصول على إجازة فيه فكان أن اتجه إلى الدراسات الدينية حيث نُصِّب حاخاماً عام ١٩٥٥ بالمحفل اليهودى بنيويورك، ثم مالبث أن فُصل بعد عامين «بتهمة الهوس الدينى المفرط»، ومن هنا كان اتجاه أنظاره إلى فلسطين المحتلة، بحثاً عن دور يلعبه، بعد أن انضم إلى واحدة من المؤسسات الدينية اليهودية المتعصبة «حركة بنى عكيفا»، وفى فلسطين المحتلة، (إسرائيل)، فشل فى الحصول على اعتراف بأحقيته فى «الحاخامية»، فعاد خائب المسعى، ثانيةً إلى أمريكا.

وبعد عودته إلى نيويورك انضم «كاهانا» إلى هيئة تحرير المجلة اليهودية الأسبوعية المتطرفة «Jewish Press»، ثم أصبح رئيساً لتحريرها، وراح من خلالها - ينفث سمومه ويبث أحقاده.

فى مطلع الستينات استعاد «كاهانا» علاقة قديمة بزميل سابق فى حركة «بيتار» هو «يوسف توربه»، الوثيق الصلة بأجهزة الأمن الأمريكية. كانت الهزيمة الأمريكية فى فيتنام، آنذاك، تشد انتباه الملايين من الشباب الأمريكى، وتدفعها القسوة اليانكية المتناهية للتعاطف مع الشعب الفقير الذى يأبى التفريط فى استقلاله. وعلى الضفة الأخرى .. كانت مؤسسات الأمن وأجهزة الاستخبارات الأمريكية تبذل جهوداً طائلة لاختراق حركات الشباب والطلبة الأمريكيين المناهضين للحرب العدوانية، عن طريق خلق مؤسسات عميلة، تحت مسميات مختلفة، ومنها «معهد الأبحاث الموحد للاستشارات» الذى أسسه «توربه»، وشاركه فى نشاطاته «مائير كاهانا» بعد أن حمل اسماً مستعاراً هو «مايكل كنج»، الذى عمل فى المخابرات الأمريكية تحت إشراف الضابط «جوزيف تشيريا»،وبعدها أسس الزميلان معاً «حركة الرابع من يوليو»، (نسبة إلى يوم الاستقلال الأمريكى)، التى استهدفت أيضاً تجنيد الطلاب الأمريكيين فى الجامعات المختلفة، لتأييد الحرب ودعم العدوان.

ويحاول «كاهانا» فى حواره مع مؤلفى كتاب «مائير كاهانا : الحاخام الذى يخيف اليهود» تبرير عمالته لأجهزة الأمن الأمريكية، بأن دوافعها كانت التجسس على جمعيات طلابية معادية للسامية، ولدعم الولايات المتحدة فى حربها ضد فيتنام لإيمانه بأن أمريكا الضعيفة ستكون «شيئاً بغاية السوء بالنسبة لإسرائيل»، باعتبار أن الولايات المتحدة هى التى تحمينا (إسرائيل/اليهود) من الاتحاد السوفييتى»[٣] .

---

(٣) د. رفائيل ميرجى - د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ٤)، أكتوبر ١٩٨٧.

وباعتباره «ملكياً أكثر من الملك» ذاته، فحينما قرر الرئيس الأمريكي الأسبق «ريتشارد نيكسون» تحطيم جليد العلاقات مع الطرف السوفييتي، احتج «كاهانا» وقرر قطع صلته بالمخابرات الأمريكية !! لكنه لم يُضِع وقتاً؛ إذ استبدل هذه العلاقة بأخرى جديدة مع عصابات مجرم المافيا المعروف «جو كولمبو»، زعيم «رابطة حقوق الأمريكيين ذوى الأصل الإيطالى» ! واستمر فى ممارسة أعمال الإجرام و«البلطجة» حيث حكم عليه بالسجن لخمسة أعوام (مع إيقاف التنفيذ!) بتهمة القيام بتصنيع متفجرات وحيازتها !

كانت حرب ١٩٦٧ لحظة فاصلة وهامة فى مسار حياة «مائير كاهانا» إذ اتجه عقبها نحو المزيد من العمل المكثف المرتبط بالحركة الصهيونية المباشرة، فأسس عام ١٩٦٨ «رابطة الدفاع اليهودية» كتنظيم شبه عسكرى مقره مدينة نيويورك، على غرار منظمات الشبيبة النازية، وألبسها أزياء شبيهة، واختار لها شعاراً نجمة داوود تتوسطها قبضة فولاذية، تماماً مثلما كان للمنظمات النازية، ثم قام بتنظيم عمليات تدريب عسكرى لمنتسبى الرابطة الجدد، فى معسكر «كاتسكيل»، أعدوا فيها إعداداً حربياً متميزاً، وتدربوا خلال مرحلة الإعداد على الرماية وتصنيع القنابل والمتفجرات .. وخلال فترة زمنية وجيزة بلغ عدد أعضاء الرابطة نحو أربعة عشر ألف عضو، منتشرين على امتداد الولايات المتحدة وكندا وفى دول أوروبية مختلفة أهمها انجلترا وهولندا، وجعل لها مهمة محددة : تصفية «أعداء الصهيونية»، وضرب معارضيها .. ثم انطلق فى حالة من السعار الإرهابى - دون خشية من عقاب - لتدمير مراكز ورموز العمل العربى والفلسطينى، وكذلك المؤسسات الدبلوماسية والنشاطات الفنية السوفيتية، تحت زعم إجبار الاتحاد السوفيتى على إطلاق حرية خروج اليهود ومنحهم حق الهجرة إلى «إسرائيل»؛ وقد حُكم عليه بالسجن لمدة عام (مع النفاذ هذه المرة!)، قضاها مدللاً مُنعَّماً فى أحد فنادق «منهاتن»، متناولاً وجباته «الشرعية» فى الخارج على نفقة الحكومة الأمريكية، بحجة أنه من غير الدستورى إرساله إلى معتقل «ألن وود» فى بنسلفانيا، الذى لا يقدم طعاماً يهودياً حلالاً إلى نزلائه (!) .. أما التهمة فقد كانت محاولة اختطاف «أناتول دوبرين»، السفير الروسى فى أمريكا، ووضع عبوات ناسفة فى السفارة العراقية بواشنطن ! والأغرب مما تقدم أن سجن «مائير كاهانا» هذا، لم يمنعه من ممارسة كافة أنشطته التنظيمية مع أعضاء رابطته، أو الدعائية بالاجتماع مع الصحفيين ومندوبى التلفزيون ووكالات الأنباء !

وإزاء ردود الفعل السلبية، ثم المعادية، خاصةً بعد مقتل الفتاة اليهودية «إيريس كونز»، (٢٧ عاماً)، سكرتيرة الوكيل الفنى للفرق السوفيتية الراقصة، اليهودى «سول هاروك»، اضطر «كاهانا» إلى تجميد نشاط «رابطة الدفاع اليهودية»، ثم الهرب ثانيةً باتجاه فلسطين المحتلة، فى الوقت ذاته الذى كان ينشر له فى نيويورك كتاب «لن تتكرر أبداً»، مانيفستو الإرهاب الصهيونى المستحدث والفاشية الجديدة، أو الطبعة الكاهانية المنقحة من كتاب «كفاحى» لأدولف هتلر كما وصفوه .. والذى زعم فيه أن اليهود يواجهون حرب إبادة منظمة تمتد باتساع الكون كله (!)، ودمغ - عبر سطور الكتاب - المؤسسات اليهودية كافةً بـ «التعفن» و «الخيانة»، وقدم نفسه على صفحاته، باعتباره رمزاً لأبطال «يهودا»، وخليفة «المكابيين» على مر الأجيال.

رحل كاهانا إلى فلسطين المحتلة، حسبما يشير «تاميير كوتلير» فى كتابه «هايل كاهانا !»، قادماً من أمريكا إلى (إسرائيل)، لكى «يخدم أهداف السياسة الأمريكية الخارجية، ومؤدياً دوره الإرهابى الكلاسيكى»[٤] .

---

(٤) مذكورة فى : وجيه حسن قاسم (أبو مروان)، نظرة جديدة فى التحالف الصهيونى الإمبريالى، القاهرة، دار البيان، ١٩٨٧، ص: ٩١.

عقب وصوله مجدداً إلى فلسطين المحتلة (عام ١٩٦٩)، أسس «كاهانا» حركة «دوب» (قمع الخونة !) بالقدس، وميزها بنفس شعار «رابطة الدفاع اليهودى» : نجمة داود التى تخترقها قبضة فولاذية مهددة، وبدأ نشاط «قمع الخونة» بسلسلة من الممارسات الإرهابية المصحوبة بأشكال مدروسة من «البروباجندا» الإعلامية، (والتليفزيونية أساساً)، استهدفت الطلاب العرب ومجموعات الشباب المعارضة لتوجهاته فى الجامعات، وإذ وقعت أحداث دورة الألعاب الأوليمبية فى ميونخ (١٩٧٢)، والتى أدت إلى مصرع اثنى عشر رياضياً صهيونياً، اعتبر «كاهانا» نفسه مندوباً للعمل الدموى فى مواجهة العرب، وأعلن ساعتها بوضوح أنه «ليس هناك إلا رد واحد على «الإرهاب العربى» هو الإرهاب اليهودى المضاد باستخدام العنف»، مؤكداً أن تحت تصرفه العديدين من المتطوعين، من بينهم أعضاء سابقين فى المنظمات الإرهابية الصهيونية «الأرجون» و«شتيرن»، وعقب هذا الإعلان خطط كاهانا لتهريب متفجرات وأسلحة - على طائرة تابعة للخطوط الجوية البريطانية - لاستخدامها فى اختطاف طائرة مدنية مصرية وتحويل مسارها باتجاه «تل أبيب» ! كما اكتشفت قوات الأمن فى ٦ أكتوبر ١٩٧٢ مخبأ للأسلحة والقنابل اليدوية والمتفجرات ، داخل قاعدة تل أبيب الجوية، كان «كاهانا» يعتزم تهريبها إلى الولايات المتحدة، لاستخدامها فى الهجوم على الدبلوماسيين السوفييت والعرب مجدداً، واعتقل «كاهانا» من جراء هذه الوقائع لكن تم الإفراج عنه بكفالة عشرة آلاف دولار، ويعلق على ذلك مؤلفا كتاب «مائير كاهانا : الحاخام الذى يخيف اليهود»، قائلين إننا «إذا كنا نعرف مرات التهريب الفاشلة، فنحن بالقطع نجهل مانجح منها».

وبعد أن أنهى «مائير كاهانا» انتسابه إلى فرقة عسكرية، بالضفة الغربية المحتلة، لاستكمال فترة الاحتياط العسكرى الضرورية بحسب القوانين الإسرائيلية، عاود ممارساته الإرهابية التى تم توجيهها، بإحكام وتصاعد، تجاه العرب الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة بغية إكراههم على الرحيل من وطنهم؛ فنظم عام ١٩٨٠ سلسلة اعتداءات ضد عُمد مدن وقرى الضفة الغربية من العرب، وكان «كاهانا» قد اعتُقل مع سكرتير حركته «بارون جرين»، فى مايو ١٩٨٠، إدارياً بسجن الرملة، بعد أن تسربت معلومات إلى جهاز الأمن الإسرائيلى تكشف عن مخابئ هائلة للمتفجرات والأسلحة، منتشرة فى مواقع مختلفة، تكفى حسبما وصف الخبراء فى شرطة القدس «لنسف الحى اليهودى برمته»، وبعدها بيومين ألقت أجهزة الأمن القبض على عنصرين من الجيش الإسرائيلى، على علاقة بالجناح العسكرى لحركة «كاهانا»، لكن «كاهانا» لم يمض فى السجن سوى سبعة أشهر قبل أن يفرج عنه بتدخل مباشر من «مناحم بيجن» رئيس الوزراء الصهيونى آنذاك، وفى مارس ١٩٨٢ قام «هارى جودمان»، بتحريض من «كاهانا»، بإطلاق الرصاص على عربيين فى المدينة القديمة بالقدس فأرداهما قتيلين، ثم قام عدد من أتباعه باقتحام مسلح لأتوبيس فلسطينى على مشارف «رام الله»، كما أبدى «كاهانا» مساندته لعملية قتل طلبة الجامعات الإسلامية بالخليل.

أما عام ١٩٨٣، فقد شهد وقوفه أمام محكمة العدل الدولية بالقدس، حيث وصفه محامى الدولة بأنه : «نازى بكل معنى الكلمة، والنظرية التى يروج لها، وكذلك ممارساته، متجانسة مع النظرة النازية البغيضة»، وكان ممثل الدولة يدافع عن قرار وزارة التعليم الصهيونية بحرمان «كاهانا» من دخول المدارس الحكومية والالتقاء بطلابها، والترويج بينهم لأفكاره !

مع بداية عام ١٩٨٤، أعلن عن بداية نشاط جماعة حملت اسماً موحياً «.T.N.T» (إرهاب ضد إرهاب)، والتى دشنت أعمالها بنسف أتوبيس فى القدس أدى إلى استشهاد أربعة من الفلسطينيين، واشتُبهَ فى أن هذه الجماعة هى الذراع المسلح لحركة «كاخ» الكاهانية، وخلال السنوات الخمس التالية أوقف «كاهانا» أكثر من

عشر مرات، وتم التحقيق معه بشأن انتهاكاته وانتهاكات حركته، «كاخ»، للقوانين واعتداءاته الدامية على العرب، لكن بدون إدانة .. والسبب دائماً : «عدم كفاية الأدلة» !!

ومع تصاعد المد اليميني، الصهيوني، الذي جسده وصول تكتل الليكود إلى السلطة واتجاه المجتمع، في أغلبه، إلى مواقف أكثر محافظة، ومع تصاعد عمليات التحريض العامة ضد العرب والفلسطينيين، والحملات الداعية إلى مزيد من التشبث بـ «أرض إسرائيل الكبرى» المزعومة، استطاع «مائير كاهانا»، بعد محاولتين فاشلتين عامي ١٩٨١ وقبلها ١٩٧٧، أن يصبح عضواً بالكنيست بعد أن حصل على خمسة وعشرين ألف صوت (١,٢٪ من إجمالي الناخبين)، وذلك في انتخابات عام ١٩٨٤، وقد كان لهذه النتيجة وقع الصدمة على الأوساط السياسية الصهيونية في إسرائيل؛ إذ استطاع زعيم حركة «كاخ» العنصرية أن ينجح في فرض اسمه كسياسي وعضو فاعل في «الكنيست» بالرغم من إقرار المحكمة العليا الإسرائيلية بأن «حركة «كاخ» تعمل لصالح الأوضاع العنصرية والمعادية للديمقراطية، وتساعد في العلن أعمالاً إرهابية، وتشعل نار الكراهية بين القطاعات المختلفة من السكان، وتنال من المشاعر الدينية لبعض الجماعات، وتقوض أسس (الديمقراطية!) الإسرائيلية ذاتها !».

وبمجرد أن نال «كاهانا» الحصانة البرلمانية، بدأ مجدداً في التحرش بالسكان الفلسطينيين بقرى مثلث الجليل حاثاً سكانها العرب على الرحيل، الأمر الذي أدى إلى رفع الحصانة عنه - جزئياً - في ٢٥ ديسمبر ١٩٨٤، مع تحديد حرية حركته في مناطق سكنى العرب، ثم بعدها عاود الكرّة بالذهاب إلى الخليل، في مظاهرة استعراضية، للاحتفال بمقتل القيادي العربي «فهد القواسمة» على يد إرهابي من أتباعه! واستمرت ظاهرة «كاهانا» وتنظيمه «كاخ» وأتباعه تستقطب الآراء حولها بشدة؛ ففي حين رآه مشايعوه مثل «يوشع» منطلقاً في غزوه لـ «أرض الميعاد»، نظر منتقدوه إلى أفكاره واعتبروا أن تطرفه «يُضفي على اليمين المتطرف احتراماً !»، ومن سخرية التاريخ، يقول مؤلف كتاب «مائير كاهانا : الحاخام الذي يخيف اليهود» أن هذا التطرف قد دفع بالليكود إلى وسط اليمين ، على لوحة الشطرنج السياسية الإسرائيلية» مقارنة بـ «أدولف كهانا» وجماعته ، كما كان يطلق عليه خصومه عن حق !

كان «كاهانا» كما يصفه أتباعه، يعتبر نفسه «خلفاً لأنبياء إسرائيل» ويؤمن بأن الله قد اختاره لإنقاذ «شعب إسرائيل»، وهو صاحب الرسالة والمرجع الأول بين أتباعه، وهو وحده مقياس الصواب والخطأ، يدرك ما ينبغي فعله، ومالا يتوجب عمله، هو سيدهم بلا منازع، اعتاد الانعزال في جبال القدس، كالناسك في صومعته (!)، «حين يتكلم بين أتباعه يُصاب بالهذيان، والزبد يرغي من فمه، وأجفانه تتقلص وترتخي بحدة سريعة كأن الرجل أصابه مس، يكثر الاقتباس من الكتاب المقدس، أمنيته دولة يهودية دستورها الشريعة اليهودية المتعصبة، البشرية في مفهومه منقسمة إلى يهود وأغيار .. وهؤلاء في نظره مخلوقات منحطة !»(٥).

في يوم ٦ نوفمبر ١٩٩٠، في قاعة محاضرات بفندق «ماريوت ماركيز» بحي «مانهاتن» في «نيويورك»، بينما كان «كاهانا» يلقي واحدة من محاضراته العنصرية على جمهور من مشايعيه، أتوا للاحتفال بتأسيس «المنظمة الصهيونية للإغاثة العاجلة والتهجير» .. دوت رصاصات هادرة، سقط على أثرها «مائير كاهانا»

---

(٥) درويش ناصر (المحامي)، الفاشية الإسرائيلية، عُمان - الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٠.

مضرجاً بدمائه .. ثم لفظ أنفاسه .. واتُّهِمَ شاب مصرى من بورسعيد اسمه «سيد نصير» بقتله×. العدالة تتحقق، وحسب شريعة التوراة التى ظل يزعم أنه ينافح عن تطبيقها، فالعين بالعين والسن بالسن ومن قتل يقتل ولو بعد حين.

٢- أيديولوجية الفاشية الكاهانية:

يجسد «مائير كاهانا» أبلغ تجسيد نموذج الغوغائية السياسية التى تتوجه لاستثارة الغرائز الدنيا للجموع البسيطة، ولاستدعاء المخزون العدوانى الذى تم تكريسه على امتداد عشرات طويلة من السنين .. إن تجربة «هتلر» تتكرر مرة ثانية؛ لكنها هذه المرة بصورة معكوسة، وعلى يد واحد من ضحاياه المفترضين، وفى مواجهة شعب برئ، لم يكن له ضلعٌ فيما حدث، فكما أشارت الشخصية المسيحية الفرنسية البارزة «الأب بيار» فى كلمة ألقاها لدى زيارته لغزة : «فإن أوروبياً مُعمداً ومارقاً يدعى «أدولف هتلر»، هو الذى تسبب فى هذه الفظاعة المرعبة، التى نسميها «المحرقة»، المتمثلة بإبادة يهود على أيدى النازيين، وقد حاول الأوربيون، بعد انتهاء الحرب، البحث عن بعض السبل لتصحيح الضرر الذى ألحق فى شكل عبثى وجنونى بأحد (الشعوب)، لكنهم ألقوا عملياً مسئولية إبادة اليهود على العالم العربى الذى لم يضطهد يوماً على مر العصور (الشعب) اليهودى .. لقد أردنا نحن الأوربيين - أضاف الأب بيار - غسل أيدينا عبر تحميل إناس غير مذنبين ثمن المغفرة .. ولهذا أطلب منكم أنتم عرب فلسطين وأشقاؤنا المغفرة»(٦) .. غير أن الشكل الوحيد للمغفرة التى كان يطلبها «مائير كاهانا» من عرب فلسطين، هى أن يتركوا وطن الأجداد ومثوى الأحفاد .. لأن العربى الطيب، كما ارتأته الصهيونية، وعبرت أصواتها من قبل، هو العربى الميت، أو فى أحسن الأحوال، «العربى المغادر».

لكن بساطة «كاهانا» ليست بساطة ساذجة، إن أفكاره المصاغة بكلمات واضحة وصريحة، وشعاراته الحزبية ليست إلا «ثمرة ديالكتيك بارع ورهيب : هل من الممكن للدولة أن تكون يهودية وعلمانية فى نفس الوقت ؟! بمعنى آخر : هل تتفق اليهودية والديمقراطية ؟! - لا : هكذا يرد الحاخام الغريب، الذى يمتلك من الجرأة ما يجعله يقول بصوت عالٍ إنه ليس ديمقراطياً، وأن استمرار حياة اليهود يمر عبر طرد العرب خارج «إسرائيل»!!.

وبخليط من الهلوسة الدينية، والعدوانية السياسية المعجونة بالعنصرية، والمدفوعة بإحساس عميق بالنبوة والرسالة، نمت حركة «كاخ» واتسع نطاقها، وصار بطشها سيفاً معلقاً على رؤوس الجميع، وتصرف زعيمها الحاخام «مائير كاهانا» باستمرار، بجرأة مقطوعة النظير تطاول حدود الصفاقة والوقاحة، لكنه لم يجد أبداً من يردعه .. لماذا ؟ لأنه، على حد تعبيره،: «كان يقول ما يفكر فيه الآخرون، ولا يجرأون على البوح به» .. إنه يعرفهم جيداً ويعرف أكثر أنه يفضح مكنونات صدورهم هم الذين أجادوا - على مر التاريخ - النطق بما لا

× بعد مقتل «كاهانا» تصاعدت صرخات الانتقام من أتباعه، وقتل مستوطنون من جماعته زوجين فلسطينيين بالرصاص فى نابلس، وأطلق جنود الجيش الإسرائيلى النار عشوائياً على المواطنين الفلسطينيين فى شوارع فلسطين المحتلة فقتل وأصيب أكثر من خمسمائة فرد، واعتقلت قوات الأمن المئات من العرب، كما اعتقل «جوران جولدن»، وهو يهودى إسرائيلى/أمريكى من عناصر «كاخ»، بينما كان ينقل قنابل ومتفجرات بهدف إلقائها على المصلين فى حرم المسجد الأقصى، وفى الذكرى السنوية الأولى لمقتله حسب التقويم اليهودى، نفذ «باروخ جولد شتاين» (عضو حركة كاخ)، مذبحة الحرم الإبراهيمى، يوم ٢٥ فبراير ١٩٩٤، التى راح ضحيتها تسعة وعشرين شهيداً، بينما كانوا يؤدون صلاة الفجر !.

(٦) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٥/١٠/١٩٩٥.

يؤمنون به، والتعبير عما لا يعتقدون فيه. وفى الوقت الذى كان الجميع يغنى معزوفة السلام الوهمى، ويقبلون الوجنات ويبتسمون لعدسات الكاميرات، كان «مائير كاهانا» يقول صادماً الجميع، يهوداً وعرباً، : «إن التوراة لا تمنع القتل ولكنها تمنع الاغتيال» !! وإذن فهو الفعل، والفعل دائماً، بما فى ذلك الإرهاب»[٧] ، ثم إنه يملك القدرة على السخرية المريرة المعبرة : «عندما رأى موسى [٨] المصريين يضربون يهودياً، لم يشكل لجنة لدراسة جذور معاداة السامية !» .. وهو، كموسى أيضاً، لن يشكل لجنة، وإنما سيبادر إلى الفعل، وسيتحرك لكى يقتل/المصرى/العربى/الفلسطينى، الذين اجتمعوا على اليهودى كى يقتلوه (كما يدّعى)، وقبل أن يقتلوه كما (يزعم) !

ويتفق كل الذين يتناولون دراسة ظاهرة صعود «كاهانا» وحركته الفاشية على أن هناك أسباباً موضوعية ساعدت على سرعة انتشار هذه الظاهرة واتساع نطاقها، وأول هذه الأسباب، بلا جدال، الظروف التى واكبت عملية «زرع» اليهود الشرقيين الفقراء، الذين أتوا بتراثهم الروحى وعاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم «الشرقية»، وكان من العسير عليهم تجاوزها أو التنكر لها. فـ «لازدهار الفاشية لا يكفى وجود طبقة فقيرة تعيش عيشة الكفاف والمذلة. الفاشية بحاجة إلى طبقة جُردت من ثرواتها الروحية والمادية. اليهودى المراكشى والعراقى الذى قدم إلى هذه البلاد، خسر كل ثرواته التربوية، حيث قُذف به إلى حياة كان نصيبه فيها المذلة أينما وجد، وحيثما كان إذلاله أمام نفسه وأمام أبنائه».

«ومثل هذا الإنسان قد يجد عزاءه بالانتساب إلى العنصر المختار، «شعب الله» المختار، بالهتاف إلى زعيم مختار، قادر على كل شئ .. بالانتساب إلى عصابة مغاوير، وعلى الأخص باضطهاد إنسان أضعف منه : عربى، زنجى، أو يهودى .. وبتعذيبه وإذلاله !».

«الفاشية هى عكاز الإنسان المعوق» !![٩]

وهذه الفكرة التى أشار إليها الكاتب العربى الذى يحيا تحت الحراب الإسرائيلية درويش ناصر، هى ذاتها ما يؤكد الكاتبان الفرنسيان «د. رفائيل ميرچى ، د. فيليب سموند» فى كتابهما : «مائير كاهانا : الحاخام الذى يخيف اليهود»، أنهما يقولان بوضوح إن جذور «كاهانا» ليست فقط سياسية، إنما هى أيضاً اجتماعية وأيديولوچية، فالذين يعطون أصواتهم لـ «كاهانا» هم الفقراء من اليهود الشرقيين، القليلو الحساسية للغة الأرستقراطية العمالية المتخشبة، إن السفارديم، اليهود الشرقيون الأكثر حرماناً، منبوذو المجتمع اليهودى قد تبنوا منبوذ السياسة، لقد حصل «كاهانا» على٣٣٪ من أصوات سكان مدن التطور (مجمعات فقيرة خصصت لليهود الشرقيين)، وعلى ٣٢٪ من داخل الموشاف (القرى التعاونية) الدينية، وعلى ٢٣٪ من داخل الأحياء الفقيرة بالمدن الكبرى، وكلها يسكنها يهود شرقيون، ونفس الظاهرة فى الجيش أيضاً[١٠] .

وقد يرفض البعض هذه الرؤية، ويحاجج بأنه فى أوروبا وحتى فى أمريكا بكل ما تمثله من غنى وبحبوحة، فإن الفاشية أخذت تطل برأسها فى السنوات الأخيرة،وهذا صحيح إلى حد كبير، غير أن ما يتعلق فى بنمو ظاهرة

---

(٧) د. رفائيل ميرچى - د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره.
(٨) المصدر نفسه.
(٩) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، ص : ٦٥ - ٦٦.
(١٠) د. رفائيل ميرچى - د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره.

«الفاشية الصهيونية»، وما يجعلنا ننظر إلى اليمين الصهيونى المتطرف بخطورة أكبر- مجموعة من الأسباب رئيسية ذات أهمية بالغة :

أولها : على حد ما يشير «باتريك سيل» أنه يجرى فى الأقطار الأوروبية (وبالذات فى فرنسا وبريطانيا وألمانيا)، إدانة هذه المجموعات الإرهابية والتشهير بها بانتظام، أما فى إسرائيل، فإن الأمر على العكس تماماً؛ حيث لم يقم سياسى بارز أو حتى حاخام واحد، بإدانة هذه الجماعات علناً، أو إدانة برنامجها الداعى للتمييز. إن «مائير كاهانا» لم يكذب، فلو مددنا خط الأفكار اليمينية المتطرفة، أو أفكار كتلة «ليكود» والمعسكر «القومى» حتى منتهاها لوجدنا أن دعاوى «كاهانا» «تفضلها ببساطتها (!)». فالمطالبة بطرد العرب ليست فقط متفقة مع السياق، وإنما هى تترجم بكل تأكيد الأفكار الحقيقية لبعض السياسيين، والجنرالات الأكثر لباقة. «فهم يحلمون بطرد العرب، ولكن «بلطف» ! أو عن طريق هجرة جماعية تكون مسببة عن نزاع مسلح يتحمل الدول المجاورة مسئوليته» !!(١١) .

و«كاهانا» نفسه مدرك كل الإدراك لهذا البعد الهام فى حركته، وهو القائل فى تقديمه لكتابه «شوكة فى عيونكم» إن الخطر الذى يمثله بالنسبة للحكومة الصهيونية المرتبكة، إنما يكمن فى «وجود شركاء صامتين لى فى أفكارى. إنهم مئات الآلاف من يهود إسرائيل «الذين بدأوا الإعراب عن تأييدهم لى، ومنحى القوة اللازمة لتقوية أفكارى»(١٢) ، وهنا مكمن الداء.

وثانيها : أن المتطرفين الدينيين الإسرائيليين يعملون فى إطار تفكير معين خاص بهم، لايمت إلى المنطق أو العقل بصلة، وعقولهم ملأى بالأفكار والآراء الخاصة بالخلاص اليهودى، والكثير منهم يعتقد أن نهاية العالم صارت وشيكة للغاية، وأن على إسرائيل أن تطهر نفسها بطرد العرب الذين يدنسون «الأرض الموعودة»، ويعتبر هؤلاء أن «بيجن وشارون» خونة لإقدامهم على تسليم سيناء مرة أخرة للمصريين(!!).

وثالثها : أن الخطر الكبير من هذه الحركات المتطرفة ينبع من كونها تحظى بدعم عدد متزايد من الشباب (١٨ - ٢٢ عاماً)(١٣) .

وإذا علمنا أن فى إسرائيل الآن عشرات الآلاف من الشباب يتابعون دراساتهم الدينية بشكل يستغرق كل وقتهم، ويتلقون دروسهم على أيدى حاخامات شديدى التطرف، فى مدارس دينية شديدة الانغلاق، ويدرسون أفكار عتيقة شديدة العنصرية .. لأمكننا تصور المستقبل مع هذه النوعية من الشباب، وتوقع ملامحه.

والأخطر من ذلك أن نسبة مهمة من أصوات المجندين الشباب فى الجيش الإسرائيلى (١٠ - ١٥٪) صوتوا لحزب «تحيا» (النهضة) اليمينى، و ٢,٥٪ لكاهانا فى آخر انتخابات خاضها، وبواسطتها احتل موقعه فى الكنيست عام ١٩٨٨.

وهذه الأفكار، التى يكمن من خلفها حاخامات الدم والموت الإسرائيليين، هى ذاتها التى دفعت «إيجال عامير»، الشاب اليهودى المتزمت لاغتيال «إسحق رابين» رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق، وهو شديد

---

(١١) المصدر نفسه

(١٢) مائير كاهانا، شوكة فى عيونكم، عُمان - الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط١، ١٩٨٥، ص : ١٤.

(١٣) باتريك سيل، مخطط حافل وراء المتطرفين الاسرائيليين : مجلة المجلة، لندن، العدد (٢٤٦)، ١٧-١٩٨٤/١١/٢٠.

الاقتناع بأنه نفذ أمراً إلهياً، وأنه بفعلته هذه يرضى الرب وينفذ مشيئته، وفي كل الصور التي نشرت له عقب إلقاء القبض عليه، أو أثناء التحقيق معه، يبدو شديد الرضا عن نفسه، هادئ البال مبتسماً ... وبراءة الأطفال في عينيه !

٣- حدود الكاهانية : كاهانية بلا حدود

محور الأيديولوجية الكاهانية يدور حول فكرة مركزية واحدة : كيف ينبغي طرد العرب الفلسطينيين من بلادهم، واستكمال الهيمنة الإسرائيلية عليها بصورة مطلقة غير قابلة للنقض أو الانتقاض.

وهي الأيديولوجية التي شرحها «كهانا» باستفاضة، وأعاد شرحها مراراً وتكراراً في الكتب العديدة التي كتبها، مثل-:«شوكة في عيونكم»، و «أربعون عاماً»، و «عن الإيمان والخلاص»، وكذلك في الحوارات الصحفية التي أجريت معه، وفي مشاريع القوانين التي قدمها - باعتباره عضواً في الكنيست - وكذلك في وثائق حركة «كاخ» الأساسية وإعلاناتها السياسية.

ينفي «كاهانا» - بدايةً - أية إمكانية لأن يعيش العرب الفلسطينيون، أو من يطلق عليهم «عرب أرض إسرائيل» مع يهود «أرض إسرائيل» تحت راية دولة «يهودية/صهيونية»؛ ذلك أن «الدولة اليهودية» تعني تفكيراً وعلاقات يهودية، وتعني حضارة يهودية، وروحاً يهودية في جمهور يهودي، وفوق ذلك كله تعني «سيادة يهودية» و «سيطرة يهودية» في هذه البلاد.(١٤)

فوثيقة «الاستقلال»، (إعلان قيام دولة إسرائيل) تحدد بحسم أن هذه البلاد (أي فلسطين السليبة) هي وطن اليهودي وليس العربي، كما يقول «كاهانا»، والعرب لا يشعرون بأية علاقة إيجابية أو شعور تجاه دولة يهودية الروح؛ بل إن كل العرب، وضمنهم «عرب إسرائيل»، يعتقدون بأن الإسرائيليين لصوص، جاءوا إلى المنطقة لكي يسلبوا جزءاً منها من أصحابها الشرعيين، والظاهرة الخطيرة - يقول «كاهانا» - أن أشد العرب عداءً للدولة الصهيونية هم المثقفون، فالعرب المتعلمون بالذات هم متطرفو المستقبل، وقادة وزعماء الثورة الوطنية القادمة ضد إسرائيل، وهم يرفضون لقب «عرب أرض إسرائيل»، ويجاهرون بالانتماء إلى فلسطين، وهم يقولون علناً - كما عبر واحد منهم - بأنهم لا يعترفون «بالحقوق التي تسمونها تاريخية للشعب اليهودي في هذه الأرض، هذا هو مبدؤنا الأساسي، يوجد على هذه الأرض حق تاريخي للشعب العربي الفلسطيني فقط».(١٥)

ويزيد من قتامة مصير الدولة الإسرائيلية فعل ما يطلق عليه «كاهانا» اسم «شيطان الديموجرافيا»؛ حيث يرى «كاهانا» أن أخطر أسلحة العرب في صراعهم ضد العدو الإسرائيلي هو الأطفال (١٦) العرب الذين لم يتوقفوا عن العمليات «الإرهابية»، ظلوا يلدون الأطفال «بكثافة قاتلة»، وإذا استمر الوضع على هذا المنوال، فالتوقعات الإحصائية تؤكد أن العرب سيشكلون نحو ثلث سكان الدولة عام ٢٠٠٠ (٢ مليون عربي في مقابل ٤ ملايين يهودي)؛ إذ إن نسبة التكاثر السنوي لدى «عرب إسرائيل» تحتل المكانة الرابعة في العالم (قبل الهند) وتصل إلى ما بين ٤٠ - ٤٥ بالألف، في حين أن نسبة التكاثر الطبيعي اليهودي تتراوح بين ١٧

---

(١٤) مائير كاهانا، مصدر سبق ذكره ص : ٢٠.
(١٥) المصدر نفسه، ص : ٩٤.
(١٦) المصدر نفسه، ص : ١١٦.

- ٢٢ بالألف، ونصف عدد السكان العرب فى إسرائيل هم فى سن ١٥ عاماً وثلثى السكان يبلغ عمرهم ٢٢ عاماً، فيما متوسط عمر السكان اليهود يقارب الـ ٣٠ سنة، ونسبة وفياتهم أعلى من مثيلاتها العربية، والهجرة اليهودية المضادة تزيد الأمر سوءاً، إضافة إلى تأخر سن الزواج بالنسبة للشباب الإسرائيلى (بسبب ظروف الخدمة العسكرية) ، كما أن ظاهرة الإجهاض المقصورة تقريباً على الفتيات اليهوديات، وتأثر اليهود الشرقيين (السفارديم) بعادات الغرب فى تحديد عدد الأطفال .. كل هذا وغيره من العوامل تضاعف من الآثار السلبية المدمرة لـ «شيطان الديموجرافيا» القاتل.(١٧) ، وهو يهدد بانفجار الوضع فى البلاد حينما يشعر الفلسطينيون بقوتهم، بعد أن تتحقق لهم نسبة الربع أو الثلث فى عدد السكان فى الدولة، وسيشاهد العالم الاضطرابات والثورات على شاشات التليفزيون، وستنفجر القنابل، ويسقط عشرات القتلى فى الاصطدامات التى ستقع بين المواطنين العرب والجنود الإسرائيليين.(١٨)

ويضاعف من حجم الكارثة - من وجهة نظر «مائير كاهانا» - مزاعم الديموقراطية التى تعلنها الدولة، والتى نصت عليها «وثيقة الاستقلال»، فى فقرتها الرابعة، بتضمنها «المساواة فى الحقوق الاجتماعية والسياسية، بصورة كاملة، بين جميع مواطنيها ، رغم كونهم عرباً وليسوا يهوداً» .. إن الديموجرافيا والديمقراطية يتحدان معاً لنشر التضليل والخداع، فالتناقض بين العرب واليهود «مطلق تماماً»(١٩) ، ويستحيل حله على أسس ديمقراطية تكفل للطرف العربى حقوقاً معترفاً بها فى الدولة اليهودية، بل يجب الاعتراف - مرةً وإلى الأبد - بأن هناك مجابهة بين الدولة اليهودية - الصهيونية والحلم اليهودى؛ وبين النظريات الحديثة للديمقراطية والمدنية، ولا يجب أن يعتذر اليهود عن طابع دولتهم وطبيعتها ، فالدول العربية أو الإسلامية التى ينص دستورها على طابعها العربى أو الإسلامى، لا يحتج أحد على عنصريتها ، يقول «كاهانا» محاججا: كما أن الإفريقيين لا يعتذرون عن إصرارهم على الاحتفاظ بلون دولهم الأسود(٢٠) واليهود ، الذين عانوا طوال ألفى عام من الشتات والاضطهاد تعلموا الدرس جيداً، وهو ألايكونوا أقلية مرة أخرى أبداً : فهذا وطنهم وهم لن يسلموه للعرب مطلقاً، وإذا كان العربى يفضل أن يعيش فى بيته ووطنه الذى يسوده الجو العربى، فليرحل إلى واحدة من أكثر من عشرين دولة (عربية) أقيمت من أجله، ففيما تمثل هذه الأرض أرضنا الوحيدة، فإن لدى «عرب إسرائيل» الإمكانية بأن يعيشوا حياتهم والاندماج فى أية واحدة من تلك الدول مع أبناء شعبهم العربى.(٢١)

وإذا لم تقبلهم الدول المحيطة فماذا سيكون ؟! يرد «كاهانا» ببساطة، لن أطلب من أحد أن يقبلهم .. سأحتل مداخل الأردن من الجانبين، ونحاصرهم هكذا لمدة أسبوعين، ثم نقوم بإخلاء العرب، وفى هذا السياق .. فإن مذابح «صبرا وشاتيلا» التى نفذتها عصابات الكتائب الفاشية بدعم القوات الإسرائيلية الفاشية لدى احتلال بيروت (١٩٨٢) تمثل عملاً مجيداً كان ينبغى على الإسرائيليين أن يتولوه بأنفسهم .. لقد كان على إسرائيل أن تفعلها أثناء دوران القتال .. كان لابد لهذه المعسكرات أن تقصف، ولمساكن المدينتين أن تُدك !!(٢٢)

---

(١٧) المصدر نفسه، ص ص : ١١٦ - ١١٨.
(١٨) المصدر نفسه، ص : ١٢٦.
(١٩) المصدر نفسه، ص : ١٢٧.
(٢٠) المصدر نفسه، ص : ١٣١.
(٢١) المصدر نفسه، ص : ١٣٤، ٦٣ - ٦٤.
(٢٢)د. رفائيل ميرجى - د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ٢)، أغسطس ١٩٨٧.

إن «عرب إسرائيل»، كما يعترف «مائير كاهانا» يمثلون أقلية لها طموحاتها الوطنية التى لا يمكن شراءها ببعض التحسينات فى مستوى معيشتهم، كمدهم بالكهرباء، أو السماح لهم بالتعليم العالى .. إلخ؛ ذلك أنه كلما ازداد التقدم الاجتماعى والاقتصادى والسياسى لدى العرب - يقول «كاهانا» - كلما زاد تطرفهم وتعصبهم القومى، ومعاداتهم ومقاومتهم للدولة الصهيونية(٢٣) . فالصراع العربى- اليهودى فى إسرائيل، ليس صراعاً اجتماعياً أو اقتصادياً أو حتى سياسياً، إنه أعمق من ذلك بكثير : إنه يتصل بجذور الدولة الذات، فطالما ظلت إسرائيل مصرة على وصف هذه الدولة كدولة يهودية، وطالما ظلت متمسكة بالعقيدة اليهودية والصهيونية، القائلة بأن الأرض ملك للشعب اليهودى، ستزداد الكراهية والاصطدامات وسفك الدماء، وهذه هى الحقيقة التى لا يملك زعماء إسرائيل الجرأة على الاعتراف بها.(٢٤)

وكيف تحل هذه المعضلة إذن ؟! لا يوجد سوى حل واحد، من منظور الفاشية الكاهانية : هو طرد العرب خارج الأرض، أرضهم بدلاً من إعادتها لهم، وللسخرية المرة، فإن «كاهانا» يرى أن الذين يدعون إلى إبعاد العرب خارج «إسرائيل»، إنما يفعلون ذلك من خلال أحترام الإخلاص العربى، وإيمانه القائل بأن هذه الأرض سلبت منه، ومن خلال المعرفة بأن العربى لن يستطيع محبة «الدولة اليهودية» أو التضامن معها !!(٢٥)

ولابد من إنجاز هذا الأمر قبل استفحال المشكلة وتعذر السيطرة عليها، فإن جيوش الدول العربية المرابطة على (حدودنا) لا تشكل مشكلة .. إنما المشكلة الرئيسية تكمن فى القنبلة الزمنية التى تدق بهدوء، ومن ثم سيرتفع صوت دقاتها داخل إسرائيل .. وكل يوم يمضى يقرّب العرب من تحقيق هدفهم : الأغلبية بينما يجلس اليهود الصهاينة «مشلولين مكتوفى الأيدى»(٢٦) .

ولذا فليس هناك من أمل سوى «أن نطرد العرب من أرض إسرائيل»(٢٧) .

لقد كانت «أكبر بركة» حظى بها اليهود، مع قيام دولتهم عام ١٩٤٨، هى الهروب العشوائى وعديم المنطق، الذى جاء نتيجة للرعب الذى تملك العرب وجعلهم يهربون من دولة اليهود الجديدة، مخلصاً الدولة من أقلية كبيرة كان من شأنها تخريبها من الداخل، لكن الإسرائيليين لم يكملوا عملية إخراج العرب من حدود الدولة اليهودية، لو فعل اليهود ذلك، لكانت هناك، فى الواقع، عملية «تبادل سكانى» يتم فى إطارها إعادة العرب واليهود (المقيمين فى الدول العربية والذين هاجروا إلى إسرائيل)، كلٍ إلى أبناء شعبه. لكن هذه الفرصة الذهبية ضاعت، وضاعت مثلها فرصة أخرى عام ١٩٦٧؛ حيث أهدرت المنحة التى منحها الرب لشعبه مرة ثانية، لطرد جميع أعدائه .. فقد كان باستطاعة إسرائيل التخلص من «السرطان»، والانتهاء من «الكابوس» المزعج، الذى يتمثل بضم ٨٠٠,٠٠٠ عربى حاقد على إسرائيل إليها(٢٨) .

---

(٢٣) المصدر نفسه، ص : ٦٦.
(٢٤) مائير كاهانا، مصدر سبق ذكره، ص : ٦٦.
(٢٥) المصدر نفسه، ص : ٦٤.
(٢٦) المصدر نفسه، ص : ٢٠١.
(٢٧) المصدر نفسه.
(٢٨) المصدر نفسه، ص ص : ٢١٠ - ٢١٢.

الخطة الكاهانية :

وعن طريق لعبة سياسية مخادعة تبدأ من الحسم النهائى لموضوعة أن الأرض الفلسطينية هى «أرض إسرائيل» الممنوحة من الرب لشعبه المزعوم، ينطلق «كاهانا» ليبنى مجموعة من المشابهات النظرية الكاذبة تدعم حججه، وتقوى براهينه : إننى أريد أن أطرد العرب من المسجدين اللذين فى هضبة (المعبد)، (المسجد الأقصى وقبة الصخرة)، ليس للعرب الحق فى أن يتواجدوا بها. هل باستطاعتكم أن تتخيلوا ما كان المسلمون سيقولونه لو أن اليهود بنوا معبداً فى مكة فى هذا المكان الإسلامى المقدس ؟! إن هضبة المعبد ليست مكاناً مقدساً للمسلمين .. إنها المكان الأكثر قداسة بالنسبة لليهودية. إننى أريد أن أقتلع العرب منه. إننى أريد أن أقتلعهم من هناك .. إننى لا أريد أن أفجر المسجد (الأقصى)، ولكن لو قام أحد بتفجيره، فبكل تأكيد سأصفق له !!(٢٩)

ومن أجل تحقيق هذه الغاية، يقترح «كاهانا» خطة من تسعة نقاط، بمقتضاها يمكن تصفية الوجود العربى فى أرض فلسطين السليبة نهائياً، وإتمام عملية الإحلال اليهودى الصهيونى محله :

١- إن دولة إسرائيل قامت وقائمة الآن من أجل الأمة اليهودية فقط وبذلك تشكل الدولة اليهودية وطناً للشعب اليهودى، وكل من هو ليس من الشعب اليهودى لا يحق له الحصول على هذه الجنسية، والعضوية فى شعب إسرائيل يمكن الحصول عليها بالدخول فى الديانة اليهودية(٣٠) .

إن من هم ليسوا يهوداً، يحق لهم العيش فى إسرائيل بدون جنسية، وبدون حقوق سياسية، ووفقاً «للاعتبارات الأمنية التى تحددها الدولة اليهودية»(٣١) .

٢- يُعرض على كل عربى فى أرض إسرائيل أن ينتقل بمحض إرادته الحرة إلى دولة عربية، أو إلى أية دولة أخرى يريدها، على أن يتم تحديد قيمة التعويضات التى ستدفع له مقابل ممتلكاته التى سيتركها فى إسرائيل، مع الأخذ فى الاعتبار الديون التى تتحملها الدول العربية للطوائف العربية التى هاجرت من تلك الدول. وسيطلب من دول النفط دفع تعويضات عن ممتلكات اليهود الذين لم يدفع لهم أى تعويض(٣٢) .

٣- العربى الذى يرفض هذا العرض يطلب منه أن يعلن ولاءه للدولة اليهودية بصيغة تظهر اعترافه بكون «أرض إسرائيل» وطنًا للشعب اليهودى، وبالسيادة اليهودية الكاملة، وبحق الشعب الإسرائيلى الوحيد والأوحد فى السيادة على هذه الأرض، ومن يتصرف وفق هذا الطلب يظل فى البلاد كمواطن إسرائيلى، بدون جنسية، وبدون مطالبة بسيادة وطنية وبدون حقوق سياسية (مثل حق الانتخاب) والحكومة من جانبها تحدد عدد مواطنيها من غير اليهود وفقاً لاعتباراتها الأمنية(٣٣) .

---

(٢٩) د. رفائيل ميرجي - د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ٥)، أكتوبر ١٩٨٧.

(٣٠) مائير كاهانا، مصدر سبق ذكره، ص : ٢١٧.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢)، (٣٣) المصدر نفسه، ص : ٢١٨.

٤- العربى الذى يرفض القبول بهذا الوضع، تدفع له تعويضات عن ممتلكاته، ويتم إبعاده إلى دول عربية وليس إلى دول غربية، ولكن إذا أصر العربى على رفضه، يتم إبعاده بالقوة وبدون تعويضات. يتم نقل المبعدين إلى حدود لبنان، أو إلى الأردن، أو المنطقة الفاصلة بين مصر وإسرائيل(٣٤) .

٥- يتم توضيح مشكلة العرب أمام كل يهود العالم، ويتم تفسير وبيان أخطارها إذا لم تحل خاصةً هنا. وسيطلب من يهود العالم تمويل خطة الهجرة، تمويلاً طارئاً(٣٥) .

٦- فى هذه الأثناء، يطلب من كل مواطن لا يحمل الجنسية الإسرائيلية أن يعمل مدة ثلاث سنوات فى إطار كتيبة عمل. لن يقبل أى طلب عربى فى الجامعات إلا بعد أن يقسم يمين الولاء للدولة اليهودية(٣٦) .

٧- تجبى الضرائب بكاملها من عرب إسرائيل، ولا يسمح بالتهرب من الضرائب، وكذلك تتبع سياسة صارمة لمنع استيلاء العرب على (أرض إسرائيل) وكذلك منع إقامة مبان غير قانونية.

٨- تدفع مخصصات التأمين الوطنى لحاملى الجنسية الإسرائيلية فقط.

٩- فى إطار الخدمة العسكرية والوطنية، تقام كتائب عمل لليهود الذين سيتم إعدادهم للقيام بأعمال يدوية وحمائية قاسية. وبنفس الوقت تنفيذ حملة جماهيرية واسعة النطاق من أجل تشغيل عمال يهود (مكان العمال العرب) (٣٧).

إن إبعاد العرب من إسرائيل سيمكن الحكومة من نقل مليارات كثيرة من الدولارات التى كانت تصرف على العرب لتصرف على العائلات اليهودية التى تعانى من الضائقة المالية.

إن معارضى «مبادرة التهجير العربية» هذه - يقول «كاهانا» - يصفونها بأنها «خطة للتحريض على الثورة»، لكن الحقيقة، يذكر «كاهانا» محقاً هذه المرة، أن وجود دولة إسرائيل بالذات هو العنصر المحرض على الثورة(٣٨) ، ومن يصر من العرب على عدم ترك البلاد، وننفى ذاته خارجها «بمحض إرادته !»، سيكونون أعداءها الحقيقيين، والخطرين، والذى يعتبر طردهم «أمراً حيوياً جداً»؛ ذلك أن عملية طرد كل عربى لا يسلم بسيادة اليهود المطلقة على أرض إسرائيل ليست فقط هى الأسلوب المنطقى والعملى لكل يهودى يشعر بوجوده الذاتى، بل هى واجب دينى أيضاً(٣٩) .

فشعب إسرائيل - كما يزعم «كاهانا» - ليس «مجرد شعب»، وإسرائيل أيضاً غير قابلة للإبادة، إنها فريدة من نوعها. مقدسة، اختارها الرب وميزها عن غيرها. لقد اختار الله الشعب اليهودى وألزمه بأن يطبق تعاليم التوراة، ورفضنا لحل مشكلة العرب وفقاً لتعاليم التوراة، هو بالذات الذى سيلحق بنا المعاناة المميتة، فى حين أن جرأتنا فى طرد العرب، تعتبر من العناصر الرئيسية فى تعجيل تحقق الخلاص الكامل(٤٠) .. إن دولة إسرائيل ليست صيغة سياسية؛ إنها مخلوق دينى !(٤١) ولذا فإن أية قوة فى العالم لن تستطيع الحيلولة

---

(٣٤)، (٣٥)، (٣٦) المصدر نفسه، ص : ٢١٨.

(٣٧) المصدر نفسه، ص : ٢١٩

(٣٨) المصدر نفسه، ص : ٢١٩.

(٣٩) المصدر نفسه، ص : ٢١٧.

(٤٠) المصدر نفسه، ص : ٢٢٧.

(٤١) المصدر نفسه.

دون إقامتها، ولن توجد قوة فى العالم تستطيع تدميرها[٤٢] ، و«عرب إسرائيل» يشكلون تدنيساً للرب (المعصية)، وعدم تسليمهم بالسيادة اليهودية على «أرض إسرائيل»، على الرغم من وجود العهد بين اليهود وبين رب إسرائيل، يُعتبر رفضاً لسيادة الله رب إسرائيل وملكوته .. لذا فطردهم من البلاد هو عمل أكثر من كونه قضية سياسية : إنه واجب دينى. موضوع دينى. أمر بإزالة المعصية[٤٣] .

سنواجه مأساة إذا لم نطرد العرب من البلاد، لذا فهيا نطرد العرب من إسرائيل، ونكون قد جلبنا الخلاص لأنفسنا !![٤٤]

حلم "إسرائيل الكبرى" :

لقد جاء فى التوراة، يذكر «كاهانا»، : «أرض إسرائيل .. لقد منحت هذه الأرض لذريتك، من نهر مصر (النيل)، حتى النهر الكبير (نهر الفرات)»، .. لقد أعطى اليهودى (أرض إسرائيل) كمنحة من الرب، وأمر بالعيش فيها، وعندما كان شعب إسرائيل يستعد لاجتياز نهر الأردن، وبينما كانوا فى منتصف النهر، قال لهم «يهوشع» : «لتعرفوا لماذا تجتازون النهر ؟! من أجل أن ترثوا سكان البلاد الذين قبلكم. إذا فعلتم هذا فهو جيد، وإن لم تفعلوه، ستأتى المياه وتجرفنا جميعاً»؛ ومعنى ذلك - يوضح «كاهانا» مرتكزاً على مزاعم توراتية أسطورية - أنكم إذا قضيتم على سكان البلاد (الأصليين، العرب)، فإنكم عندئذٍ ستحظون بحق توريث الأرض لأبنائكم. وإذا لم تقضوا عليهم، ولم تحتلوا الأرض، لن يكون لكم الحق فى أن تورثوها لأبنائكم .. لقد أخذت الأرض من الغرباء - الكنعانيين - لتمكين اليهودى من تنفيذ مهمته التى خلقه من أجلها الله، خالق البشرية، كل البلاد له. لقد أخذ من الكنعانيين أرضاً من أرضه، و «أعطاها» لشعب إسرائيل، شعبه الذى اختاره [٤٥] ، وإبقاء سلطان الغرباء على قسم من البلاد، مثله كمثل محو اسم الله عن الأراضى التى بأيديهم .. هكذا قضى «موسى بن ميمون»، فى «تعاليم الكفرة» : «فى زمن سلطان بن إسرائيل .. محظور علينا إبقاء الكفرة بيننا» ! .. إن التنازل عن أجزاء من «أرض إسرائيل» هو بمثابة إثم يتوجب منعه حتى وإن كلف ضحايا بشرية .. لأن الحرب من أجل البلاد هو جزء أساسى من الحرب التى يحث عليها التلمود والتى تسميها التوراة «حرباً مقدسة»[٤٦] ، وهذه الحرب تستهدف تحقيق الخلاص بأركانه الأربعة :

١- القرار الحاسم لتطبيق سلطان شعب إسرائيل ودولة إسرائيل على جميع أجزاء «بلاد إسرائيل».

---

(٤٢) المصدر نفسه، ص : ٢٢٨.

(٤٣) المصدر نفسه.

(٤٤) المصدر نفسه.

(٤٥) المصدر نفسه، ص : ٢٢٦.

واضح تماماً الأكاذيب والادعاءات الزائفة التى يرتكز عليها «كاهانا» لتبرير دعوته لإنشاء إسرائيل الكبرى، فلم تكن أرض مصر يوماً - على سبيل المثال - ملكاً للكنعانيين حتى يمنحها رب إسرائيل لشعبه المختار المزعوم وهذه التبريرات - فى النهاية - يسهل لكل الشعوب ترددها بشأن أراضٍ أخرى فى دول أخرى تدعى ملكيتها، استناداً إلى تراثها الدينى والأسطورى الخاص؛ الذى يبرر المطالبة بملكيتها كما يفعل الصهاينة ودعاة أرض إسرائيل الكاملة.

(٤٦) مائير كاهانا، من كراس عن الإيمان والخلاص، مذكورة فى درويش ناصر (المحامى)، الفاشية الإسرائيلية، عمان - الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٠، ص : ٣٢.

٢- القرار الحاسم بطرد كل من هو غير يهودى، ولا يعترف بالحق القطعى للشعب اليهودى على كل «بلاد إسرائيل»، ولا يقبل بوضع أجنبى، قاطن، مبتور الحقوق.

٣- القرار الحاسم بحب كل يهودى كما تحبه لنفسك، والتسليم بأن دولة إسرائيل هى القيِّم والأمين على بنى إسرائيل حيثما وجدوا.

٤- القرار الحاسم بترك المقبرة، المسماه «المهجر» والعودة إلى «بلاد إسرائيل»(٤٧).

ولأن «مائير كاهانا» يدرك جيداً أن أصحاب الأرض الأصليين من العرب الفلسطينيين لن يتركوا وطنهم ببساطة، ولن يرتضوا بالخضوع لأوهامه دون مقاومة، فهو يعرف أيضاً أن سلاح القهر والإرهاب والعدوان هو سلاح أساسى لحسم مصير الصراع، وهو يرد على الذين يطالبون بقدر - ولو محدود - من المرونة والدبلوماسية لتنفيذ ذات الغايات، قائلاً إنهم - فى هذا السلوك - لا يصدرون عن فهم صحيح وعميق للتوراة، ويزيد أنه يستطيع أن يعرض لهؤلاء ما قاله الأنبياء فى استشهادات توراتية كفيلة ببث القشعريرة فى الأوصال (!)؛ وهو يطالبهم بأن يقرأوا ما ذكره أشعيا عن «الطريقة الدموية والعنيفة التى سيعامل (المسيح)، عندما يأتى، بها الأمم(٤٨).

وهو، أى «كاهانا»، إذا كان ينصح أتباعه بعدم استخدام العنف الآن، فلا يعود ذلك إلى سبب أخلاقى (لاسمح الله)؛ بل لأن الوقت غير مناسب وحسب، لكن كما للصلاة والابتهال وقت فللعنف والقتل وقت آخر، ومن أجل هذا الزمن القادم فإن «مائير كاهانا» لا يخفى عمله على تهريب السلاح سراً فى العالم أجمع من أجل تسليح اليهود (!)(٤٩) ،فى مواجهة من ؟! - فى مواجهة العرب وغير العرب الذين يقفون فى وجه أطماع «كاهانا» وزمرته، ذلك أن العرب لا يريدون السلام (!)، إنهم يريدون بلداً، والصهيونية لم تأت هنا لإحلال السلام. لقد أتت لتحصل على دولة يهودية سواء عنى ذلك وجود السلام أم لا(٥٠).

.. إن الدم العربى السّيال على أيدى الصهاينة أمر يبشُ له «مائير كاهانا» يبهجه، فرغم أن التوراة - كما يرى الحاخام الفاشى - بكل تأكيد، تذكر : لا تشمت فى عدوك حينما يسقط، ولكن عندما يتعلق الأمر بعدو للشعب اليهودى، هنا يصبح الأمر مختلفاً : إن علينا أن نشمت - يقول «كاهانا» - حتى لو تم ذلك فى أماكنهم المقدسة .. فعندما أعدم مجرمو النازية بعد محاكمات «نورمبرج»، ألم يشرب اليهود أنخاباً مهللين (ألحايم)، (فى صحة الحياة)(٥١) ؟!!

ويلاحظ هنا - بوضوح - عمليات الإسقاط التى يقوم بها «كاهانا»، والتماثل الذى يصطنعه بين «العرب» و «النازيين» من جهة، ثم تقمصه لدور معذبه السابق، وممارسته لنفس السلوكيات الوضيعة التى جأر بالشكوى من جراء تعرضه لها، من جهة أخرى.

---

(٤٧) المصدر نفسه، ص : ٣٥.
(٤٨) د. رفائيل ميرجى و د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ٢)، أغسطس ١٩٨٧.
(٤٩) المصدر نفسه.
(٥٠) المصدر نفسه، (جـ٥)، نوفمبر ١٩٨٧.
(٥١) د. رفائيل ميرجى و د. فيليب سيمونو، مصدر سبق ذكره، (جـ٥)، نوفمبر ١٩٨٧.

وليس هذا الرأى لنا وحدنا، إنه - هذا مهم للغاية - رأى محامى الدولة الصهيونية ذاتها، الذى وصف «كاهانا» فى محكمة العدل بالقدس، عام ١٩٨٣، بأنه «نازى بكل معنى الكلمة، وبأن النظرية التى يروج لها وممارساته متجانسة مع النظرية النازية البغيضة»(٥٢) ، وقدم استشهادات من واقع برامج «كاهانا» ومطالبه السياسية المقتبسة كليةً من المرجعيات النازية (الملعونة) :

- طلب «كاهانا» تحريم التمازج والاختلاط وفرض عقوبة الحبس لمدة خمس سنوات على اليهوديات اللواتى يقمن علاقات جنسية مع العرب وعقوبة خمسين سنة على العرب الذين يقيمون علاقات جنسية مع اليهوديات - مقتبس من «كفاحى» لأدولف هتلر : «الشاب اليهودى أسود الشعر، يتربص ساعات بالفتاة الألمانية الوديعة فيدنسها، ويسلبها من شعبها».
- طلب «كاهانا» بجعل الزواج بين اليهود وغير اليهود جريمة يُعاقب عليها بالسجن - مقتبس من قوانين «نير نبيرج».
- نداء «كاهانا» بمقاطعة التجار العرب والشراء من اليهود فقط - شبيهه بالمقاطعة التى فرضها النازيون على التجار اليهود عام ١٩٣٥.
- إثارة مشاعر العداء وأعمال العنف ضد الطلاب العرب فى الجامعات - على غراء ممارسات جلاوزة النازية ضد اليهود.
- طلب «كاهانا» بطرد جميع العرب من البلاد إلى الدول العربية وحرمان كل من هو من أصل غير يهودى من الحقوق المدنية - شبيهه بالبند الخامس والعشرين من البرنامج الانتخابى للحزب النازى.
- نداء «كاهانا» لإقصاء العرب عن الحرم القدسى، أقدس مقدسات الإسلام، بحجة أنه قائم على أنقاض المعبد الثانى، والاستشهاد بآية من الكتاب المقدس «الغريب الذى يقترب يُقتل».
- اشتراط كل المفاوضات مع العرب على أساس اعترافهم أولاً بسيادة «اليهود على أرض إسرائيل»(٥٣) .

وهو أيضًا الذى يقترح أن يقوم الجيش الإسرائيلى بتصفية الفلسطينيين الذين يقعون فى قبضته - فى الحال - بصرف النظر عن محاكمتهم أو مستوى (جرمهم) .. فبكل تأكيد، لابد من تصفية الفلسطينيين على الفور، ومرة أخرى : «تماماً كما كنا سنصنع بالنازيين !!»، وهكذا، يتنبأ الحاخام الإرهابى، فإنهم سيفكرون مرتين قبل أن يشرعوا فى القيام بفعل .. إننى أريدهم أن يموتوا .. أريد أن يعرف كل أولئك الذين يتأهبون لارتكاب أعمال (إرهابية) أنهم إن أخذوا سيقتلون فى الحال (٥٤) !!

ومرة أخرى تعود الدائرة الكاهانية الجهنمية لكى تقفل مجدداً : من الجنون أن ندفع (من أموال إدارة الضمان الاجتماعى) للعرب، كى ينجبوا أطفالاً .. إن هذا النظام يعطينى انطباعاً بأن اليهود مرضى بعقولهم !! إننى أريد أن أجعل حياة العرب هنا صعبة، إلى الدرجة التى يقول فيها الكثير منهم إن الأمر لم يعد يستحق عناء

---

(٥٢) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، ص : ١٦.
(٥٣) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، ص : ١٦ - ١٧.
(٥٤) المصدر نفسه.

العيش هنا .. من الأفضل أن نأخذ تعويضاً ونرحل .. ولو كنت فى السلطة فلن يقتل أى عربى، لأننى لن أكون قد تركت عربياً هنا !!![٥٥]

إن هذه الروح البغيضة المجنونة المشبعة بالشر والعدوان ليست روحاً قلقة، على أية حال، بل هى تفعل هذا كله معتقدة عن يقين - وهنا مكمن الخطورة ومصدر المأساة - أنها تنفذ تعاليم «رب الجنود»، «الرب المحارب» : ذلك أن الرب الذى توجه إلى موسى - كما يقول «كاهانا»- هو نفس الرب الذى كلم «يوشع»[٥٦] ، رمز الحرب والدم والموت والدمار فى التراث التوراتى، واليهودية، كما يراها، تقول ذلك، بكل تأكيد، والحاخامات جميعاً يعرفون ذلك، وهو عين ما سيقوله لك كل واحد منهم لو ناقشته على حدة .. سيقول لك : «كاهانا» عنده حق .. لكن الشجاعة تنقص هؤلاء الحاخامات ليقولوها على الملأ !![٥٧]

والمشكلة معهم هى أنهم حين يتوقفون عن الحديث كحاخامات (أى بمقتضى ما تمليه التوراة ويوجهه التلمود) يبدأون فى الحديث .. كما الأرانب ![٥٨] ليقولوا ماذا ؟! ليقولوا ما يجاهر به «كاهانا» وصحبه : إن الأرض لا تتسع للجميع فإما اليهود وإما العرب.

إما اليهود .. وإما العرب .. هذا هو درس الحاخام الفاشى «مائير كاهانا»، وهذه هى رسالته! إنها «كاهانية» بلا حدود .. لها بداية وليس لها من نهاية .. واليوم «عرب أرض إسرائيل» وغداً «عرب إسرائيل الكبرى» .. وهلمَّ جرا.

---

(٥٥) المصدر نفسه، (جـ٣)، سبتمبر ١٩٨٧.
(٥٦) المصدر نفسه، (جـ٢)، أغسطس ١٩٨٧.
(٥٧) المصدر السابق، (جـ٤)، أكتوبر ١٩٨٧.
(٥٨) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، (جـ٥)، نوفمبر ١٩٨٧.

« نحن جيل من المستـوطنين، ودون الخوذة الفولاذية والمدفع لا نستطيع أن نزرع شجرة، أو أن نبنى بيتاً ».

يورى أفنيرى

□ □ □ □

« أنا أحارب .. إذاً أنا موجود »!

« كن أخى .. وإلا سأقتلك !! ».

مناحم بيجن

التمرد The Revolt

جـــوشايــمـــونيـــم

«إن جذورحركة جوش ايمونيم موجودة فى التفسير الميتافيزيائى لما ورد فى الكتب المقدسة، وفى أفكار بداية الخلاص التى ترعرعت فى الصهيونية المتدينة، ووصلت ذروتها فى حرب الأيام الستة»(١) .

١- القلة التي تصنع التاريخ

لم يكن وقع مفاجأة حربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ بنتائجهما الصادمة على الجانب الإسرائيلى، بأقل منه على الجانب العربى، وإن تباينت المشاعر واختلفت المردودات، فكما دفعت الهزيمة ثم الانتصار النسبى المحبوس - على الجبهة العربية - القوى الأصولية لبدء انبعاثة جديدة تحت شعار أن ما حدث هو نتاج لتخلينا عن الله فتخلى الله عنا، رأت الأصولية اليهودية فى الانتصار الساحق لجيش «الدفاع» الإسرائيلى عام ١٩٦٧ ثم الهزيمة النسبية المجمدة، عام ١٩٧٣ تحقيقاً للوعود التوراتية المزعومة، وبدء مرحلة جديدة تتجسد فيها الأفكار التوراتية التى كانت هاجعة فى الخلفية اليهودية : «لقد بدأ الميل الأصولى يبرز مجدداً فى حياة اليهود (القومية) فى أواسط السبعينيات، فبعد فترة هجوع دامت أكثر من ثمانية عشر قرناً، انتفض ذلك المزيج من التوقعات المسيحانية، والعمل السياسى النضالى، والانغلاق الفكرى الشديد، والولاء المتفانى لأرض إسرائيل، الذى مُيزَ فيما مضى تلك الفرقة من غلاة اليهود أيام الرومان، فألهب مخيلة الألوف من الشباب الإسرائيلى، من الصهيونيين العلمانيين خائبى الرجاء» (٢).

وعبر حركة جدل عنيفة بين الواقع والمثال، الفكرة وتجسيدها، انبثق تنظيم أصولى شديد العدوانية والتطرف، هو «جوش ايمونيم» الذى حمل شعار «أرض إسرائيل، لشعب إسرائيل، بحسب توراة إسرائيل»(٣) ، ورفع «جوش ايمونيم» راية العمل «الطليعى» أو «الريادى» التى كانت محمولة بأيدى دعاة حركة «الكيبوتسات» (اليسارية) فى الخمسينيات والستينيات، قبل أن يصيبها العطب، ومن خلال «حلف عضوى» أو علاقة «تكافل حيوى» أقامها التنظيم مع تكتل «الليكود»، عصب الحركة اليمينية الصهيونية، استطاع الفكر الأصولى الزاحف، أن يوفر «نظاماً متماسكاً من الرموز الملهمة فى تصرف ساسة الليكود الصاعدين، أمثال «آرئيل شارون»، ومكنهم من إحاطة طموحاتهم بهالة من الأصالة اليهودية، والمثالية الصهيونية»(٤) ، وفى المقابل استفادت حركة «جوش ايمونيم» أيما استفادة من دعم حكومة الليكود المطلق، مادياً ومعنوياً، لحركتها السياسية والاستيطانية حتى أصبحت قوة يُعمل لها حساب كبير فى الواقع السياسى الإسرائيلى، الأمر الذى أعتبرت معه : «أنجح حركة غير برلمانية ظهرت فى إسرائيل منذ تأسيس الدولة سنة ١٩٤٨ »(٥) .

حددت حركة «جوش ايمونيم» برنامجها فى العمل من أجل تحقيق هدف مركزى رئيسى : هو بسط السيادة اليهودية على «أرض إسرائيل الكاملة»، وإحلال نظرتها الجذرية الرؤيوية (نظرة تنبؤية لما تنطوى عليه من

---

(١) دانى روبنشتاين، مصدر سبق ذكره، ص : ١٦.
(٢) ايان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص : ٦.
(٣) المصدر نفسه، ص : ١٣.
(٤) المصدر نفسه، ص : ١٤.
(٥) المصدر نفسه.

أهوال يوم الحشر) إلى مصير اليهود، محل الصهيونية البرجماتية، التى جعلها مؤسسوا إسرائيل «الرأى البديهى المشترك» فى المجتمع الذى أوجدوه[٦] ، وارتكزت فى سعيها إلى تحقيق غاياتها السياسية/الدينية، على قاعدة استيطانية كبيرة ضمت عشرات المستوطنات، أقيمت فى الأراضى العربية المحتلة بالضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان، حولتها من مجمعات سكنية إلى قلاع حربية، أو ترسانات عسكرية كُدست فيها الأسلحة والذخيرة القتالية من كل نوع.

لكن وجه الخطورة فى حركة «جوش ايمونيم» لا يتوقف على ما سلف وحسب، وإنما - وهذا هو المهم - يعتمد على سريان منهجها وأيديولوچيتها فى أوساط إسرائيلية واسعة، حتى ممن هم خارج الجماعة، واعتمادها كأيديدلوچية معترف بها، يتبناها قطاع متزايد من شباب المؤسسات التعليمية الدينية المعروفة باسم «بنى عكيفا»، و«الهسدر»، أو مجمعات المعاهد الميدانية شبه العسكرية التى يقضى بها طلاب «اليشيفوت»، المدارس الدينية، فترة خدمتهم العسكرية، والمدارس الدينية التقليدية أيضاً. ويضاف إلى ذلك انتماء «قطاع مهم من أبناء الطبقة الوسطى الإسرائيلية من ذوى الالتزام السياسى الشديد بالصيغة التوسعية للصهيونية العمالية، أو الصهيونية التصحيحية»[٧] ، بهذه الأيديولوچية، التى على الرغم من كونها «غير حزبية بصورة رسمية»، تحظى «بتأييد فاعل» من قبل وزراء بارزين فى الحكومة، فهناك ستة من أعضاء الكنيست هم من القادة الأساسيين للحركة. كما أن تحالفاً برلمانياً أنشئ عام ١٩٨٥، ضم خمسين وزيراً وعضواً، من خمسة أحزاب سياسية إسرائيلية، (٣٢٪ من مجموع أعضاء الكنيست)، ظهر كـ «لوبى»[٨] ، يمارس الضغوط بهدف تحقيق برنامج حركة «جوش ايمونيم» الاستيطانية، ومما له دلالة فى هذا السياق نتائج استطلاع للرأى أجرى فى ربيع عام ١٩٨٧، بناء على طلب من مجلة «حداشوت» الإسرائيلية الأسبوعية، لاختيار «شخصية الجيل»، (رجلاً أو امرأة) التى خلقت أبعد الأثر فى المجتمع الإسرائيلى خلال الأعوام العشرين السابقة. وقد تقاسم صدارة الشخصيات المختارة كل من «مناحيم بيجن» الإرهابى الصهيونى العتيد، والحاخام «موشيه ليفنجر» مرشد «جوش ايمونيم» الأيديولوچى العام، ومؤسس أول مستعمرة يهودية فى الخليل عام ١٩٦٨[٩] .

فى تفسير «بوعز أبلباوم» أحد مستشارى «شمعون بيريز»، لسبب اختياره؛ ذكر : «جاء رؤساء الحكومات وذهبوا، أما «ليفنجر» فلا يزال فى الذروة، وكل واحد منا قد كيّف نفسه بأبعاده ومقاييسه»![١٠] لقد اعتبر المحللون هذا الاختيار رمزاً للتغيير الذى طرأ على إسرائيل ودفعها باتجاه (اليمين) والتطرف والأصولية منذ سنة ١٩٦٧، وقد جاء تأكيداً على أن «الأصولية اليهودية»، كما يرى البروفيسور «أيهود سبرنيتساك»، «أشد القوى الاجتماعية والثقافية حيوية فى إسرائيل اليوم»[١١] ، فتأثيرها لم يتوقف فقط على النظام

---

(٦) المصدر نفسه، ص : ٧.

(٧) المصدر نفسه، ص : ١٦.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه، ص : ١٩.

(١٠) THOMAS L. FREDIMAN, **History's Favorite Israelis**, New York Times, U.S.A, June 11, 1987, P. 44.

(١١) EHUD SPRINZAK, **Gush Emunim, The Politics of Zionist Fundamentalism in Israel,** American Jewish Committee, New York,

السياسى الإسرائيلى، على أهميته، وإنما تعداه لكى يحدث «تأثيراً جوهرياً فى نسيج المجتمع الإسرائيلى، بطرائق تتخطى ساحة السوق السياسية، وتتعلق بقلب المجتمع الإسرائيلى»(١٢).

فلم تعد دعاوى «جوش ايمونيم» النزّاعة للصدام والعنف والإرهاب والتطرف مرفوضة من قطاعات واسعة فى المجتمع الإسرائيلى، وأفكارها الأصولية التى كانت تثير الرفض والاشمئزاز فى العقود السابقة، أصبحت محط إعجاب وإيمان عدد كبير من الإسرائيليين، والبرامج «المنغلقة»، (مثل العمل على تدمير المقدسات الإسلامية، وبناء الهيكل قبل ظهور المسيح) لم تعد برامج «مجنونة» يتبناها نفر من المارقين، وإنما أضحى نحو ٣٠٪ إلى ٥٠٪ من يهود إسرائيل يتبنونها؛ بل إن استفتاء أجرى فى أبريل ١٩٨٧ أشار عبره ما بين ٤٥٪ إلى ٥٠٪ من الإسرائيليين إلى تأييدهم لمطالب «جوش ايمونيم» بأن تظل الضفة الغربية وقطاع غزة «فى ظل الحكم الإسرائيلى الدائم وغير المشروط»(١٣)، وقد بررت هذه البيانات استنتاج «ايان لوستك» المنطقى : «إن الصورة التى تبرز من المعطيات الاستطلاعية والبحوث الجارية على تأثيرالحركة الأصولية تشير إلى أن «جوش ايمونيم» سوف تظل بلا أدنى شك لاعبة أساسية فى الصراع الكبير الدائر حالياً لتحديد شكل المجتمع الإسرائيلى وغاياته، وهو صراع فرضته وحددت معالمه نشاطات الأصوليين الاستيطانية فى الضفة الغربية وقطاع غزة».(١٤)، ومن هنا يرى «ايان لوستك» أن أهم النتائج التى نجمت عن تأثير «جوش ايمونيم» وأشيعها ذكراً هى إقامة مستعمرات يهودية فى مناطق حسّاسة كثيفة السكان فى الضفة الغربية،مستعمرات تُكذِّب، إن لم نقل تنفى، الاستعداد الإسرائيلى لمبادلة الأرض بالسلام»(١٥).

لكن غايات الجماعة لم تتوقف عند هذا الحد، كان الموقف من الأراضى العربية المحتلة، وحشد الأنصار والمتعاطفين من أجل الضغط على الدولة لإتمام عمليات ضمها الفعلى إلى إسرائيل باعتبارها جزءًا عضويًا من كيان «أرض إسرائيل الكاملة» هو المدخل فقط إلى ولوج باب خطة واسعة النطاق، واستراتيجية تسعى إلى هز تركيبة النظام من الأعماق، وإنجاز تطور جذرى يستهدف تغيير «الأسس الثقافية والأيديولوچية التى يقوم علها المجتمع»(١٦).

لقد أصبحت «جوش ايمونيم»، بمنطلقاتها العنصرية، وأيديولوچيتها الفاشية، فى غضون سنوات قليلة، وبحق: «القلة التى تصنع التاريخ»(١٧) الإرهابى الجديد، فى المنطقة.

٢- حيث "يحقق الجنون انتصاره العظيم"!

«إنها حركة غير ديموقراطية المسعى وفاشية الأصل»(١٨).. هذا الوصف الذى أطلقه «يوسى ميلمان» على حركة الحاخام العنصرى «مائير كاهانا»، حركة «كاخ»، يصلح لاستخدامه فى وصف حركة «جوش ايمونيم»، بل هو ينطبق كل الانطباق، بالفعل عليها.

---

(١٢) DAVID SCHNALL, An Impact Assessment,.
مذكورة فى : ايان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص : ٢٠.
(١٣) المصدر نفسه، ص : ٢٢.
(١٤) المصدر نفسه.
(١٥) المصدر نفسه، ص : ٢٠.
(١٦) المصدر نفسه، ص : ٥٢.
(١٧) المصدر نفسه.
(١٨) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص : ١٨٦.

ويتفق «دافيد جروسمان» مع هذا الرأى، بل ويزيد عليه إشارة ذات دلالة إلى مناهج التربية التى تتبعها «جوش ايمونيم» لخلق أجيال جديدة متأثرة بأفكارها. يقول «جروسمان» : «إن تربية آلاف الصبيان وتنشئتهم فى مستعمرات «جوش ايمونيم» تكفلان بروز الكثير من المجموعات الإرهابية السرية اليهودية فى المستقبل»[(١٩)]، وهو الأمر الذى حدث بالفعل، وترتبت عليه نتائج بالغة الخطورة فيما بعد (اغتيال «إسحق رابين» رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق، على سبيل المثال).

ويزيد من خطورة هذه الظاهرة، ما يلاحظه المراقبون من ارتفاع نسبة المواليد ارتفاعاً كبيراً فى أوساط عناصر الحركة الأصولية اليهودية، ككل حركة أصولية، وهو ما يعنى ارتفاعًا متزايداً موازيًا لاحتمالات نمو ظواهر الإرهاب والنزوع العنصرى الفاشى فيما بين الشباب حديثى السن داخل الدولة الصهيونية.

وما يهمنا، هنا بالأساس، التركيز على انعكاسات بروز هذه الظاهرة تجاه صراعنا المصيرى فى مواجهة الغزوة الصهيونية المكثفة التى تستهدفنا. فلاشك أن جيلاً صهيونياً - أصولياً جديداً، سيكون - مع مطلع القرن القادم - فى مواقع المسئولية ومراكز صنع القرار، معبئاً بالأفكار الفاشية والرؤى الأسطورية العنصرية، مدججاً بالسلاح والكراهية، سيمثل بؤرة شديدة العدوانية، عنيفة، لا تقبل الحلول الوسط، ولا تؤمن بتقديم أدنى تنازل، ولو كان شكلياً. هذا الجيل هو الذى سيتوجب علينا التعامل معه، والتفاعل فى مواجهة أيديولوچيته، ومواجهة نتائج خطواته العملية فى أرض الواقع، وفى إطار رؤيته لنا، وفهمه لتاريخه وتراثه وأساطيره الميثولوچية والدينية أيضاً.

ويؤمن هذا الجيل بالأفكار التى يبثها فى أعماق عقله ووجدانه، نفر من دهاقنة الحاخامات الأصوليين، الذين يمارسون عمليات «غسيل مخ» مكثفة، تستهدف خلق العناصر المناسبة لتنفيذ عمليات الإبادة الجماعية للعرب والفلسطينيين، وأساساً للعرب الفلسطينيين فى الأراضى العربية المحتلة، وفلسطين فى قلبها، وجوهر هذه الأفكار تصدر عن «مماهاة العرب الفلسطينيين، أو العرب إجمالاً بالعمالقة»[(٢٠)]، أو «العماليق»، الذين كانوا محل تحامل الرواية التوراتية، بعد أن اتهمتهم، فى القرون الغابرة، بمهاجمة الإسرائيليين خلال فترة «التيه»، لذلك، أمر الله (على ما تقول التوراة)، (الشعب) اليهودى، بأن «يمحو ذكر عماليق» من على وجه البسيطة، وقد عَدَّ اليهود - على مر التاريخ - كل أعدائهم الكبار من نسل الـ «عماليق» وتنظر حركة «جوش ايمونيم» إلى العرب من هذا المنظور، فتعتبرهم من سلالة العمالقة الذين يتوجب محو ذكرهم من الوجود (!) وهناك عشرات المقالات والكتب التى تشرح وتفسر هذه الأفكار الفاشية العدوانية، وتبرر - انطلاقاً منها - المواقف العنصرية المعادية - راديكالياً - للعرب، ولعل «حاييم تسوريا» كان الأبرز، فى هذا المجال، حينما عبَّر - بدقة وتركيز - عن أصول هذه الرؤية ومضمونها : «ثمة فى كل جيل عمالقة، أما عمالقتنا فهم العرب الذين يعارضون انبعاث وجودنا القومى، فى أرض أسلافنا»[(٢١)] .. «إن محاربة العرب - يقول الحاخام «ش. يسرائيلى» - مثلها مثل الحرب المقدسة التى وصفها الحاخام «موسى بن ميمون» بأنها يجب أن تُشن ضد ثلاثة : العماليق، والشعوب السبعة، ولمساعدة إسرائيل ضد أى جيش أجنبى يعتدى عليها»[(٢٢)] ، أما

---

(١٩) DAVID GROSSMAN, Don't Have So Much Mercy On Them, Koteret Roshit, Israel, No. 230, April 29, 1987, P. 26.

(٢٠) ايان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص : ١٤٦.

(٢١) المصدر نفسه.

(٢٢) دانى روبنشتاين، مصدر سبق ذكره، ص : ٢٠.

الحاخام «ليفنجر»، المرشد الروحى لـ «جوش ايمونيم»، فحينما سُئل : «مَاذا تقترح عمله إزاء العربى الذى يرفض أن يكون مواطناً خنوعاً، بل يريد لنفسه دولة يعيش بها سيد نفسه ؟!..» أجاب : «إن العربى سيجد مكانًا بالطبع، فى إحدى الدول العربية التى يتمتع فيها العرب بالسيادة»(٢٣) ، وهى إعلان صريح بتبنى فكرة «الترانسفير»، والتى تعتمد على طرد «كافة» العرب (الفلسطينيين) من وطنهم، وتوطينهم إكراهاً فى البلدان العربية المحيطة! أما الحاخام «فايزر»، فقد رد على سؤال جندى له حول «طهارة السلاح إبان الحرب»: «إن الأمر يختلف إذا كان الأمر يتعلق بمعاملة أجنبى (أى عربى) .. الذى يجب قتله ، ولو شكل ذلك مخالفة للقوانين العسكرية»(٢٤)، وتُصر أدبيات الحركة ونشراتها على أنه «لا ثقة بالعرب حتى بعد موتهم بمائة عام»(٢٥)، وعلى أن «العربى الجيد هو العربى الميت»(٢٦) .. وهلمَّ جرا!

رؤية مشتركة :

والحق أن هذه الرؤية «الأصولية» للعرب، وكيفية «التعامل» معهم، ليست حكراً على الاتجاه الموصوم بالتطرف فى الحركة الدينية اليهودية؛ بل هى - إلى حد كبير - سمة عامة تنتشر منهجيتها لدى أغلب الدعاة المتزمتين فى الحركة الدينية/الصهيونية، الرسمية منها وغير الرسمية، وفى أحسن الأحوال، فإن أولئك الذين يُكرهون على الاعتراف بـ «دين إسماعيل» باعتباره عبادة «ليست غريبة»، بحيث يمكن لمعتنقيها البقاء فى «أرض إسرائيل» حسبما تنص مفاهيم الشريعة «الهالاخاه»، يضعون شروطاً مُذلة ينبغى على أتباع هذا الدين (أى المسلمين» الالتزام بها، أولها : أن يعترفوا بالسيادة المطلقة لإسرائيل، وأن يسلموا بحكم شعب إسرائيل وأن يخلصوا لدولته وثانيها : أن «لا يرفعوا رؤوسهم فى إسرئيل»، تطبيقاً لإرشادات «موسى ميمون»(٢٧) الكلية الاعتبار، كمرجعية أساسية لدى أشياعه من الحاخامات، ومع هذا فلأن العرب (الإسماعيليين !) لا يوافقون على سيادة إسرائيل، وينكرونها، فلقد حق عليهم ألا «يتمتعوا» بهذه الميزة، ووجب طردهم، أو استباحة دمهم، تطبيقاً لوصية الحاخام الرئيسى للجيش الإسرائيلى (الرسمى)، «شلومو جورين» الذى طالب جنوده بألاَّ يرحموا القتلة، رجالاً ونساءاً وأطفالاً» .. و «القتلة» كانوا مخيما للاجئين الفلسطينيين المسالمين، «المروعين بنتائج حرب ١٩٦٧، فى المنطقة التى كانت تحت السيطرة الأردنية قبل الحرب»، على نحو ما يصف «دانى روبنشتاين»، فى كتابه، (٢٨) وهو الذى يؤكد فيه أيضاً، بشكل قاطع، أن «جميع المشاريع الاستيطانية التى أقيمت فى الضفة الغربية من قبل حركة «جوش ايمونيم» تحصل على المال من مصدر واحد : هو حكومة إسرائيل !!(٢٩)

إن هذه الرؤية المريضة، التى تشبه هلوسات مختل عقلياً، مُشَبّع بفكرة إجرامية تتملكه تملكاً وتأخذ عليه جماع نفسه، تفسر لنا خلفيات مقولة البروفيسور «دافيد بلوسر» : «من الواضح الآن أن اليهود المتدينين مصابون -

---

(٢٣) المصدر نفسه، ص : ٤٧.
(٢٤) المصدر نفسه، ص : ٧٧.
(٢٥) المصدر نفسه، ص : ٥٠.
(٢٦) المصدر نفسه.
(٢٧) المصدر نفسه، ص : ٤٧.
(٢٨) المصدر نفسه، ص : ٩.
(٢٩) المصدر نفسه، ص : ٤٥.

أكثر من غيرهم - بعدوى حملتها إليهم جرثومة الوطنية المؤمنة بظهور المسيح ... فهناك في أوساط المتدينين، يحقق الجنون انتصاره العظيم » (٣٠).

٣- "جوش ايمونيم" : من الجنون إلى الإبداع (!)

أسست حركة «جوش ايمونيم»، على ماهو ثابت، عقابيل الزلزال الذى هز إسرائيل من جراء نتائج حرب «يوم كيبور»، عام ١٩٧٣، غير المتوقعة، والتى جاءت متناقضة مع الروح السائدة والمنتشية بنصر يونيو ١٩٦٧ الساحق. إنها حركة «انبثقت من حال الإحساس بفقدان الاتجاه، التى أعقبت حرب ١٩٧٣ : لقد حدث ضياع للروح المعنوية داخل المجتمع الإسرائيلي، وقد مهّد ذلك السبيل أمام انبثاق الحركة الأكثر تطرفاً» (٣١)، واستهدفت - على نحو ما أشار عضوها المؤسس «حنّان بورات»- «السير قدماً بصهيونية الخلاص» (٣٢) .

فعلى عكس التيار التقليدى للحركة الدينية اليهودية، والذى آمن بأن بناء الهيكل مهمة موكولة إلى «الرب فى سماه»، فسر دعاة «جوش ايمونيم»، وأترابهم من غلاة المتطرفين اليهود، نتائج حرب ١٩٦٧ تفسيراً مغايراً بصورة قاطعة، واعتبروا أن الخيانة بعينها هى التنازل عن أى شبر من «أرتز يسرائيل» (المحررة) بعد ما عادت إلى حظيرتهم، ودعوا إلى فكرتهم المركزية التى تدور حول الاحتفاظ بكل «أرض إسرائيل» بأبعادها التوراتية، ونشر حركة الاستيطان اليهودى، «الطليعى»، فى ربوعها، فالهتخلوت، (الاستيطان)، من وجهة نظرها، هو السبيل العملى لتحقيق غاياتها «الأصولية» فى التعجيل بالخلاص، وإعادة بناء الهيكل، تحقيقاً لوعود الإله فى نصوصه المقدسة، وارتكزت فلسفتها على رؤية بسيطة مفادها أن «ما أن تقام مستوطنة فلن يتم أبداً التخلى عنها» (٣٣) ، ومن هنا بدأ سيل المد الاستيطانى للحركة، انطلاقاً من مستوطنة «كيشيت»، (القوس)، التى أنشأتها فى مرتفعات الجولان، السورية، المحتلة، عام ١٩٧٤، ومروراً باستيطان منطقة «سبسطية»، التى مثلت أول «موطئ قدم للحركة فى الضفة الغربية» (٣٤) المحتلة.

وقد نجحت حركة «جوش ايمونيم»، بالتوافق مع باقى التوجهات الاستيطانية للدولة وللأحزاب والقوى السياسية الدينية الإسرائيلية الأخرى، فى تحقيق إنجازات فعلية فى هذا السياق، فبحسب دراسة حديثة أعدت عن «المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة»، تأكد أن عدد المستوطنين - فى الأراضى العربية المحتلة - قد ارتفع من «بضعة آلاف» فى أواسط السبعينيات [تاريخ بدء نشاط «جوش ايمونم»] ، إلى أكثر من ربع مليون مستوطن فى أواخر عام ١٩٩١، كما وصل عدد المستوطنات الإسرائيلية فى هذه الأراضى، خلال نفس العام إلى مايزيد عن ٢١٠ مستوطنة، وبلغت نسبة الأراضى العربية التى استولت عليها إسرائيل أكثر من ٥٠٪ من إجمالى المساحة الكلية للأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧، وفى تقرير صادر عن اللجنة التابعة للمجلس الاقتصادى والاجتماعى فى «الأمم المتحدة» ما يفيد أن مساحة الأراضى التى استولت عليها إسرائيل، فى الضفة الغربية، منذ عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٩٠، بلغت حوالى ثلاثة ملايين

---

(٣٠) المصدر نفسه، ص : ٨١.

(٣١) ديفيد نيومان، الإستيطان الصهيونى : دور جوش ايمونيم، بيروت، دار كمبيونشر للدراسات والإعلام والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩١، ص : ٤٥.

(٣٢) ايان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص : ٥٤.

(٣٣) ديفيد نيومان، مصدر سبق ذكره، ص : ٤٨.

(٣٤) المصدر نفسه، ص : ٤٩.

دونم أو ما يعادل ٥٣,٦٪ من إجمالى مساحة الضفة الغربية، وحوالى ١٥٤ ألف دونم من قطاع غزة (ما يعادل ٤٢,٣٪ من إجمالى مساحة القطاع)، فيما تجاوزت المساحة المستولى عليها ثلثى المساحة الكلية لمرتفعات الجولان المحتلة (٦٩٪)، وإضافة لذلك فقد أصدرت السلطات الإسرائيلية، يوم ١٩٩١/٦/٣٠، أمراً يقضى بـ «إغلاق» مليون دونم من أراضى الضفة الغربية المحتلة لـ «دواعٍ أمنية»(٣٥).

وكانت «جوش ايمونيم» إحدى الكتل السباقة فى النشاط الاستيطانى بالأراضى العربية المحتلة، وقد تركزت مستوطناتها فى تلك المواقع التى تتهرب من غزوها الجماعات والمشاريع الاستيطانية الأخرى، إما لصعوبات الحياة فيها، أو لمخاطر التواجد وسط حشود عربية معادية، وبدا أن هدف «جوش ايمونيم» من هذا الأمر هو «محاولة سد الثغرات فى المشاريع الاستيطانية الأخرى، حيث تقوم منظمة «جوش ايمونم» بزرع المستوطنات بين القرى و أماكن التجمع السكانى العربى فى المرتفعات»(٣٦).

خطط "جوش ايمونيم" الاستيطانية:

طرحت «جوش ايمونيم» مجموعة من الخطط والبرامج الاستيطانية المتكاملة، منذ أن بدأت تمارس نشاطاتها، فى هذا المجال، بحلول منتصف السبعينيات، وأهمها : مشروع «توطين المليون يهودى» الذى قدمته «جوش ايمونيم» فى ١١ فبراير ١٩٧٦، واستهدفت من خلاله توطين مليون يهودى فى مائة موقع عبر مختلف أرجاء الضفة الغربية على مدى عشر سنوات، ووصفت «جوش ايمونيم» مشروعها هذا بأنه «مشروع لما سوف تكون عليه إسرائيل فى العقد الرابع من عمرها، فبينما كانت العقود الثلاثة الأولى فترات هجرة، واستيطان، ودعم زراعى، وتنمية صناعية، فسوف يشهد العقد الرابع استيطاناً للجبال(!)»(٣٧)، وقد استهدفت هذه الخطة تلبية الحاجة إلى السيطرة الاستراتيجية وإحاطة المواقع التاريخية اليهودية بسياج من المستوطنين، لكن هذه الخطة «لم تلق غير اهتمام قليل من جانب الحكومة (العمالية)»(٣٨)، التى كانت قائمة آنذاك، على نحو مايذكر «ديفيد نيومان»، غير أن نقطة التحول الفاصلة فى مشاريع «جوش ايمونيم» الاستيطانية، كان وصول «الليكود» إلى الحكم عام ١٩٧٧، فى إطار حكومة (يمينية) حكمت إسرائيل لأول مرة فى تاريخها، وقد انتخبت حكومة «مناحم بيجين» على أساس برنامج انتخابى وعدت الحكومة عبر بنوده بأن «تخطط، وتقيم، وتشجع الاستيطان الحضرى والريفى على (أرض الوطن)»(٣٩)، وقد تلاقت أفكار الحركة، مع أفكار الحكومة اليمينية، ورمزها «آرئيل شارون»، الذى ترأس «اللجنة الوزارية للاستيطان»، بعد أن أعلن بوضوح أن «سياسة الحكومة تتمثل فى تحقيق استيطان واسع فى يهودا والسامرة (الضفة الغربية والقطاع)»(٤٠)،

---

(٣٥) د. عمران أبو صبيح، دليل المستوطنات الإسرائيلية فى الأرض العربية المحتلة، عمان - الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط١، ١٩٩٣، ص ص : ١٣-١٤.

(٣٦) عبد الرحمن أبو عرفه، الاستيطان : التطبيق العملى للصهيونية، عمان - الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط١، ١٩٨٦، ص : ١٧١.

(٣٧) ديفيد نيومان، مصدر سبق ذكره، ص : ٥١.

(٣٨) المصدر نفسه، ص : ٥٢.

(٣٩) المصدر نفسه، ص : ٥٣.

(٤٠) المصدر نفسه.

وفى إطار تقويمه الإيجابى لأعضاء «جوش إيمونيم» الذين وصفهم بأنهم «طلائعيين كبار، وهم «ملح» هذه البلاد، وأملها الكبير»[٤١] .

وقد قدمت «جوش إيمونيم»، بعد فوز الليكود، «خطة عاجلة» للاستيطان، إلى الحكومة، اقترحت بناء اثنتى عشرة مستوطنة جديدة فوراً، على طول السلسلة الجبلية لـ «يهودا والسامرة»، وإضفاء الشرعية على المستوطنات (المؤقتة)، القائمة، وإقرار تشريع جديد بشأن وضع وملكية الأرض فى الضفة الغربية[٤٢] ، وهو ما استجابت له الحكومة بإصدارها للقانون المطلوب فى نوفمبر عام ١٩٧٩.

وفى عام ١٩٧٨ أصدرت الحركة خطتها «الأشمل والأكثر تفصيلاً للاستيطان»، دعت فيها إلى توطين ثلاثة أرباع المليون يهودى، حتى نهاية القرن، فى الضفة الغربية المحتلة، وعلى المدى القصير، زيادة عدد المستوطنين اليهود إلى مائة ألف مستوطن بحلول عام ١٩٨١[٤٣].

ولتحقيق هذه الأهداف، أنشأت «جوش إيمونيم»، قسماً خاصاً للاستيطان بها، عُرف باسم «أمناه» (الميثاق)، يتألف من «أشخاص مهتمين بالأطر الاستيطانية وحدها»[٤٤] .

كذلك قدمت الحركة (فى يونيو ١٩٨٠) خطة استيطانية تضمنت إنشاء ١٥ مستوطنة جديدة بالضفة، إضافة إلى خمس مستوطنات أخرى حول مدينة القدس، مع ثلاث مستوطنات مركزية «للسيطرة على مفارق الطرق : نابلس - جنين - طولكرم»، إضافة إلى إقامة ثلاث مدن فى جنوب نابلس، الظاهرية، الخليل، وتوسيع مستوطنات عديدة مقامة بهدف زيادة قدرتها الاستيعابية من ١١٩٥ عائلة إلى ٣٧٤٠ عائلة حتى نهاية عام ١٩٨١، ينضم إليها ٢٨٤٤٠ عائلة يتم استيعابها فى المستوطنات الجديدة فى نفس الفترة، لتحقيق هدف أبعد هو توطين من ٧٥٠ ألفاً إلى مليون مستوطن فى الضفة الغربية[٤٥] ، ومن أجل تحقيق «الأهداف الأمنية» المتمثلة فى :

١- المحافظة على عمق «البلاد» من نهر الأردن وحتى الساحل الشمالى.

٢- السيطرة على سلسلة الجبال فى الضفة الغربية.

٣- السيطرة والإشراف على وادى الأردن.

٤- إنشاء شبكة كبيرة من الطرق، تسمح بالحركة العسكرية السريعة. ولتنفيذ هذه الأهداف تدعو الخطة إلى «نسف» الحاجة السكانية العربية[٤٦] .

لقد حققت «جوش إيمونيم» نجاحاً ملحوظاً فى مساعيها الاستيطانية ونجحت فى أن تكتسب «الاعتراف» بها، فى ظاهرة نادرة لجماعة بدون تمثيل برلمانى أصبحت تؤثر فى سياسات الحكومة والهيئات العامة[٤٧] ، ومع

---

(٤١) عبد الرحمن أبو عرفه، مصدر سبق ذكره، ص : ١٧١.

(٤٢) ديفيد نيومان، مصدر سبق ذكره، ص : ٥٤.

(٤٣) المصدر نفسه، ص : ٥٨.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ص : ٥٨ - ٥٩.

(٤٥) عبد الرحمن أبو عرفه، مصدر سبق ذكره، ص : ١٧٢.

(٤٦) المصدر نفسه.

(٤٧) أليشع إنعيرات (البروفيسور)، الاستيطان الإسرائيلى : جغرافياً وسياسياً، عمان - الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط١، ١٩٩١، ص : ٧٢.

حلول منتصف الثمانينيات دخلت حركة «جوش ايمونيم» طور الانحلال، ومرت بمرحلة من الانشقاقات والصراعات أثرت فى حيويتها، وتبعثرت قيادتها على عدة جماعات وأحزاب سياسية، ولم يبق يعمل بفعالية من بين مؤسساتها (وربما هذا أيضاً له دلالة) سوى هيئة الاستيطان بها (حركة أمناه)، وانتقل لواء التعصب الاستيطانى نقلة أكثر فعالية وأشد خطراً، إلى الدولة نفسها، حيث تبنته رسمياً كسياسة معترف بها، بمؤسساتها وأشخاصها، ففى البداية، «تنافس وزراء حكومة الليكود مع بعضهم البعض لصالح المستوطنين والاستيطان بوجه عام»(٤٨)، ثم بعد ذلك تنافس التجمع العمالى مع الليكود على هذا المضمار أيضاً.

مصادرات "السـلام"!

بل وحتى حينما تم توقيع «اتفاق غزة - أريحا»، وانضم الطرف الفلسطينى إلى مسيرة (السلام) الأمريكية-الإسرائيلية، كان تمسك إسرائيل ببقاء نحو ١٤٠ مستوطنة فى قطاع غزة والضفة الغربية المحتلة، حتى يتقرر مصيرها فى مباحثات الوضع النهائى، دليلاً على استمرارها فى سياستها المتبناه، وفى تقرير لبعثة تقصى الحقائق التابعة لمنظمة العمل الدولية، عن «الأوضاع فى الضفة الغربية وقطاع غزة» كُشف الستار عن أن إسرائيل «أخضعت لسيطرتها بشكل تدريجى حتى نهاية عام ١٩٩٤، نحو ٧٣٪ من مساحة الضفة والقطاع بمقتضى أوامر عسكرية [(٥٤) ٪ منها أراضى دولة، (٢٠) ٪ لدواعى الأمن، (١٢) ٪ ممتلكات «الغائبين»، (١٢) ٪ للأغراض العامة] بإجمالى أرض مساحتها خمسة ملايين و ٩٣٩ ألف دونم، منها خمسة ملايين و ٥٧٣ ألفاً فى الضفة، بما فيها القدس الشرقية، و ٣٦٧ ألف دونم فى قطاع غزة، كما أكد التقرير أن ١٨٦ مستوطنة إسرائيلية فى الضفة و ٢٠ مستوطنة فى غزة، و ١٤١ ألف مستوطناً فى الضفة و ١٦٠ ألفاً فى القدس و ٢٠ ألفاً فى غزة «يشكلون تهديداً للسلام»(٤٩).

وتذكر دراسة حديثة لمجلة الدراسات الفلسطينية(٥٠)، أن عدد السكان المستوطنين قد بلغ (عام ١٩٩٥) مائة وعشرين ألف شخص، يضاف إليهم نحو مائة وثمانين ألفا فى «الأجزاء المضمومة من القدس»، كما ذكرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية أن معدل المصادرات الصهيونية للأراضى العربية، بين توقيع اتفاق أوسلو، وتوقيع اتفاق القاهرة (فى مايو ١٩٩٤)، قد بلغ ٨٦٣٠ دونما فى الشهر الواحد!(٥١)

ويقول «خليل السواحرى»، الكاتب الفلسطينى الذى عاد إلى «الوطن» مجدداً بعد توقيع الاتفاقية الإسرائيلية - الفلسطينية : «إن الوطن لم يكن هو الوطن الذى غادرته قبل أربعة وعشرين عاماً، لقد ازداد هذا الوطن ابتعاداً وازداد اغتراباً. تمزقت أشلاؤه بالمستوطنات، وأصبح شوارع أو مناطق جرداء أو آهلة بالسكان تفصل بين مستوطنة وأخرى. المستوطنات تتربع على صدور الوطن فى كل مكان، وحيثما تقع العين على امتداد الطريق بين أريحا وبيسان، أو بين القدس والخليل، أو بين القدس ورام الله، أو حول القدس نفسها من كل اتجاه : عدنا إلى الوطن ولكن الوطنّ لم يعد إلينا، ولم يعد لنا»!(٥٢)

---

(٤٨) المصدر نفسه، ص ص : ٧٢-٧٣.

(٤٩) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/٧/٣١.

(٥٠) مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد (٢١)، شتاء ١٩٩٥، ص ص ١١٤-١١٥.

(٥١) جريدة هآرتس، إسرائيل، ١٩٩٥/١/١٠.

(٥٢) مجموعة الوطن بين الحلم والواقع : فلسطينيون يصفون عودتهم إلى فلسطين وعودتهم منها، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (٢١)، شتاء ١٩٩٥، ص ص : ١٢٤-١٣٣.

"جوش ايمونيم" : من الجنون إلى الإبداع

لقد تلاشت «جوش ايمونيم» بعد أن أدت وظيفتها. لقد صارت بدعاويها الاستيطانية جزءاً عضوياً من النظام، وتحولت عقيدتها إلى عقيدة رسمية تتبناها الدولة بأجهزتها ومؤسساتها وأحزابها ووسائل إعلامها، لقد هيمنت منطلقات «جوش ايمونيم» على الحركة الصهيونية وأصبحت نخبة الأصوليين، وأفكارهم «جزءاً من المشهد السياسى الإسرائيلى المألوف»(٥٣)، وقادت هذه النخبة النظام السياسى فى إسرائيل إلى مأزق تاريخى من الصعوبة بمكان إيجاد مخرج منه: فإسرائيل لا تستطيع ابتلاع كل الأراضى المحتلة لأسباب دولية ومحلية، وهى فى الوقت ذاته عاجزة عن السيطرة على أخطبوط الاستيطان المسعور الذى أطلقت حركته جماعة «جوش ايمونيم» وغيرها من الجماعات الاستيطانية الدينية أو الصهيونية.

لقد نجحت «جوش ايمونيم» مراراً، بالفعل، على حد قول «دورون روزنبلوم»، فى تحويل «ما هو إجرامى إلى ما هو ضرب من الجنون، وما هو جنون إلى ما هو مستغرب، والمستغرب إلى ما هو خطأ، وما هو خطأ إلى ما هو جيد، وما هو جيد إلى ماهو ممتاز، وما هو ممتاز إلى ما هو أمر واقع، والأمر الواقع إلى رأى يحوز الإجماع»!(٥٤)

---

(٥٣) ايان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ١٩٧.

(٥٤) BORON ROSENBLUM, The Temple Mount will Be Blown Up, Koteret Rashit, Israel, No. 131, June 5, PP. 20 - 21.
مذكورة فى ايان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ١٩٧.

القدس

« إن القدس هي مركز العالم، إنها قلب العالم، وما يحدث فيها هو حرب روحية سرية تؤثر على مصير العالم كله »

الآب « مارسيل دوبيوس »

راعي كنيسة القديس قزحيا في القدس

بناء (الهيكل الثالث): نحو حرب أصولية مقدسة

يشكل الصراع حول قضية «هدم المسجد الأقصى» وبناء «الهيكل الثالث» محله، واحدة من قضايا الصراع الرئيسية بين الدين والدولة، أو السلطة الدينية والأصولية من جهة، والسلطة الدنيوية، أو العلمانية (الصهيونية السياسية) من جهة أخرى، التى تتفاعل تأثيراتها بشدة داخل إسرائيل.

وهى قضية شديدة الأهمية - فى انعكاساتها المباشرة - على أوطاننا، لما يشكله هذا الموقع الفريد، الذى يدور حوله الصراع، من أهمية قصوى لمقدسات أتباع الديانات الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلام.

وتمثل هذه القضية معضلة مثلثة الأبعاد، أطرافها : الصهيونية السياسية ثم الأصولية اليهودية، من جهة، والعرب من جهة أخرى.

والعلاقة بشأن هذا الأمر بين الطرفين الأولين (اليهود الإسرائيليين)، هى علاقة وحدة وصراع بين أطراف معسكر واحد، أما العلاقة بينهما وبين الطرف الثالث فهى علاقة تناقض استراتيجى، عدائى، حله ليس بالسهل اليسير، وقد يفجر دوامة من التوترات والتفجرات التى لا قبل لأحد على توقع مجرياتها أو نتائجها.

وجوهر الأزمة تتمثل فى أن القوى الأصولية اليهودية تستهدف هدم المسجد الأقصى لبناء «الهيكل الثالث» مكانه، بزعم أن المسجد بنى فوق أنقاض الهيكل، وفى نفس موقعه، وهى ترى فى هذا الأمر مسألة محورية فى توجهاتها، فهى أساس من أسس معتقداتها التوراتية، لا سبيل إلى تجاوزه، ولا مهرب من تنفيذه، أو مخرج للتحلل من الالتزام به .. إنها قضية مركزية جوهرية بالنسبة إلى التاريخ والشريعة اليهوديين؛ ملزمة لكل يهودى مؤمن بالتعاليم التوراتية إلزاماً لا يقبل التأجيل : «فلئن كنا من أجل العودة إلى أرض إسرائيل الكاملة، ومن أجل إقامة الدولة، قد استعجلنا قدوم المخلص، فيجب علينا، بالمنطق نفسه، أن نبنى الهيكل الآن».(١)

فذلكة تاريخية :

يمثل هيكل سليمان موقعاً مقدساً لدى اليهود يشبه ما لمكة عند المسلمين. ويقول سفر الملوك الأول: «إنه فى السنة الأربعمائة والثمانين لخروج بنى إسرائيل من أرض مصر (حوالى سنة ٩٦٠ ق.م)، وفى السنة الرابعة من ملك سليمان على إسرائيل، وفى شهر زيو وهو الشهر الثانى، بنى سليمان البيت للرب، وكان البيت الذى بناه الملك سليمان للرب ستين ذراعاً طولاً وعشرين عرضاً وثلاثين ذراعاً ارتفاعاً» (سفر الملوك الأول ٦ : ١-٣٦).

ثم يصف سفر الملوك مكونات البيت وأحجاره وغرفه وسلالمه ..إلخ، تحقيقاً لـ «كلام الرب إلى سليمان» : «هذا البيت الذى أنت بانيه، إن أنت سرت على فرائضى وعملت بأحكامى وحفظت جميع وصاياى، سائراً عليها، فإنى أحقق معك كلامى الذى كلمت به داود أباك، وأقيم فيه فى وسط بنى إسرائيل، ولا أترك شعبى إسرائيل» فبنى سليمان البيت بأكمله. (سفر الملوك الأول ٦ : ١١-١٤).

---

(١) انظر الافتتاحية، مجلة نيكوداه (النقطة - Nekuda)، [صوت الأصوليين اليهود المتطرفين]، إسرائيل، عدد سبتمبر ١٩٨٦.

وفى قلب البيت تم تهيئة المحراب، قدس الأقداس، حيث حمل الكهنة - بحضور شيوخ إسرائيل - «تابوت العهد»× وخيمة الموعد (التى نصبها داود لإيواء التابوت) ووضعوها فيه، ويقول «سفر الملوك» إن التابوت لم يكن فيه إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما فيه موسى فى حوريب، حيث عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر (سفر الملوك الأول ٨ : ١-٢٠)، ثم بعد أن اكتمل بناء الهيكل وتلبيسه بالذهب وخشب الأرز ونقل تابوت العهد والخيمة إلى محرابه، تقول القصص التاريخية اليهودية أن الله «تسلم هيكله!» حين تجسد مجده على هيئة غمام ملأ البيت، حينئذ قال سليمان :

«قال الرب إنه يسكن فى الغيم المظلم

وإنى قد بنيت لك بيت بهاء

مكاناً لسكناك للأبد» (سفر الملوك الأول ٨ : ٣).

وفى سفر الخروج تفاصيل دقيقة لأثاث الهيكل : ديكوراته، وأدواته ومذبحه، وأقمشته، وزينته، وثياب كهنته، والذبائح المقدمة على أعتابه ومغسلته وأبخرته .. إلخ.

لقد أصبح الهيكل موقعاً مقدساً لدى اليهود، ومركزاً للحكم ومحطاً للأنظار، حيث بنى إلى جواره قصر الملك سليمان ومبان عمومية أخرى «وهو أمر عادى فى (كيان) لم يجر فيه الفصل بين الدين والدولة آنذاك، حيث الملك نفسه كان هو السلطة الدينية العليا فى البلاد أيضاً» [٢] .

ويرى «ول ديورانت» فى «قصة الحضارة، جـ١، ص (١٤)،» أن «طراز الهيكل هو الطراز الذى أخذه الفينيقيون عن مصر، وأضافوا إليه عن الآشوريين والبابليين، ومن ضروب التزيين».. ثم يضيف أن بناء الهيكل عُد «أهم الأحداث فى ملحمة اليهود، فإنه لم يكن بيتاً ليهوه (اسم الله عند اليهود) فحسب؛ بل كان أيضاً مركزاً روحياً لليهود، وعاصمة لملكهم، ووسيلة لنقل تراثهم، وذكرى لهم، تتراءى لهم طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض، ولقد كان له شأن فى رفع الدين اليهودى من دين بدائى متعدد الآلهة،إلى عقيدة راسخة، غير متسامحة»[٣] .

وقد دمر هيكل سليمان، كما يحكى التاريخ اليهودى، مرتين :

الأولى : حينما «أوغر الله بهدمه (والرب الوثنى القديم كان يغضب ويثور لأتفه الأسباب - كما يقول د. أحمد هيبى)، بعد أن نقم على سليمان لأنه لم يحفظ العهد ويأتى الفرائض المقررة، فلقد قرر الرب معاقبته بتمزيق مملكته على يد ابنه (إلى دولتين هما : يهودا التى استمرت تضم القدس والهيكل، ودولة إسرائيل إلى

× تابوت العهد : يصف سفر الخروج (٢٥ : ١٠-١٦) بالتفصيل مكونات «تابوت العهد» المصنوع من خشب السنط المكفت بالذهب كما يصف زينته (المستوحاة من تأثيرات فرعونية وبابلية)، حيث توضع داخله «الشهادة»، وهى ترجمة مأخوذة عن «أدوت» التى تعنى كلمة مصطلح عليها، تدل على بنود المعاهدة المفروضة من السيد الإقطاعى على أمينه، والشهادة هنا هى الوصايا العشر المكتوبة على لوحى حجر يسميان أحياناً «لوحى الشهادة»، وبناء على ذلك يسمى التابوت «تابوت الشهادة» أيضاً.

انظر «الكتاب المقدس»، كتب الشريعة الخمسة : التكوين - الخروج - الأحبار - العدد - تثنية الاشتراع - بيروت، دار المشرق، ١٩٨٤، ص : ١٩٦.

(٢) د. أحمد هيبى، هل يحدث انقلاب عسكرى فى إسرائيل ؟، القاهرة، ستار برس للطباعة، ١٩٩٢، ص : ٨٨.

(٣) المصدر نفسه.

الشمال منها)، ثم قرر الرب هدم الهيكل بجريرة أحد أحفاد سليمان، وبواسطة نبوخذ نصر ، الملك الآشورى، «الذى احتل أورشليم وأجلى اليهود عنها وهدم الهيكل بعد ٤٠٠ سنة من بنائه، عام ٥٨٦ ق.م»[٤].

وحينما ساد الملك الفارسى «كورش» المنطقة، سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين بعد أن احتلها عام ٥٣٩ ق.م، وصرح لهم بإعادة بناء الهيكل واسترجاع أدواته وأجهزته التى أخرجت معه، وصودرت مع المستعبدين اليهود، فى فترة السبى.

وفى عام (٦٦ - ٧٣ ميلادية) حدث تمرد ضخم لليهود ضد حكم روما، انتهى بتدمير أورشليم ومعها الهيكل نفسه الذى خُرِّب عام ٧٠ ميلادية، وأبيد فى معارك تصفية هذا التمرد نحو ربع السكان اليهود أيضاً، ومن بعد هذه الواقعة المفجعة، والتى تلتها مجزرة أخرى لقمع العصيان الذى قاده سيمون باركوخبا (١٣٢ - ١٣٥ للميلاد) وخلفت ما يزيد على نصف المليون من القتلى وتم تشتيت الكثيرين من جرائها، ترسخ فى الاعتقاد اليهودى ما علمه لهم الحاخامون المتوجسون من إعادة الكرّة مرة أخرى، بما تستتبعه من ويلات، حيث طرحوا فكرة أن الشعب اليهودى قد أخذت عليه مواثيق مؤكدة بألا «يحسب نهاية الزمان، ولا أن يسعى لتعجيل أجلها، أو أن ينظم العودة الجماعية إلى أرض إسرائيل بالقوة»[٥] ، وجاءت هذه الأفكار رداً على التصورات التي ربطت بين «باركوخبا» و «المسيح المنتظر»، وبين تمرد الأول وعملية الخلاص المفترض بأن يأتى بها الأخير .. كذلك أشاع الحاخاميون، وانتشرت فى الأوساط اليهودية المتدينة، النظرة التى تقول أن هيكل سلميان المرتقب لن يُبنى على الأرض، وإنما سيهبط من الجنة، أى من السماء كاملاً، مجللاً بالمجد .. ومن هنا كان الرفض الذى ساد الأوساط اليهودية الخالصة التدين للفكر الصهيونى الذى يسعى إلى اصطناع عملية الخلاص، إلى فكرة إعادة بناء الهيكل مادياً فى أرض الواقع، وكان الخلاف المستند إلى هذه المنطلقات أحد الأسباب التى تكمن خلف رفض مواقف الصهيونية، من قبل بعض المتدينين اليهود، والتى لازالت قائمة حتى الآن.

وكما هو معلوم فإن الأصوليين اليهود يدَّعون أن الموقع الذى كان مقراً لهيكل سليمان هى المنطقة المشيد فيها المسجد الأقصى، ويزعمون أن «حائط البراق» الشهير الذى يؤمن المسلمون أنه المحل الذى ربط فيه جبريل براق الرسول (ص) ليلة معراجه إلى السماء (الحائط الغربى للحرم المقدس) هو جزء أثرى من الهيكل المدمر وآخر بقاياه، رغم أن التحقيقات التاريخية، ومنها تلك التى أجرتها لجان التحقيق البريطانية عقب الصدامات الدامية بين العرب واليهود عام ١٩٢٩ خلال ما عرف بـ «هبة البراق»، قد أثبتت بما لا يدع مجالاً لشك كذب هذا الادعاء، وتأكدت من أن هذا الحائط - الذى يبلغ طوله ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٥٦ قدماً - هو ملكية مطلقة للمسلمين، وهو ما أكده تقرير اللجنة الدولية المشكلة بقرار من «عصبة الأمم» عام ١٩٣٠، حيث أقرت، استناداً إلى التحقيق، أن «حق ملكية حائط البراق، وحق التصرف فيه، وفى ما جاوره، عائد للمسلمين، وهو ملك للمسلمين لأنه جزء لا يتجزء من الحرم، كما أن الرصيف الذى يحاذى الحائط، إنما أقيم لمرور سكان المنازل الخاصة التى يقيم بها المغاربة، كما ثبت للجنة أن المنطقة التى تحتوى الرصيف المذكور أوقفها على المسلمين الملك «الأفضل بن صلاح الدين» سنة ١١٩١ ميلادية»[٦].

---

(٤) المصدر نفسه، ص : ٩٢.
(٥) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص : ٣٠.
(٦) مجلة الشاهد،قبرص، العدد (١٠٥)، مايو ١٩٩٤.

نظرية "إعمال يد الله !" :

وبعد أن سقطت القدس (عام ١٩٦٧) كاملة فى أيدى الدولة الإسرائيلية، تنامت الدعوات التى تبناها غلاة الأصوليين اليهود، والتى تبرر عملية إعادة بناء «الهيكل الثالث» دونما انتظار لهبوطه من السماء فيما أطلقوا عليه نظرية «إعمال يد الله» !!

وفحوى هذه النظرية هو السعى إلى «توريط» الرب (!) بالدفاع عن (شعبه !) «المختار» إذا احتاج الأمر إلى تدخله ! حيث يتبنى هؤلاء تنفيذ المشيئة الإلهية بالقوة، وما دامت مشيئته تستوجب إعادة بناء الهيكل، فإن نسف المسجد «الكريه» المشيَّد فى موقع المعبد المقدس، إذا ما أثار ثائرة المسلمين، وقاموا بهجوم قد يعرض وجود إسرائيل للخطر، لن يترك أمام الرب من خيار «سوى التدخل لإنقاذ شعبه ومدينته المقدسة» !!(٧).

أمر إلهـــى !

ويسوغ الأصوليون اليهود هذه العملية استناداً إلى زعم أنهم يستمدون التعليمات والأوامر «مباشرة من الله»، وعلى أساس شعورهم بأنهم مسئولون مباشرة عن تنفيذ تعليماته، «فيهودا عتسيون»، «الناطق الرسمى باسم أبرز قطاع فى المنظمات الإرهابية اليهودية السرية»، على حد وصف «أيان لوستك»، وهو من قدماء مستوطنى «عوفرا»، أحد أقدم مستعمرات «جوش ايمونيم» فى الضفة الغربية، صرح أثناء محاكمته على دوره فى الاعتداء على رئيسى البلديتين العربيتين، والكلية الإسلامية، وفى المؤامرة لتفجير «جبل الهيكل»، (موقع المسجد الأقصى وقبة الصخرة)، أنه قد رأى نفسه «مسئولاً» عن تنفيذ أعمال، أعدَّها بمثابة تطهير لجبل الهيكل، المكان المقدس الوحيد لدى شعب إسرائيل، من البنى القائمة الآن عليه فى موقع قدس الأقداس، المبنى المعروف بقبة الصخرة !»(٨) .

وفى مقالات «مسهبة» نشرها فى مجلة «نيكوداه»، ذهب «عتسيون» إلى أن الأمر الإلهى القاضى بأن يبنى اليهود الهيكل، لا يمكن تجاهله، وأن استجابته لأمر الله «المؤلم فى وضوحه»، القاضى بأن يفعل مافعل، شبيهة باستجابة «إبراهيم» واستعداده غير المتردد لأن يضحى بابنه «إسحق» إذا أمره الله بأن يفعل ذلك، «وإن كان إبراهيم لم ير الغاية النافعة أو الراشدة من وراء عمله» (٩) .

محاولات

وعلى هدى من التوجيهات الإلهية المزعومة هذه تعددت محاولات تخريب وتدمير المسجد الأقصى أو إحراقه على مر ربع القرن الأخير، على أيدى الجماعات الأصولية اليهودية، بل وتكونت تنظيمات خاصة عديدة احتوى برنامجها نقطة واحدة فقط : هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل فى موقعه × .

ومن أبرز العمليات التى جرت منذ عام ١٩٦٧ حتى الآن، لتنفيذ هذه الخطة، ما يلى :

---

(٧) ديفيد لنداو، الأصولية اليهودية : العقيدة والقوة، ترجمة مجدى عبد الكريم، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٤، ص : ٢٣٩.

(٨) Nekuda, Israel, No. 88, June 24, 1985, P. 24.

(٩) Nekuda, Israel, No. 75, July 6, 1984, P. 234 & Nekuda Israel, No. 93, November 22, 1985, P. 22.

مذكورة فى : إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص ص : ١١٢ - ١١٣.

- فى الحادى والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩٦٩ أشعل مجموعة من المتطرفين اليهود النار بالمسجد الأقصى مما أسفر عن إحراق الجناح الشرقى منه بالكامل وكذلك إحراق السقف الجنوبى للمسجد ومنبر السلطان نور الدين ومنبر ومحراب صلاح الدين، وقد نفذ عملية الحريق اليهودى من أصل استرالى «مايكل دوهان» مستعيناً بعصابة إرهابية يهودية.
- فى عام ١٩٧٦ حاول أربعون يهودياً اقتحام المسجد الأقصى وإقامة الصلاة عنوةً فيه.
- فى يناير ١٩٧٧ هاجمت مجموعة يهودية مسلحة بكميات هائلة من المتفجرات، التى يستخدمها الجيش الإسرائيلى، المسجد الأقصى، وقالت صحيفة «هآرتس» يومها إن مصادر إسرائيلية اعترفت باشتراك عناصر من الجيش فى تنفيذ هذه العملية التى كان هدفها تفجير المسجد الأقصى، وسبق الهجوم بيان من منظمة معروفة باسم «تى إن تى» أعلن فيها زعيمها الحاخام «مردخاى إلياهو» أن على الحكومة الإسرائيلية بناء «هيكل سليمان» على أنقاض المسجد الأقصى دون إبطاء.
- فى شهر مايو عام ١٩٨٠ وضع الإرهابى الشهير الحاخام «مائير كاهانا» أكثر من طن من المتفجرات داخل المسجد الأقصى وقد حوكم «كاهانا» مع مساعده «باروخ جرين» وعوقبا بالحبس ستة أشهر فقط.
- فى ٢٧ يناير عام ١٩٨٣ جرت محاولة فاشلة لنسف المنطقة المحيطة بالمسجد.
- وفى ٥ مارس عام ١٩٨٣ اكتشف الحراس عبوة ناسفة ضخمة بجوار المسجد الأقصى استهدف واضعوها تدميره.
- فى يوم ١٠ مارس عام ١٩٨٣ قامت مجموعة من ٤٥ يهودياً من أتباع ثلاث منظمات إرهابية، هى «جوش ايمونيم» و «كاخ» و «أمناء جبل البيت»، باقتحام المسجد الأقصى من خلال ثغرة أحدثتها الحفريات التى تجريها سلطات الاحتلال الصهيونى تحت أساساته، وقد تزعم الهجوم الإرهابيان «مائير كاهانا» و «إسرائيل آرائيل» رئيس مجلس المستوطنات اليهودية فى الضفة.
- فى ٢١ مارس عام ١٩٨٣ كشفت «لجنة الدفاع عن المسجد الأقصى» عن جمعية باسم «صندوق جبل البيت» تم تشكيلها فى فلسطين المحتلة وولاية كاليفورنيا الأمريكية، هدفها هدم المسجد الأقصى، وتضم الجمعية جماعة «جوش ايمونيم» الإرهابية والنائبة الإسرائيلية «جيئولا كوهين» المتطرفة، ويتزعمها «تيرى ايزنهور» و «ستانلى جولدفوت»(١٠) .
- فى الثانى من إبريل عام ١٩٨٣ تجمع عدة مئات من اليهود لاقتحام المسجد الأقصى وإقامة شعائرهم فيه، وتحرشوا بالمصلين واعتدوا عليهم، وقد نقلت وكالات الأنباء صوراً لهذا الحدث.
- فى ١٤ يناير عام ١٩٨٦ قامت مجموعة من أعضاء الكنيست باقتحام المسجد الأقصى والعبث بمحتوياته.

---

(١٠) مازن الشوا، قبل أن يحل هيكل سليمان محل المسجد الأقصى، جريدة الأخبار، القاهرة، ١٩٩٥/٨/١٠.

- وفى العام نفسه، يوم ٧ يونيو، اقتحم ٣٠ يهودياً من أعضاء منظمة «جوش ايمونيم» الإرهابية المسجد الأقصى، وأقاموا احتفالاً دينياً بجوار حائط المبكى، إحياء لما سمى بـ «توحيد القدس».

- فى ١٥ يناير ١٩٨٨، اقتحمت عناصر مسلحة من قوات «جيش الدفاع الإسرائيلى» المسجد الأقصى، وقتلت ٢٨ مواطناً فلسطينياً وأصابت ١١٥ آخرين بجروح.(١١)

- فى يوم ٢٨ إبريل عام ١٩٨٩ نظمت منظمة «جوش ايمونيم» الإرهابية مسيرة لاقتحام المسجد الأقصى شارك فيها بضعة آلاف، ويومها أطلق مفتى القدس الراحل «سعد الدين العلمى» نداء من فوق المنابر والمآذن يدعو المسلمين إلى الدفاع عن الحرم، فاندفع آلاف من أبناء القدس إلى المسجد وافترشوا ساحاته ونشبت بينهم وبين الصهاينة معارك شوارع عنيفة.

- فى يوم ٨ أكتوبر عام ١٩٩٠ تزعم الإرهابى «جروشون سلمون» جماعة «أمناء جبل الهيكل» فى محاولة لاقتحام الحرم القدسى، فتصدى لهم المصلون، وتدخلت قوات الاحتلال وأطلقت النار، حيث استشهد ٢٢ من المصلين وأصيب المئات منهم، سقطوا مدرجين بدمائهم فى ساحة المسجد الأقصى، فى مذبحة بشعة، استنكرها العالم كله.

وحين عرضت المسألة على مجلس الأمن قال المندوب الإسرائيلى إن القوات الصهيونية كانت فى موقف الدفاع عن النفس، وكانت المفاجأة عندما عرض مندوب فلسطين شريط فيديو التقطه سائح غربى تصادف وجوده فى فندق مجاور للحرم، وكشفت وقائع الشريط بالصوت والصورة كيف اقتحمت القوات الإسرائيلية المسجد وأطلقت النار على المصلين.

«يومها – كالعادة – أصدر مجلس الأمن قراراً بإدانة إسرائيل ولم تتمكن الولايات المتحدة إزاء الدليل الدامغ من استخدام حق الفيتو لإسقاط القرار»(١٢).

وفى ذات الفترة أقدمت جماعة «جوش ايمونيم» على حفر نفق يمتد من «حائط البراق» حتى ساحة القدس الشريف، وقد أبطل حراس المسجد من المسلمين هذه المحاولة.

وحتى بعد توقيع اتفاقيات (السلام) الإسرائيلى – الفلسطينى، لم تتوقف عمليات الاعتداء على المقدسات الإسلامية والمسيحية فى الأرض المحتلة.

- ففى أغسطس عام ١٩٩٥ سمحت المحكمة العليا الإسرائيلية لجماعة من «أمناء جبل الهيكل» بزيارة المسجد الأقصى والقيام بطقوسها الدينية فى حرمه، وهو مارفضه الشعب الفلسطينى، ورأوا فيه استفزازاً كبيراً، مما دفع الأمين العام لرئاسة السلطة الفلسطينية، «الطيب عبد الرحيم» إلى التصريح بأن مجلس وزراء السلطة الفلسطينية أدان قرار المحكمة العليا الإسرائيلية المذكور، مؤكداً أن القدس، بمقدساتها الإسلامية والمسيحية، هى أراض محتلة، ليس لمحكمة العدل الدولية أية سلطة عليها، ولا يجوز لها تقرير وضعها أو البت فى شأنها، وفى الوقت ذاته دعت «وزارة الإعلام والثقافة الفلسطينية» المواطنين والمسلمين فى القدس إلى التوجه إلى المسجد الأقصى والصلاة فيه، فى مواجهة قرار المحكمة الإسرائيلية.

---

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) انظر: تقرير إخبارى فى الذكرى الـ ٢٦ لحريق المسجد الأقصى، القاهرة، جريدة الأهرام، ١٩٩٥/٨/٢٠، مجلة الشاهد، قبرص، العدد (١١٢)، ديسمبر ١٩٩٤.

جهود مستمرة :

ولم تنقطع الجهود المستمرة والمنظمة من قبل إسرائيل الدولة والأصوليين فيها، من أجل تهيئة الظروف للانتزاع النهائي للمسجد من أيدى المسلمين، وهدمه لإنشاء «الهيكل الثالث» محله، ومن أبرز هذه الجهود :

١- إعداد المهندس الإسرائيلى «مائير بن دوف»، بتكليف من الأوساط الأصولية المتطرفة من بين يهود إسرائيل، والمتعاطفين مع توجهاتهم، خارجها، لمخطط هندسى متكامل للهيكل المزعوم.

٢- وفى أوائل عقد التسعينيات أعلنت جماعة أصولية يهودية، اسمها «المركز الماسى العالمى»، ومركزها «القدس»، عن بدء حملة لجمع تبرعات من يهود إسرائيل والديسابورا «الشتات»، لإعادة بناء الهيكل فى موقع المسجد الأقصى، وقد وُزعت فى تلك الآونة صورة، أُنجزت بطريقة «الفوتو مونتاج الإليكترونى»، تم فيها نزع المسجد الأقصى من موقعه المشهور، وتركيب صورة متوهمة للهيكل فى مكانه.

٣- فى شهر مايو ١٩٩٥، انفجرت ضجة عارمة عقب قرار إسرائيل بمصادرة مساحات جديدة من الأراضى الفلسطينية بمدينة القدس المحتلة، وفى اجتماع «ياسر عرفات»، مع وزراء السلطة الفلسطينية، يوم السبت ٢٠ مايو، عرض (الرئيس) الفلسطينى خريطة إسرائيلية «وصلته من مصادر موثوقة»، توضح الخطة الإسرائيلية التى تعد لها إسرائيل، لتحديد مستقبل القدس، وتبين الخريطة المصورة «قيام الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى وقبة الصخرة»(١٣) .

٤- وشهدت الأيام الأخيرة من شهر نوفمبر، عام ١٩٩٥ محاكمة متطرف أصولى إسرائيلى، هو «إيال كينى»، (٢٥ عاماً)، بتهمة الإعداد لإطلاق صاروخ على مسجد الصخرة قرب المسجد الأقصى، بعد أن تدرب على هذا الأمر مراراً فى أرض خلاء، قد أعلن «إيال»، الذى عثر فى منزله على أسلحة وصور لفدائيين فلسطينيين مطلوبين للأمن الإسرائيلى، بأن «قانون التوراة يجب أن يسود على القانون المدنى فى إسرائيل»، وقد صاح مواجهاً المحكمة : «إنه هراء تماماً .. أنا لا أقبل حكمكم، ولا ألتزم إلا بأحكام الشريعة .. فما علاقة القانون البريطانى بى !»(١٤) .

٥- وفى أواخر عام ١٩٩٥، أعلنت إسرائيل الاستمرار فى إجراء حفريات أثرية تحت المسجد الأقصى، الغرض منها البحث عن بقايا الهيكل المزعوم، وهى الحفريات التى تضعف من أساسات المسجد وتهدد بانهياره، وتجئ هذه المساعى مواكبة لما كشفته وسائل الإعلام عن خفايا الخطة المسماة «عميق هميلخ» والتى تستهدف إحكام السيطرة على الجزء الجنوبى من القدس، والعمل على إقامة منطقة سياحية فى الناحية الجنوبية للحرم القدسى، وكذلك فى منطقة سلوان، وقد أذاع التليفزيون الإسرائيلى، فى تلك الأيام، برنامجاً دعائياً، بثه تحت عنوان «القدس لا تنتظر»(١٥) ، كشف فيه الخطط الصهيونية الرامية إلى الاستيلاء على الأراضى العربية وتهديدها، وزيادة أعداد السكان اليهود فى القدس، لكى يشكلوا غالبية ديموغرافية فيها، وهو ما يمهد لحسم الموضوع الشائك المعلق : موضوع هدم المسجد وبناء الهيكل.

---

(١٣) جريدة الأهالى، القاهرة، ١٩٩٥/٥/٢٤.

(١٤) جريدة يديعوت أحرونوت، إسرائيل، ١٩٩٥/١١/٣٠.

(١٥) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/١٢/٢٠.

معهد بناء الهيكل :

على مستوى «استراتيجى» آخر، فإن واحدة من أخطر خطوات الإعداد الأصولى اليهودى لهدم المسجد وبناء الهيكل الثالث محله، تلك المتعلقة بإنشاء المؤسسة التى أطلق عليها اسم «معهد بناء الهيكل».

وهذا المعهد أنشئ عام ١٩٨٦ فى «القدس القديمة» بمبادرة من الحاخام المتطرف «إسرائيل آرييل»، ويدعم من عدد من «اليهود القوميين المتدينين»، والحاخام «آرييل» كان من أشد المعارضين لإخلاء مستعمرة «ياميت»، وهو أحد دعاة الأصولية العنصرية اليهودية، ورعاتها، الذين يغطون بفتاويهم الدينية أعمال الإرهاب ضد العرب، وقد أيد هذا الحاخام، «باروخ جولد شتاين» سفاح الحرم الإبراهيمى، باعتباره «شهيد حرب من أجل أرض إسرائيل»، مبرراً جريمته بالقول «إن هؤلاء القتلى (العرب)، الذين يقال عنهم أبرياء، كانوا قد ذبحوا أناساً أبرياء من اليهود، من الشيوخ والنساء والأطفال عام ١٩٢٩ (!!)»، كما يعتبر الحاخام «آرييل» واحداً من المتعصبين الداعين لهدم المقدسات الإسلامية وبناء الهيكل اليهودى فى موقعها، ومن نشاطاته فى هذا السياق كتاب «أوديسا المعبد الثالث»، الذى أصدره باللغة الإنجليزية، شارحاً فيه مكونات الهيكل وأدواته وتاريخه وأهميته لليهود، «وكرمز لفكرة ذات أهمية عظمى وجدت حتى قبل خلق الكون!»(١٦)، كما يؤكد على ضرورة بناء الهيكل، دون انتظار ظهور «المخلّص»؛ «إذ إن فريضة البناء مازالت حيّة بين اليهود، وهى واجبة على كل جيل وتنتظر من يطبقها»(١٧).

و «معهد الهيكل» يضم أكثر من عشرين باحثاً وعالماً فى مختلف فروع المعرفة، وهم يستخدمون الحاسب الآلى والتكنولوجيا المتطورة لبرمجة كافة المعلومات المتعلقة بأدوات الهيكل وأوانيه ومستلزمات شعائره، والمكونات التى تدخل فى إنتاجها، كما صنعوا العطور التى ستستخدم فى طقوسه، بحسب النصوص والصفات التوراتية القديمة، وهم يعرضون هذه الأشياء فى صناديق زجاجية، «لا كما تعرض محتويات المتاحف» - على حد تعبير الحاخام «حاييم ريتشمان»، المتحدث الرسمى باسم المعهد - وإنما «من أجل أن يعرف الناس بأن عملية بناء الهيكل قد بدأت»، كما يشير إلى أن الخطط المعمارية للهيكل وتفاصيل شكله وحجمه «قد وضعها الاختصاصيون فى ضوء ما ورد عنه فى التلمود من مواصفات»(١٨).

ومن الجدير بالذكر أن هذا المعهد يعتمد فى تمويله على منح من مؤسسات إسرائيلية مثل وزارة السياحة، ووزارة الشئون الدينية، وزارة التربية، وبلدية القدس، وغيرها من المؤسسات الرسمية للدولة الإسرائيلية.

سيناريو الحرب المقدسة الآتية :

وهكذا فالمتتبع لتطورات الصراع الداخلى فى إسرائيل حول قضية إعادة بناء الهيكل، يمكنه أن يلاحظ أن التناقض بين الطرف الأصولى والسلطة السياسية، فى هذا الشأن، ليس خلافاً حول المبدأ بقدر ما هو اختلاف حول تحديد التوقيت المناسب لتنفيذ المهمة المتفق عليها، فالطرفان مشتركان فى الإقرار بالضرورة المطلقة لهذا الأمر، لكن الطرف الأصولى يريد إنجاز هذه المهمة الآن، وفوراً، وبغض النظر عن النتائج أو العواقب، فيما

---

(١٦) انظر : جعفر هادى حسن، معهد بناء الهيكل يباشر بإعداد المعدات واللوازم، جريدة الحياة الدولية، ١٩٩٤/٧/٦.
(١٧) المصدر نفسه.
(١٨) المصدر نفسه.

يرى الطرف الصهيوني، السياسي، ضرورة إبداء المزيد من التريث حتى لا يتسبب مثل هذا الأمر في انفجار بركان الغضب العربي والإسلامي الذي قد يحرق إسرائيل بويلاته.

فالواقع «إن تدمير الأماكن الإسلامية المقدسة في جبل الهيكل، على نحو ما يرى «دوورون روز نبلوم»، الصحفي الإسرائيلي البارز، ليس إلا «مسألة وقت»، أما عواقبه فستكون وخيمة، كما يتصورها، في «السيناريو» التالي :

«الإلغاء الفوري لمعاهدة الصلح مع مصر، .. تظاهرات عفوية في كل الدول العربية، تقارير إخبارية على الشبكات الأمريكية تفيد عن إعلانات الحرب من قبل العالم العربي كله،.. تعبئة الاحتياط .. في غمرة تقارير عن التوترات على الجبهات الأربع كلها، تدفق القوات المصرية إلى سيناء، إطلاق نار في الجولان ووادي الأردن، معارك جوية مع طائرات إيرانية، سعودية، ليبية، عراقية، وسورية، .. شائعات عن تذبيح اليهود السوريين (!) .. حرب عصابات في الأراضي المحتلة بين العرب والمستوطنين، «مجازر» ستسمى فوضى تامة، تدخُل القوتين العظميين وحرب تستمر شهوراً أو سنوات».(١٩)

---

(١٩) DORON ROSENBLUM, The Temple Mount will Be Blown Up, Koteret Rashit, Israel, No. 131, November 1, 1987, PP. 20 - 21.

مذكورة في : إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص : ١٩٠.

« هنالك وقت للتطبيب ووقت للقتل .. لن نترك الخليل مهما يكن من أمر .. إننا نغش أنفسنا عندما نفكر بأهمية التعايش مع العرب. إنه غير ممكن .. إنهم مرض .. والجيش الإسرائيلي يخطئ عندما يمنعنا من الانتقام منهم ويمنعنا من تخويفهم .. لابد أن نطردهم : إنهم نازيو اليوم » !!

« باروخ جولد شتاين » سفاح الحرم الإبراهيمي
من آخر حديث أجراه معه الصحفى الأمريكى
توم روبرتس ».

تخوم الحرب الأهلية

فُسرت النتائج التى تمخضت عنها حرب يونيو ١٩٦٧ تفسيراً أصولياً، خلاصياً، صبَّ فى صالح الاتجاهات الدينية - الأصولية الإسرائيلية، وتلقت الأفكار المسيحانية التى تؤمن بقيامة «المسيح المخلص» وإعادة تشييد الهيكل وبناء «مملكة إسرائيل» دفعةً قوية، دعمها وصول تكتل الليكود المتحالف مع الأحزاب الدينية واليمينية إلى السلطة عام ١٩٧٧، وفى ظل قيادة «كارزمية» مثلت تراث العنف والعدوانية والإرهاب الصهيونى (شخصية «مناحم بيجن» - قائد «الأرجون تسفاى ليومى» السابق، وزعيم تكتل ليكود فى تلك الفترة) انطلق طوفان التعصب المقيت من عقاله، وتفاعلت الدولة - علناً وسراً - وتواطأت أجهزتها - على كل المستويات - مع حركة الاستيطان التى راحت تمد أظافرها إلى الأراضى العربية المحتلة، المفترض تمتعها بحماية القوانين والشرائع الدولية.

كانت الرصاصات التى أطلقت بعد أربعة أشهر فقط من انتهاء حرب ١٩٦٧، يوم ١٤ أكتوبر، على «ماير فيلنر» سكرتير الحزب الشيوعى الإسرائيلى فكادت أن ترديه قتيلاً، على يد عامل مطبعة يعمل فى صحيفة كتلة جحال (اليمينية) عقاباً له ولحزبه على إدانتهما للحرب العدوانية ونتائجها، مؤشراً على اتجاهات الصراع، وفيما بعد، بدءاً من عام ١٩٧٤، أى فى الفترة التى شهدت إعلان جماعة «جوش إيمونيم» الاستيطانية بقيادة الحاخام «موشى ليفنجر»، ومع توثق عرى التحالف الذى حدث بينها وبين نفر من كبار الحاخامات (مثل تسفى يهودا كوك) وكبار الجنرالات (وعلى رأسهم «إيريل شارون» - وزير الدفاع السابق) وعدد من «صقور» حزب العمال (اليسارى)، انتشرت حمى الاستيطان المصحوب بالعنف والإرهاب ضد المواطنين العرب الفلسطينيين فى الأرض العربية المحتلة، خاصة مع بروز «الكاهانية» المحمومة وانتخاب زعيمها «مائير كاهانا» عضواً فى البرلمان عام ١٩٨٤، وأصبحت صورة «الرائد» الجديد (الهالوتز)، بهيئته التقليدية المتجسدة فى عناصر «جوش إيمونيم»، الطلائعية، قدوة يحتفى بها : «شاب ملتحٍ، يضع على رأسه الكيبا (الطاقية المزركشة)، ويحمل فى يده كتاب «أووروت ماكوريش»، (النور فى القداسة) للحاخام الراحل «إبراهام إسحاق كوك»، وفى اليد الأخرى يحمل مدفعاً رشاشاً تسلمه من الجيش الإسرائيلى، ويضع رداء يغطى ركبتيه وكفيه، بينما تهتم رفيقته بأطفالهما العديدين»[(١)].

وفى حين نشط الحاخامات، أصحاب المقامات الرفيعة، فى تقديم التغطية القانونية الشرعية والمستمدة من نصوص التوراة وإشاراتها للزحف المستمر على أراضى العرب .. غطت قيادات الدولة الحاكمة فى ذلك الوقت ودعمت مالياً وإعلامياً، كل تجاوزات الجماعات الاستيطانية والإرهابية تجاه الجموع العربية والأراضى العربية، وحتى حينما كانت المحاكم تصدر - بضغط من الرأى العام - أحكاماً (متساهلة فى الغالب) على بعض المجرمين من إرهابى المستوطنين الذين تسببوا فى مقتل وإصابة أعداد ضخمة من الفلسطينيين، وإحداث تخريبات هائلة لممتلكاتهم، كانت الحكومة تجد باستمرار الوسيلة للإفراج عنهم، بعد فترات وجيزة من السجن المُنعَّم، حتى لو اقتضى الأمر صدور مرسوم رئاسى بالعفو عنهم كما حدث تكراراً من قبل.

---

(١) جوزيف الجازى، Le Monde Deplomatique ، باريس، المتطرفون اليمينيون يؤكدون على ضوء التحقيقات فى اغتيال رابين دورهم فى صنع السياسة الإسرائيلية، عدد ديسمبر ١٩٩٥.

ومع مرور الزمن، وبتدعم التحالف الموضوعى الصهيونى اليمينى (بزعامة تكتل الليكود) - الاصولى (بزعامة جوش ايمونيم)، مع الاتجاه الدينى التقليدى (الحزب الدينى الوطنى - المفدال)، استمرت عمليات التحول داخل حزب المفدال باتجاه اليمين شيئاً فشيئاً، وانتقل من مواقعه التى صمد فيها طوال عقود طويلة ك «حزب وسط يشكل لسان الميزان فى الساحة الحزبية لإسرائيل، إلى صورة حزب يمينى واضح التطرف، يقف فى معظم الأحيان على يمين تكتل الليكود، ويقترب فى كثير من مواقعه من حزب هتحيا»[٢].

لقد أمد إدراك الأحزاب والحركات الدينية لأبعاد دورها الفاصل فى حسم نتيجة الصراع على السلطة فى إسرائيل، زعماءها، بمزيد من القوة، وسمح لها بممارسة عمليات «ابتزاز سياسى» مستمر استهدف:

أولاً : فرض أفكارها ومعاييرها وقوانينها الدينية المتزمتة على حياة الدولة.

ثانياً : ابتزاز الحكومة مالياً، عن طريق الحصص المتزايدة من الميزانية، والمخصصة للإنفاق على المؤسسات والنشاطات الدينية.

ثالثاً : تحقيق ميزات هامة لعناصرها والمنضوين تحت لواءها، أهمها إعفاء أتباعها من الخدمة العسكرية، وهو الأمر الذى ساعد على جلب أعضاء كثيرين لصفوفها.

رابعاً : التحكم فى مصير الدولة، إلى الحد الذى جعل الحاخام «مناحم أليعيزر شاخ» العجوز، القابع فى مستوطنة «بنى براك»، يقرر - عام ١٩٨٨ - مَن سيكون رئيس الحكومة فى إسرائيل، متوجاً «اسحق شامير» فى هذا الموقع الهام، على الرغم من كون حزب العمل هو الحزب الحاصل على أكبر الأصوات.[٣]

لقد وصل الحاخام «شاخ» - على رأس موجة التطرف الدينى الأصولى - اليمينى، إلى الحد الذى أطلق عليه نعت «صانع الملوك»، وكتب محرر «جيرازوليم ريبورتر» يصيح : «لقد حمل شاخ مسدساً فوق رؤوسنا لمدة طويلة، وإذا لم نتوخ الحذر فإن أصبعه قد تضغط على الزناد، ومن الأفضل أن نجرده منه بسلام»[٤].

وأدت عمليات الابتزاز المستمرة التى خضعت لها الحياة السياسية فى إسرئيل، والنتائج التى تمخضت عنها إلى إصابة التيارات العلمانية و (اليسارية) بالهلع من المسار الذى تتجه إليه الدولة، والمخاطر التى تتعرض لها طبيعة النظام كما ألفوه منذ إعلانها، الأمر الذى جعل مطلب «فصل الدين عن الدولة» مطلباً جماهيرياً وجد له صدىً كبيراً فى مؤتمر حزب العمل الخامس (يونيو ١٩٩٢) الذى تحرك لنزع إصبع التيارات الدينية والأصولية وإصبع الحاخام «شاخ» عن الزناد، وشهدت الصحافة حملات واسعة تندد بالهجوم الأصولى على كل الجبهات، حيث كتب «آفنز ريجف» : «مطلوب حكومة من دونهم»[٥] بينما طالب «فرانسيس ريداى» بـ «فصل متدرج للدين عن الدولة»[٦]، واحتدم الصراع بين أنصار الاتجاهين إلى الحد الذى دفع «شمعون

(٢) جريدة «عال همشمار»، إسرائيل، ١٩٩٢/٦/٩.
(٣) عطا القيمرى، مصدر سبق ذكره، ص : ٢٤٢.
(٤) هيرش جوتمان، صانع الملوك الذى يكره الولايات المتحدة، Jerusalem Reporter ، إسرائيل، يونيو ١٩٩٢.
(٥) جريدة عال همشمار، إسرائيل، ١٩٩٢/٦/١٥.
(٦) جريدة Jerusalem Post ، إسرائيل، ١٩٩٢/٦/٣٠.

بيريز»، زعيم حزب العمل فى تلك الآونة، إلى التدخل لتلطيف المناخ المتوتر السائد، مصرحاً بأن ما طرح فى مؤتمر حزب العمل «ليس فصل الدين عن الدولة، ولكن فصل الدين عن السياسة» (٧) .

وكان من جراء الحملة المضادة التى نظمتها الاتجاهات (العلمانية) المعادية لسيطرة التحالف اليمينى/الأصولى على مقاليد السلطة فى إسرائيل، أن فقدت الأحزاب الدينية بمجموعها أربعة من مقاعدها فى انتخابات الكنيست التى جرت فى شهر يونيو ١٩٩٢، فلم تنجح إلا فى تأمين أربعة عشر مقعداً بعد أن كانت ثمانية عشر، ويقابلها - فى الناحية الأخرى - مؤشر ذو دلالة وهو فوز حركة «تسومت» بثمانية مقاعد - دفعة واحدة - وهى الحركة التى خاضت المعركة بزعامة «رفائيل إيتان»رئيس الأركان الأسبق، وببرنامج يطالب بوضع حد للمساومات مع الأصوليين، وبتجنيد طلاب المدارس الدينية - أسوة بغيرهم - فى الجيش.

وتجسَّد هذا التحول الخطير فى مسار الهيمنة اليمينية - الأصولية فى حدث بالغ الأهمية، تمثل فى خروج الحزب الدينى الوطنى، (المفدال) - لأول مرة فى تاريخ إسرائيل وتاريخه - من التحالف الحاكم للدولة، بعد أن تبنى هذا الحزب فى حملة انتخابات الكنيست الثالث عشر (يونيو ١٩٩٢) شعاراً حاسماً يتعهد فيه للجمهور بالانضمام إلى حكومة برئاسة تكتل الليكود فقط (٨) ، وفى ظل هذا المناخ المحموم لم يتردد أحد الرؤوس الدينية، الحاخام «بنحاس مناحم أنتار»، (حزب «أجودات يسرائيل») عن وصف (اليسار الصهيونى)، بزعامة حزب العمل (تكتل المعراخ)، بأنه «عدو إسرائيل الحقيقى» (٩) .

على تخوم الحرب الأهلية :

غير أن التيارات الدينية - الأصولية لم تستسلم لهذا الفشل، وما كان لها أن تستسلم وتضحى بوجودها ومصالحها وامتيازاتها المادية والمعنوية الهائلة فى المجتمع، بل كانت ولازالت على استعداد لأن تُعرض الدولة برمتها للخطر فى مقابل الحفاظ على هذه الوضعية المتميزة التى راكمتها على امتداد العقود الثلاثة الأخيرة تقريباً، حتى ولو دفعت الأمور إلى حواف الانفجار، وتخوم الحرب الأهلية .. مستندةً فى ذلك إلى قدسية وضع «أرض إسرائيل» ورفض كافة محاولات التسوية السياسية التى تقودها الاتجاهات غير الدينية فى الدولة.

«فإلياكيم هعتسينى» يرى أنه «لليهود الأوفياء لأرض إسرائيل الحق فى مقاومة دولة إسرائيل، أو حتى إطاحتها، إذا ما خانت الصهيونية والشعب اليهودى بالموافقة على ترك بعض أجزاء الوطن للحكم العربى (١٠) ، واتخذت جماعة قياديةٌ من المستوطنين الأصوليين قراراً فى أكتوبر ١٩٨٥، بأن «مقترحات ومشاريع رئيس الوزراء (بيريز) تشكل خرقاً واضحاً ومطلقاً لدور إسرائيل كدولة صهيونية، وتحذر أى نظام

---

(٧) جريدة يديعوت أحرونوت، إسرائيل، ١٩٩٢/١١/٢٢.
(٨) جريدة يديعوت أحرونوت، إسرائيل، ١٩٩٢/٥/٥.
(٩) مجلة حداشوت، إسرائيل، ١٩٩٢/٦/١.
(١٠) إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص : ١٢٩.

فى إسرائيل يطبق هذه المقترحات «بأننا سنعده نظاماً غير شرعى، كما عدّ الجنرال «ديجول» نظام الماريشال «بيتان» الذى خان الشعب الفرنسى فى فيشى»(١١).

ولوح عدد من المستوطنين مهددين بالتمرد على الدولة، مصرحين مثلما صرح موشيه ليفنجر، حاخام «جوش ايمونيم» مشهِّراً، فى مقال بعنوان : «لا تتخلوا عن راياتنا القديمة»، بأنه «سوف ننكر على البلد الحق فى أن يسمى «دولة إسرائيل»، وسوف نمضى فى الحفاظ على دولة اليهود فى قلب وطننا، وننقش على راياتها واجب الاستيطان وجمع شمل المنفيين»(١٢).

وبدا واضحاً من السياق أن إسرئيل تتعرض لأزمة بالغة العنف وأن رايات التمرد والتمهيد للانقلاب على أسس النظام، يحقق صالح التحالف الأصولى - الدينى - اليمينى، ويعيده إلى دست الحكم تعلو فى دروب المستوطنات وتتردد دعواتها فى أرجاء الكنيست، إلى الحد الذى جعل «يائير شيليج» يكتب فى مجلة «جوش ايمونيم» المتطرفة «النقطة»، (نيكوداه)، كاشفاً الغطاء عن «السيناريوهات» التى نوقشت مراراً فى هذا الصدد، ومنها : أن ينضم بعض الساسة اليمينيين ذوى الشعبية الجماهيرية، إلى بعض القادة العسكريين الطامحين «من أجل إعادة النظام والاتزان العقلى» فى خضم صراعات يهودية مزمنة فئوية، ومتزايدة العنف، وسيكون فى وسع «جوش ايمونيم» أن تمد هذه العناصر بالدعم السياسى والشرعية الأيديولوچية المطلوبة(١٣).

وكانت بعض الاجتهادات السياسية قد لاحظت، فى فترة صعود الانتفاضة الفلسطينية وتداعياتها، ومع عجز آلة الحرب والسياسة الإسرائيلية عن قهرها (قبل أن يتولى الطرف الفلسطينى الرسمى هذه المهمة بنفسه)، أن الرأى العام الصهيونى (اليمينى المتشدد والأصولى بالذات) قد أصبح معبئاً، وبشدة، باتجاه الانحياز لحل أكثر حسماً، وعدوانية، يستهدف سحق الانتفاضة وتدمير أركانها، وقد طرح البعض، فى هذا السياق، سيناريو لانقلاب يمينى/أصولى على نظام التعددية السياسية فى الدولة، يعتمد على وصول زعيم يمينى يتمتع بالكاريزما الضرورية لاجتذاب التفاف الجماهير من حوله، إلى السلطة، عن طريق الانتخابات البرلمانية، ثم يقوم هو نفسه - بعد أن يُتم عملية حشد التأييد ومركزة السلطة فى قبضته - بإصدار قرارات فاصلة، انقلابية، تجمد المظاهر الديمقراطية السائدة، بدعوى تكتيل الجمهور للخروج بالدولة من أزمتها، وسحق التمرد العربى، وفرض الحل الإسرائيلى على المنطقة، وقد رشحت بعض التحليلات «آرئيل شارون» الجنرال اليمينى الفاشى النزعة، للعب هذا الدور، يدعمه فى هذا المسعى جماهيريته التى لا تنكر، وتاريخه (المرموق) فى خدمة المشروع الصهيونى، وآرائه المعلنة فى ضرورة التصدى بالقوة لقهر العرب وتصفية قضيتهم.(١٤)

---

(١١) انظر مقال موشيه شاريرا :
The State of Israel Vs. The State of Yesha, Nekuda, Israel, No. 93, November 22, 1985, P. 11.

(١٢) MOSHE LEVINGER, Do Not Throw Away The Old Banners, Nekuda, Israel, No. 97, March 25, 1986, P. 7.

(١٣) YEIR SHELG, Nekuda, Israel, No. 86, April 26, 1985, PP. 12 - 13.

(١٤) لمزيد من التفاصيل حول هذه الرؤية، انظر : د. أحمد هيبى، مصدر سبق ذكره، ص ص : ١٨٥ - ٢٠٩.

وقد مهدت هذه التصعيدات إلى لحظة التأزم العنيفة الذى قادت فى منتصف التسعينيات «إيجال عامير» لإطلاق رصاصاته على «إسحق رابين» فى قلب ميدان «ملوك إسرائيل»، ووسط حشد ضم عشرات الآلاف من المؤيدين والأنصار.

فالحاخامات والأصوليون والمستوطنون اليمينيون من غلاة الصهاينة الذين صعّدوا من موجات غزوهم للأراضى الفلسطينية المغطى بالتفسيرات التوراتية فى فترة حكم التحالف اليمينى- الأصولى بقيادة الليكود ١٩٧٧: ١٩٩٢، والذين صُبت فى خزائن مستوطناتهم وتشكيلاتهم الاجتماعية والتعليمية مئات الملايين من الدولارات على امتداد نحو ربع قرن من الزمان، أصبحوا على استعداد للقيام بأية خطوة تسترجع فردوسهم المفقود، وتعيد لهم سطوتهم المرتجاه.

التهديد بدولة يهودية أخرى!

بل إن هؤلاء لم يقفوا عند حد التشهير بالسلطة العمالية الحاكمة، وابتزازها تحت وطأة اتهامها بممالأة العرب (!)، وإنما تقدموا خطوة، حتى وإن كانت شكلية، فهى ذات دلالة كاشفة، باتجاه التهديد باتخاذ إجراءات أكثر حدة وتصعيداً إذا لم تستجب الدولة لمطالبهم الاستفزازية التى لا سقف، نهائياً، لها ! حيث أعلن خمسون مندوباً، يمثلون المستوطنات الصهيونية فى الضفة والقطاع والجولان، فى اجتماع عقد (بالقدس) فى يناير ١٩٨٩، تأسيس ما أطلقوا عليه اسم «دولة يهودا المستقلة !»، فى ظل احتفال «رسمى» مهيب (!) احتوى كل الشكليات المصاحبة لإعلان الدول : العلم والنشيد والهيئات المنتخبة والدستور.. إلخ (!).

ولم يكن غريباً، وهذه هى الحال، أن ينتخب قادة هذه (الدولة) ! «مائير كاهانا» رئيساً فخرياً لها، و«ميخائيل بن حورين»، من مستوطنى الجولان، وعضو منظمة «كاخ» الإرهابية، رئيساً لما أسموه «اللجنة التنفيذية» المؤلفة من سبعة أعضاء (!!).[١٥]

وقد أعلن مؤسسو هذه (الدولة) أن ولاءهم لدولة إسرائيل الحالية سينتهى فى اللحظة التى تتخلى فيها حكومة تل أبيب عن أى جزء من «أرض إسرائيل»، وتعهدوا بالسيطرة بالقوة على أية أراض يتم التخلى عنها، والتمسك بها، والدفاع عنها، وتجسيد «دولة يهودا» فيها[١٦] .

حاخامات الدم:

لقد أثارت التراجعات التكتيكية المحدودة التى لجأت إليها حكومة حزب العمل، فى إطار التسوية السياسية الدائرة فصولها بين الدولة الإسرائيلية والأنظمة العربية، ثائرة حاخامات الدم اليهود داخل إسرائيل وخارجها، إلى الحد الذى دفع رئيس الوزراء الصهيونى السابق «إسحق رابين» قبل اغتياله بأشهر معدودة، وهو على ماهو عليه من عنصرية وعدوانية لا تحتاج إلى مزيد من الإيضاح، إلى الرد الغاضب على موجات تهجماتهم

---

(١٥) أحمد خليفة، حركة كاخ فى المشهد السياسى الإسرائيلى، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، عدد (٢١٨)، ربيع، ١٩٩٢، ص : ١٩٠.

(١٦) EHUD SPLINZAK, The Ascendance of Israel's Radical Right, U.K., Oxford University Press, 1991, PP. 24 - 28.

واحتجاجاتهم، مشبهاً إياهم بـ «آيات الله»، وواصفاً تفكيرهم بـ «العنصرية» !! (١٧) الأمر الذى يعنى (إذا ما ترجم إلى مفردات القاموس السياسى الإسرائيلى) أنهم قد بلغوا فى العنصرية حداً غير مسبوق، لم يحتمله «رابين» نفسه، وهو أحد الرموز العظمى للعنصرية الصهيونية .. وعلى هذا فلنا أن نتصور المدى الذى بلغته تلك الاتجاهات فى عنصريتها، وأن ندرك مكامن الخطر فيه. لقد اعتبر «إسحق رابين» أن ما حدث «أمر لا سابق له وغير مقبول بتاتاً وخطير جداً، وهو يتعارض مع الأسس (الديمقراطية) لدولة إسرائيل، التى لن تسمح بأن تتحول إلى جمهورية موز» فى حين عبر «عيزرا وايزمان»، رئيس الدولة عن مخاوفه من هذه التطورات، بصراحة : «إننى أخشى من حدوث شرخ عميق داخل (الشعب) يؤدى إلى خطر وقوع حرب أهلية» (١٨) .

وقد جاءت ثورة الحاخامات هذه، ذروة لمواقف عدائية متصاعدة، اتجهت إلى تحريض الإسرائيليين عامة، وجنود وضباط الجيش خاصة على النظام، ومطالبتهم برفض الانصياع لأوامر الحكومة (الرسمية) وضرب عرض الحائط بتعليماتها الخاصة بتوفير الظروف الضرورية لتسليم منظمة التحرير الفلسطينية المواقع المحددة فى الضفة الغربية والقطاع، والتى تم الاتفاق على أن تخضع لإدارة الطرف الفلسطينى، بموجب اتفاقية أوسلو وتوابعها، بالرغم مما هو معروف من أن هذه (المناطق) لن تزيد بحال من الأحوال عن ٣٠٪ من الأراضى الفلسطينية المحتلة، ذات الأغلبية العربية الطاغية، وبالرغم مما هو معلن - أيضاً - عن ضخامة الثمن المدفوع فى المقابل، والذى يمكن تلخيصه فى الاعتراف العربى الرسمى الكامل بالدولة الصهيونية، وفتح أبواب العالم العربى والعالم أجمع على مصراعيه لإسرائيل، ومنحها صك البراءة على جرائم الصهيونية طوال القرن الماضى فى حق العرب، .. إلخ.

العنصرية الأصولية!

ويلعب «حاخامات الدم فى إسرائيل» دور الأب الروحى للعنف، والموجه السياسى للإرهاب، والمرشد الفكرى لجحافل الموت التى تتجول فى الأراضى العربية المحتلة، حاملةً الخراب والدمار لأصحابها الأصليين من العرب الفلسطينيين.

والفلسفة التى يحملها هؤلاء هى تلك التى عبر عنها أحدهم، الحاخام «إبراهام هكت»، رئيس اتحاد حاخامات أمريكا، الذى قال «أنت لا تستطيع الثقة بأى عربى، حتى بعد ٤٠ سنة من دفنه، والآن مطلوب منا أن نثق بهم فى حياتنا .. كيف يستطيع إنسان عاقل أن يصدق عربياً ؟!» .. وهى تلك التى عبر عنها حاخام آخر، فى رثاء جولد شتاين، سفاح مجزرة الخليل : «إن مليون عربى لا يساوون ظفر إصبع يهودى واحد» !!(١٩)

أما الحاخام «دوف ليورد»، رئيس حاخامات «كريات أربع»، فلقد رثى «باروخ جولد شتاين» سفاح مجزرة المسجد الإبراهيمى فى الخليل باعتباره «قديساً يحمل القيم والمثل العليا فى اليهودية» وكان يجيز استخدام

---

(١٧) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/٧/٨.
(١٨) المصدر نفسه، ١٩٩٥/٧/٢٠.
(١٩) مجلة المجلة، لندن، العدد (٧٣٥)، ١٣ - ١٩٩٤/٣/١٩.

المعتقلين العرب كحقل تجارب بيولوجي لصالح إسرائيل، في حين قال الحاخام «جينسبرج»، من اليهود اللوبافتش، إن «دم غير اليهود لا يصل إلى مستوى دم اليهود»[٢٠]، وهو تعبير نازي من المستوى الأول!

وقد كرر رئيس «اللجنة العامة للدفاع عن كرامة الإنسان!»، الحاخام «مردخاي يديديا» نفس الدعوة العنصرية الوحشية السابقة، بمطالبته الحكومة بالسماح باستخدام أعضاء من أجساد العرب الذين يُقتلون خلال الانتفاضة في زرع الأعضاء البشرية للمحتاجين من اليهود، بدلاً من الحصول عليها من يهود آخرين، لأنها عمليات محرمة بموجب القانون اليهودي الديني.

وفي وقت سابق صرح «أوفاديا يوسف»، الحاخام الذي يرأس حزب «شاس» (حليف حزب العمل في الحكومة السابقة) بأن «العرب أسوأ من أكثر الحيوانات توحشاً»[٢١]!!

ويقف هؤلاء الحاخامات على قمة حركات المعارضة لأية تسوية في المنطقة، وعلى رأس فرق التحريض على العنف ضد العرب، ويشكلون التنظيمات التي تستهدف إفشال مساعي الحكومة في هذا السبيل، ويعقدون الاتصالات، ويرسمون الخطط، ويتصرفون بجرأة وقسوة وحرية، إلى الحد الذي دفع الناطق باسم «حركة السلام الآن»، (الإسرائيلية)، للتصريح بأنه يجري تنصيب «حكومة بديلة في (الأراضي)، (أي الأراضي المحتلة بعد ١٩٦٧) .. حكومة حاخامات لا تعترف بالقوانين الإسرائيلية»، وأضاف: «وتشكل هذه الحكومة البديلة ميليشيات مهمتها مقاومة التوصل إلى اتفاق سلام بين إسرائيل والفلسطينيين»، وقد جاءت هذه التصريحات تعقيباً على قرار «مجلس المستوطنين» في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين، «تصعيد الاحتجاجات» لدفع الحكومة إلى اتخاذ إجراءات أكثر صرامةً (تجاه الفلسطينيين)، واتهمت حركة «السلام الآن» المستوطنين بالقيام بأعمال عنف متزايدة ضد الفلسطينيين، في ذات الوقت ذاته الذي أشارت الصحف الإسرائيلية إلى أن هجمات المستوطنين جاءت بتوجيه من حاخامات في الضفة الغربية، يتهمون الحكومة بالإخفاق في حمايتهم، بعد أن قامت مجموعات مسلحة من المستوطنين بالهجوم على المنازل العربية وتخريبها، وبتهشيم السيارات والحقول التي يملكها العرب، كما أشعلت النيران في قرى فلسطينية في الأراضي المحتلة[٢٢].

واعتبر «آران هابات»، الناطق باسم «حركة السلام الآن» أن أعمال المستوطنين «ليست احتجاجات فعلية، بل أفعال همجية، وهجمات على السكان العرب»[٢٣]، فيما وصف «تيدي كوليك»، الصهيوني العريق، ورئيس بلدية القدس (آنذاك)، المستوطنين اليهود في القدس الشرقية، بأنهم يتصرفون «على نحو بذئ، وغير شرعي»!! وأضاف كوليك: «كل مستوطن يعيش هنا، يسير حاملاً علماً كما لو كان قد فتح القدس بمفرده ..إنه تصرف بذئ تماماً».. وأشار بإصبع الاتهام إلى أن هذه المجموعات «بكل الضجة التي تحدثها، وبكل سلوكها غير الشرعي، تشكل خطراً كبيراً، ولكنه اتجاه رسمه بعض أعضاء الحكومة»[٢٤]، التي كان على

---

(٢٠) جريدة الحياة الدولية، ١٩٩٥/٣/٢٥.

(٢١) فريد هوليداي، عنصرية إسرائيل لها سياق تاريخي، وليس دينياً، جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٤/٥/١٨.

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩١/١٢/٢٧.

(٢٤) المصدر نفسه.

قمتها، فى تلك الآونة، «إسحق شامير» الإرهابى القديم، ومن أركانها «أرييل شارون» وزير (الدفاع) الصهيونى الأسبق الفاشى، و «ملك إسرائيل» غير المتوج !

وقد دفع الفزع من ممارسات الإرهاب التى قامت بها جماعات المستوطنين المسلحة، بمباركة وتوجيه الحاخامات المتعصبين، يهودية أخرى، هى «شلوميت كيفان» للتصريح : «أعرف الكثير عن عمليات «الإبادة» الجماعية لليهود، وأشعر بأننا نفعل أشياء لا تختلف كثيراً عما فعله النازيون بنا ! »(٢٥) .

ويحرض هؤلاء الحاخامات، الجنود والضباط فى الجيش الإسرائيلى، على رفض الانصياع لأوامر رؤسائهم بإخلاء المناطق المحتلة، التى اتُفق على تسليمها للفلسطينيين.

وقد جاء ذلك فى قرار أصدره زعماء «الاتحاد الدولى لحاخامى أرض إسرائيل» بعد اجتماع حاشد عُقد بالقدس، تخلله حوار صاخب حول مسألة ما إذا كان يحق للجنود - لأسباب دينية - أن يرفضوا أوامر إخلاء قواعد الجيش فى الضفة الغربية، التى تعتبر من وجهة نظرهم جزءاً من «أرض الميعاد الممنوحة من الرب لإسرائيل» ؟! وقد أعاد الاجتماع تأكيد فتوى - تجيب على هذا التساؤل - تحرم على اليهود التخلى عن أى جزء من «أرض إسرائيل التوراتية»، وهو ما اعتبره «إسحق رابين»، رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق بمثابة «محاولة لنزع الشرعية عن الجيش»(٢٦) .

وبعد عدة أيام من هذا الاجتماع أعادت مجموعة من الحاخامات البارزين فى إسرائيل، تأكيد هذه الفتوى، عقب اجتماع حاشد آخر لهم ضم (ألفًا وخمسمائة حاخام) برئاسة كبير حاخامات إسرائيل السابق، حيث ذكر المتحدث باسمهم، الحاخام العنصرى «حاييم دروكمان»؛ أنهم قرروا «أن التوراة تحظر إخلاء قواعد الجيش الإسرائيلى أو تسليم مواقعها لسيطرة غير اليهود، فهذا يشكل خطراً على الأرواح، وخطراً على وجود البلاد .. (ذلك) أن الحكيم «موسى بن ميمون» - الذى عاش فى القرن الثانى عشر - أفتى «حتى إذا أمركم الملوك بمخالفة كلمة التوراة لا تنصتوا إليهم» .. (ولذا) فمحظور على أى يهودى المشاركة فى أى عمل يساعد فى إخلاء مستوطنة أو قاعدة أو منشأة»(٢٧) .

وجاء فى فتوى الحاخامات ما نصه : «إننا نفتى بأن هناك أمراً شرعياً يحرم إخلاء القواعد وتسليمها إلى غير اليهود، وأن الانسحاب المقترح ينطوى على خطر يهدد حياة السكان الإسرائيليين، وينطوى كذلك على خطر يمس وجود الدولة، وجاء فى التوراة (سفر اللاويين ٦/١٩) «لا تحدث فتنة فى شعبك، ولا تطلب دم قريبك، أنا الرب» ونحن ندعو الحكومة وقيادة الجيش، ألا يضعوا الجنود فى حالة صعبة حيث يتنازعهم الإخلاص للمثل التى بنيت عليها حياتهم وبين أوامر الجيش.

إننا نتوجه إلى الحكومة ومن هم على رأسها أن لا يساعدوا على إحداث الانشقاق بن الشعب وبين جيش الدفاع الإسرائيلى، وأن يدعموا بقدر ما أوتوا من قوة وحدة إسرائيل فى «ساعة المحنة» وطلبوا من الجنود «عدم إطاعة الأوامر بخصوص القواعد»(٢٨) .

---

(٢٥) المصدر نفسه.

(٢٦) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/٧/٨.

(٢٧) جعفر هادى حسن، رفض تنفيذ أوامر الإنسحاب يشق الجيش، جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/٨/١٣.

(٢٨) المصدر نفسه

والحاخامات الذين أصدروا هذه الفتوى هم من غلاة الصهاينة المتدينين الذين تعاونوا مع الدولة منذ قيامها، ورائدهم الحاخام «إبراهام هاهوكن كوك»، أول رئيس للحاخامات فى فلسطين فى القرن الحالى، والذى أضفى على الدولة العبرية العلمانية معنىً روحياً حين اعتبرها ممثلة للعصر المسيحانى اليهودى، وكان يرى أن المشروع الصهيونى «هو تعبير حقيقى عن الروح اليهودى وجوهره» (٢٩).

ورأى المراقبون فى هذه الفتوى بادرة تمزق خطيرة، تثير ملامح الانقسام داخل المجتمع الإسرائيلى الملئ بدواعى الشقاق، فالعدد الكبير من الحاخامات اليهود الذى اجتمع وتوحد حول رأى يبيح للعسكريين عصيان أوامر قادتهم، بدعوى أنها تتعارض مع تعاليم التوراة، يملك - فى أرض الواقع - قوة تأثير روحية كبيرة، من جهة على العسكريين العاديين الذين خضعوا لعمليات تعبئة طويلة المدى حول أهمية «أرض إسرائيل الكاملة» الموحدة، وقدسيتها، ومن جهة أخرى لنفوذهم المباشر على الآلاف من طلاب الشريعة (٢٠٪ من مجموع طلاب إسرائيل) وخاصة المجندون فى المعاهد الدينية التى تسمى «هاسدر»، وهى مدارس تلمودية وتوراتية توجد داخل الجيش، ويخدم بها طلاب المدارس الدينية الذين يجندون لأداء فترة خدمتهم العسكرية.

وقد اتهم الحاخام «بنى آلون»، أحد زعماء حركة المستوطنين، حكومة «رابين» بـ «اللا شرعية»، و «لذلك فإن أوامر الجيش (بتسليم بعض الأراضى المحتلة للعرب) غير شرعية»، كما أشار آخرون إلى أن حكومة «رابين»، هى - فى واقع الحال - حكومة أقلية؛ لأنها تستند فى بقائها «على دعم العرب من أعضاء الكنيست» (٣٠).

وصعد الحاخامات الأمر خطوة أخرى فى حربهم ضد «التسوية» ومجرياتها، حيث أعلن الحاخام «بينى إلون» الزعيم الروحى للحركة اليمينية المتطرفة «أرضنا»، التى تأسست بمساعدة حزب الليكود اليمينى، ومعه الحاخامان «موشى فجلين» و «همويل ساكت»، عضوا الحركة، الاحتجاج على محاولات إيجاد حل وسط بالنسبة للأراضى فى الضفة الغربية المحتلة، حيث دعا الحاخامات الثلاثة الإسرائيليون للتمرد والعصيان التام، ومقاومة مشاريع الاتفاقات السياسية مع الفلسطينيين، الأمر الذى أدى «ولأول مرة فى تاريخ الدولة إلى تطبيق قانون «معاقبة العصيان» على من يقوم بتوجيه هذا النداء» (٣١).

لقد رأى البعض من المحللين فى هذا الاتجاه؛ وهو ما أطلق عليه «حرب الحاخامات»، «أخطر شقاق وقع فى المجتمع الإسرائيلى على اعتبار أنه شقاق بين التركيبتين الأخطر سرياناً فى هذا المجتمع، وهى الفعاليات الدينية والمؤسسة العسكرية» (٣٢).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن العديد من الحاخامات الصهيونيين، الذين أصبحوا مركزاً للقوة يصعب السيطرة عليه، تجاوزوا الأمر إلى تخوم الدعوة للتمرد على الدولة، وإعلان «العصيان المدنى» حتى تستجيب

---

(٢٩) المصدر نفسه.
(٣٠) المصدر نفسه.
(٣١) LE MONDE, Paris, 5/12/1995.
(٣٢) د. محمد الرميحى، تأملات فى حزب الحاخامات، جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/٧/٢٦.

الحكومة لمطالبتهم بإجراء استفتاء حول المرحلة الثانية من اتفاقية «أوسلو»، وعلى رأس هذه الطائفة، يقف الحاخام «شلومور سكن»، حاخام مستوطنة «أرفات» بالضفة الغربية المحتلة، ومؤسسها، الذى يجهر بالرأى حول هذه القضية «لضمان أرضنا»(٣٣)، بعدما فرطت الحكومة فيها.

أما رئيس الحاخامات الأشكناز فى إسرائيل، «يسرائيل متبرلداو»، فكان أكثر وضوحاً وقطعاً فى هذا الشأن، حين صرح بأنه «إذا أعطى أمر الانسحاب الجزئى، فإنه لا يمكن تصور أن يسمح الجندى لنفسه بعدم إطاعة الأوامر، لأن هذا سيحدث انقساماً بين الشعب، ويقود إلى حرب أهلية»(٣٤)!

فى حين يطالب الحاخام «سمحا هاكوهن توك» رئيس حاخامات «أحبوب»، بتغيير النشيد الوطنى الإسرائيلى «هاتكفاه»، (الأمـل)، وهو نشيد الحركة الصهيونية الرسمى، واستبداله بمزمور (٢٦) من مزامير التوراة (نشيد المراقى - شيرها معلوت)، الذى يتضمن شكر الرب على الرجوع إلى صهيون(٣٥).

وخلال المفاوضات بين الحكومة الإسرائيلية و (السلطة الفلسطينية)، فى طابا حول وضع مدينة الخليل التى يقطنها أربعمائة مستوطن يهودى، فى مقابل مائة وعشرين ألف عربى، تنادى العشرات من الحاخامات، جاءوا من كافة أنحاء الدولة والأراضى المحتلة إلى اجتماع عقدوه فى مستوطنة «كريات أربع» المجاورة لمدينة الخليل، لتدارس النتائج المحتملة لهذه المفاوضات، وقد صرح «حاييم دروكمان»، الحاخام العنصرى الشهير، بعد الاجتماع، بأن أية حكومة يهودية : «لا تملك سلطة التنازل عن شبر واحد من (الأراضى اليهودية!)، ويتعين من ثم على الجنود رفض الانصياع لأى أمر بالانسحاب .. فكيف تجرؤ حكومة «رابين» على التنكر إلى هذا الحد للقيم اليهودية، بتقديم مدينة الخليل - موطن آبائنا إبراهيم وإسحق ويعقوب - هدية للعرب ؟! ..»(٣٦).

ولم تمر هذه الفتاوى دون أن تترك أثراً فى بنية المجتمع ككل، والجيش الإسرائيلى خاصة، الذى أحدثت فيه الاتجاهات اليمينية المتطرفة، والدينية الصهيونية، اختراقات عديدة سابقة، خاصة إبان فترة تولى حكومة الليكود السلطة (١٩٧٧ - ١٩٩٢)، ففى العديد من الجرائم التى ارتكبت بحق العرب، اتضح أن جنوداً من الجيش قد مدوا مرتكبيها بالمتفجرات والسلاح، وثبت بأكثر من دليل ارتباط حركة «كاخ» العنصرية، والتجمعات التى تستهدف تدمير المسجد الأقصى لتشييد «هيكل سليمان» محله، بالعديد من الجنود الذين حولوا منازل هؤلاء إلى ترسانات سلاح مخيفة، وفى أواخر عام ١٩٩٣، على سبيل المثال، ردد خمسون من ضباط الاحتياط، ومجموعة كبيرة من الأكاديميين نفس دعوات الحاخامات العنصريين، حيث دعوا الجنود الإسرائيليين إلى رفض تنفيذ أية أوامر يمكن أن تصدرها الحكومة بإخلاء المستوطنات، وفى بيان منشور وجهوه إلى «عناصر الشرطة والجنود وعناصر الأجهزة الأمنية الأخرى» أعادوا تكرار نداءات الحاخامات للجنود بعدم المشاركة «فى اقتلاع مستوطنات يهودية، لأن ذلك أمر غير مشروع»(٣٧).

---

(٣٣) JEWISH CHRONICLE, 4/8/1995.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) جعفر هادى حسن، المتدينون يزداد نفوذهم، جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/٨/١٤.

(٣٦) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/٩/٢٢.

(٣٧) مجلة المجلة، لندن، العدد (٧١٩) ١٩٩٣/١١/٢٧.

واندلعت المظاهرات الحاشدة التى حرضت عليها القوى الدينية - الأصولية والأحزاب اليمينية، هاتفة «رابين الخائن»، «رابين القاتل»، وهى تحمل صور «رابين» مرتدياً الزى النازى، ثم وهو يعتمر الكوفية العربية (رمزاً لبيع «أرض إسرائيل» المزعومة للفلسطينيين !

وقد دفعت هذه الفتاوى التحريضية ونتائجها المتصورة أركان الدولة الإسرائيلية - الذين شعروا بالانزعاج لصدورها، وأدركوا مخاطرها على وحدة دولتهم - إلى الرد بعنف وحدة، «فعزرا وايزمان»، رئيس الدولة، وصفها بأنها أمر «فى غاية الخطورة»، ثم ألغى اجتماعاً له كان مقرراً مع مجموعة من الحاخامات احتجاجاً على فتاويهم، فى حين صرح «إسحق رابين»، رئيس الوزراء السابق، بـ «أنه شئ لا يصدق أن يأخذ بعض الحاخامات، على عاتقهم، تحدى القانون ومخالفته .. إذ إن هذا يعنى الفوضى، ونحن سوف لن نسمح بذلك، أما «حاييم هرتزوج»، الرئيس الأسبق لدولة إسرائيل، فقد كتب فى The Jerusalem Reporter يتهم الحاخامات بقصر النظر إلى الأمور، إذ لم يأخذوا الظروف العامة فى الاعتبار، وقارن بينهم وبين حاخامات آخرين (سابقين) واجهتهم قضية مشابهة فى فلسطين، عندما اقترحت لجنة «بيل» فى الثلاثينيات تقسيم فلسطين إلى دولتين، ووافق الحاخامات آنذاك على ذلك، وأفتوا بأن التوراة لا تحرم تقسيم الأرض ولا تمنعه .. فهؤلاء كانوا أبعد نظراً وأكثر فهماً لدقائق الأمور، «حيث أخذوا فى الاعتبار التهديد الذى يحيق بيهود أوروبا».

والمقال الذى جاءت فيه هذه الكلمات لحاييم هرتزوج، عنوانه ذو دلالة : «قسموا الأرض ولا تقسموا الشعب»!(٣٨)

واستفزت هذه التطورات أركان المؤسسة العسكرية، الذين صرح ناطق باسمهم بأن «القيادة العسكرية لها وحدها حق إصدار الأوامر»، فى الوقت الذى أكد «رفائيل إيتان»، رئيس الأركان السابق «أن الجيش الذى يتلقى أوامره من الحاخامات، وليس من الحكومة من شأنه أن يهزم فى الحرب» !!(٣٩)

والأخطر من ذلك كله أن «ثورة الحاخامات» لم تترك آثارها على قمة المجتمع، فى صراع النخبة السياسية وحسب، وإنما امتدت عميقاً فى قاع المجتمع، ففى استطلاع لجريدة «يديعوت أحرونوت» عقب صدور هذه الفتاوى وتردد أصدائها، أقر نحو ربع عدد السكان(٢٣٪) بتأييدهم لفتوى الحاخامات، فيما عارضها الباقون (٧٧٪)، وهو مادفع الجريدة لكى تعنون صفحتها الأولى بمانشيت ذى دلالة : « أجواء حرب بين الأخوة فى العقد الاجتماعى فى إسرائيل : إنها المرة الأولى التى يُطلب فيها إلى الجنود عصيان الأوامر»(٤٠) .

وبعد اغتيال «إسحق رابين» تكشفت حقائق بالغة الخطورة تعكس المدى الذى وصل إليه نفوذ وهيمنة الحاخامات الأصوليين المعادين للتسوية داخل إسرائيل، وعُرف أنه فى مفتتح عام ١٩٩٥ التقى «مجلس حاخامات الضفة الغربية وغزة لمناقشة قضية إصدار فتوى ضد رئيس الوزراء المقتول، «إسحق رابين»، «بسبب

---

(٣٨) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/٩/٢٢.
(٣٩) المصدر نفسه، ١٩٩٥/٧/٢٠.
(٤٠) المصدر نفسه.

تعاونه مع أعداء اليهود، حسب زعمهم، وكانت الفتوى المطلوبة تحمل فى طياتها الموافقة على قتل رابين لخيانته للقضية، ولتفريطه فى «أرض إسرائيل المقدسة» !

وقد اتُهم الحاخام «ناحوم رابينوفيتش» من مستوطنة «معالى أدوميم»، فى الضفة الغربية المحتلة بالتذرع بفتوتين دينين لإعطاء الضوء الأخضر لقتل «رابين»، لأنه كان «يستعد للتفريط بأرض إسرائيل الكبرى»(٤١) !، وكان «رابوفيتش» قد دعا المستوطنين إلى زرع ألغام على الطرق التى يسلكها الجيش الإسرائيلى فى حالة دعوة الجيش إلى التدخل لإزالة المستوطنات اليهودية فى أراضى «يهودا والسامرة» (الضفة الغربية المحتلة)!(٤٢)

والمثير للانتباه، فى هذا السياق، أن كافة الأسلحة حتى - الغيبية منها - قد استخدمت لتحريض الجموع الإسرائيلية على الاتفاقات السياسية التى وقعها «رابين» مع بعض الأنظمة العربية، على الرغم من كل المكاسب الاستراتيجية المتحققة لإسرائيل من ورائها، وقد نشرت الصحف الإسرائيلية، قبل اغتيال «رابين» بفترة وجيزة «أن عدداً من المتطرفين الإسرائيليين من الأحزاب اليمينية قاموا بالصلاة من أجل موت «إسحق رابين» بسبب توقيعه مع «عرفات» على اتفاق طابا - واشنطن، وأوضحت صحيفة «هآرتس» أن نحو عشرين عنصراً من حركة «كاخ» العنصرية والمعادية للعرب، والتى حظر نشاطها فى العام الماضى، تجمعوا أمام منزل «رابين» وألقوا عليه اللعنة .. وبحسب بعض الفئات اليهودية، يعتبر علماء القبلانية (تفسير صوفى ورمزى للتوراة) أن هذه الصلاة المسماة «بولسا دينورا» (قضيب النار بالآرامية) والتى ألقاها «يوسف ديان» أحد حاخامات «كاخ»، لعنة فى غاية الخطورة، وأشارت الصحيفة إلى نص الصلاة الذى أعده حاخامات من القدس وهو كالتالى : «يُحكم على إسحق بن روزا بالموت بالنار والسيف .. لخطاياه .. فليفقد رابين كل ما يملكه فى هذا العالم .. وليمت بسبب الشر الذى ألحقه بالشعب المقدس، وبأرض إسرائيل التى يتخلى عنها لأعدائنا أبناء إسماعيل لعنهم الله .. فلتنزل عليه كل اللعنات حتى موته»(٤٣) .

كذلك صَعَّدَتْ الأحزاب اليمينية المتحالفة - فى سعيها إلي كسب الشارع السياسى، من ضغوطها على حكومة حزب العمل، فنظمت بالتعاون مع مجلس المستوطنين اليهود مظاهرة حاشدة، قارب طولها الكيلومتر، ألقى فيها «بنيامين نتنياهو»، زعيم تكتل الليكود «خطبة نارية»، هاجم اتفاق «غزة - أريحا» زاعماً أنه «يُعَرِّضُ الدولة الإسرائيلية للخطر»، أما المتظاهرون فكانوا يحملون أسلحة نارية آلية، ويرفعون لافتات تندد بحكومة حزب العمل وتتهمها بالكذب والخيانة، وتصف مساعى التسوية مع الفلسطينيين باعتبارها «حرب ضد الله»(٤٤)!!

---

(٤١) المصدر نفسه، ١٩٩٥/١١/٢٩.

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) مجلة الهدف، دمشق، العدد (١٢٢٦)، ١٩٩٥/١٠/١٥.

(٤٤) هاله العيسوى، رابين قد يكون أول طابور ضحايا الاغتيال، مجلة آخر ساعه، القاهرة، العدد (٣١٨٦)، ١٩٩٥/١١/١٥.

كذلك فقد دست عناصر من اليمين الدينى المتطرف دعوة لقتل «رابين» بعد الحكم بتكفيره لأنه «يتخلى عن أرض إسرائيل، التى هى منحة من الرب!!»، بجوار قبر الإرهابى «باروخ جولدشتاين» .. أعلنت حركة «سيف داوود»[45] مسئوليتها عنها، وكذلك عن عملية قتل عدد من العرب الفلسطينيين.

وقد وصف الحاخام «بينى آلون» حكومة «رابين» بأنها «متعفنة روحياً» فى معرض تعليقه على إمكانية التخلى عن الاحتلال المباشر لمساحات محدودة من الأراضى مقابل توقيع اتفاقيات التسوية السياسية مع الفلسطينيين، فى الوقت ذاته الذى شهد إصدار «جمعية الحاخامات» لبيان شهير، قبل توقيع اتفاقية أوسلو بنحو عام ونصف، جاء فيه «لقد قضى حاخامنا «تسفى يهودا كوك» أن أى قرار يتخذه يهودى أو غير يهودى لحرماننا من أى جزء من أرضنا سيكون قراراً باطلاً لا قيمة له، لأن إرادة الله هى التى ستسود». ومضى البيان يقول: «إن أى توقع بإحلال سلام مع الفلسطينيين (الذين وصفهم البيان بأنهم حيوانات على شكل بشر) ليس سوى وَهم يوسوس به الشيطان».

ويقول الصحفى «دانى روبنشتاين» إن دبلوماسية «مدريد» فى رأى أتباع الحاخام «كوك»، «ليست أكثر من حوار بين بشر وبين قطيع من الذئاب المتوحشة هدفه الوحيد هو تحويل كامل أرض إسرائيل إلى أرض للعرب بكاملها»[46].

بل إن حاخامات إسرائيل هؤلاء، لم يتورعوا، حتى بعد اغتيال «رابين» عن ابتزاز الحكومة بتهديدها بسلاح العمل «تحت الأرض»، بعد أن أصبح الشخص المعارض، على حد زعمهم، «لا يجد إلا طريقاً واحداً للتغيير وهو النشاط السرى!»[47] .. وهو أمر جديد - بكل الصور - على دولة تزعم تبنى الديموقراطية كأداة للتغيير، معترف بها، ومُقَرة، ومستقرة!

وقد صدمت هذه الأنباء عناصر متعددة قبيل اغتيال «إسحق رابين»، فطالب البعض منهم، مثل البروفيسور «زيمرمان»، الأستاذ بالجامعة العبرية بوضع حد لنشاطات هذه المجموعات التى اعتبرها «نسخة من الألمان النازيين»، وأدان إجازتهم «قتل الناس، كقتل جولد شتاين للعرب، بل وهم ويجيزون قتل اليهود أيضاً»[48]. وقد تلقى البروفيسور «زيمرمان» - بعد نشر هذا الكلام - تهديداً بالقتل أيضاً.

وبالرغم من الحملات العنيفة التى وجهت حرابها إلى جسم الجماعات الأصولية وأفكارها - والتى تصاعدت وتيرتها بعد أن أفاق المجتمع الإسرائيلى من الصدمة الأولى لتلقيه وقائع اغتيال «إسحق رابين»، على يد يهودى، أى واحد منهم، وعلى الرغم من مواقع الدفاع التى التزمتها أقسام من الحركات والتنظيمات الأصولية، «حتى تمر العاصفة»، فلم يكن ما حدث كافياً وحده لتقليم أظافر هذه الجماعات ونزع فتيل الخطر

---

(٤٥) المصدر نفسه.

(٤٦) مروان بشارة وجفرى آرنسون ومروان الخطيب، الأصوليون اليهود يعلنون الحرب: تحقيق من الخليل والقدس وباريس، مجلة الوسط، لندن، العدد (١١٠)، ١٩٩٤/٣/٧.

(٤٧) جعفر هادى حسن، اتساع شقة الخلاف بين اليهود الأرثوذكس والعلمانيين فى إسرائيل بعد اغتيال رابين، جريدة الحياة الدولية، لندن ١٩٩٥/١٢/٢٥.

(٤٨) المصدر نفسه.

من القنبلة التى يحملونها؛ إذ من الواضح أن قوىً كثيرة، ونافذة، فى المجتمع الإسرائيلى لجمت عمليات تصفية هذه الاتجاهات وحجمت محاولات تجريدها من عناصر قوتها .. وهذا هو مبعث الخطر الحقيقى . .فما تعلنه هذه الجماعات تبطنه اتجاهات سياسية متعددة فى إسرائيل، وما تعبر عنه علانيةً، يعبر عن أفكار قوىً أخرى شديدة التأثير فى المجتمع الصهيونى، وهى التى ميعت المحاولات الضعيفة، التى رأت فى ظرف اغتيال رئيس الوزراء المقتول، إسحق رابين، ظرفاً مواتياً لإعادة ضبط الأمور، ولتتخلص كلية من الخطر المزمن المزروع فى أعماق المجتمع.

لقد استطاعت القيادة السياسية لحزب العمل السيطرة على الوضع الخطير الذى أعقب اغتيال «رابين»، والعبور بالدولة الصهيونية إلى شاطئ الأمان، مؤقتاً، وكان الشعور القوى بالصدمة من اغتيال «رابين» على يد يهودى وليس عربياً، عنصراً مساعداً لنجاح هذه العملية؛ إذ إن هذا الأمر أصاب الإسرائيليين بنوع من الشلل الجم أى رد فعل تلقائى كان من الممكن أن يقود إلى فوضى لا يُعرف مداها . .غير أن هذه الواقعة – من منظور آخر – عكست الحجم الهائل للتناقضات والمخاطر والقلاقل التى تحيا فى أعماق هذا المخلوق الهجين، المصطنع .. إسرائيل، وأثبتت – بدليل لا يدحض – فشل كل برامج هضم التباينات الحادة والتناقضات العميقة المتصارعة فى المعدة الإسرائيلية..

ومن جديد، أعادت هذه الواقعة فتح ملف تكهنات سياسية سادت فى فترة ماضية، حول انقلاب عسكرى يمينى عنصرى أصولى داخل إسرائيل : الإمكانية، وشروط النجاح، وقد دعم هذه (المخاوف)، والتكهنات أن هذه الجماعات لم تستكن للهجمة التى تعرضت لها، بل بادرت بهجمة عنيفة مضادة، كشرت فيها عن أنيابها، وأعلنت عزمها عن الاستمرار فى نهجها السالف، الذى يضع الدولة الصهيونية على حافة صدامات دامية مدمرة، فالحاخام «بروكمان»، اليهودى، الأشكنازى، الأصولى، المتطرف، وأحد رموز معارضة التسوية السياسية مع العرب، أعلن على رؤوس الأشهاد فى اجتماع حاشد فى القدس «نحن لسنا مذنبين، ونحن نرى طبقاً للمثل الحقيقية»[٤٩] ، فيما ذكر آخر أن هناك حقيقة واحدة فحسب، وهى أن «أرض إسرائيل» هى أرضنا والتنازل عنها سيجلب الدمار، وأكد الحاخام «مردخاى جرينبرج»، رئيس المعهد الدينى (اليشيفا) الذى درس به «إيجال عامير» قاتل «إسحق رابين» : «إن أيديولوچيتنا سوف لا تتغير وسنستمر فى تدريس التوراة، وكذلك مركزية «أرض إسرائيل» وعلاقة «أرض إسرائيل» بعملية الخلاص (المسيحانى)[٥٠] ، كذلك فلقد هاجمت حركة نسائية مرتبطة بالمستوطنين، هى حركة «النساء الخضر»، بيريز وحكومته (بعد اغتيال رابين)، واتهمت عملية (السلام) «باعتبارها خدعة للشعب اليهودى»[٥١] ، أما «يعقوب توفك»، رئيس جماعة «متمص» اليمينية المعارضة للتسوية، فقد كان بالغ الصرامة والوضوح، فقال فيما يشبه استشراف المستقبل : «إن الحكومة تسير نحو الديكتاتورية، وهذا سيقود إلى حرب أهلية»[٥٢] .

---

(٤٩) المصدر نفسه.
(٥٠) المصدر نفسه.
(٥١) المصدر نفسه.
(٥٢) المصدر نفسه.

«إسحق شامير»، زعيم الليكود السابق، والإرهابي العتيد، فقد أعلن أن حادث الاغتيال هو تأكيد لانقسام الإسرائيليين، ولرفض أغلبيتهم لـ «سلام» حزب العمل، محذراً من انفجار «حرب أهلية إسرائيلية قد تسفر عن نتائج كارثية»(٥٣) .

وفي الطرف المقابل، دعا «أيهود باراك»، وزير الداخلية الإسرائيلي (سابقاً) إلى «سحق» مجموعات اليمين المتطرف، واستخدام «كل الوسائل»، «في إطار القانون للقضاء على أي تحريض على العنف في المهد»(٥٤)، فيما اتهمت «ليا» زوجة رابين، «بنيامين نتنياهو»، زعيم تكتل «الليكود» بالمسئولية عن مقتل زوجها وبوقوفه وراء عمليات تحريض اليمين المتطرف بعد اتهامه «رابين» بالخيانة .. وهكذا تتضح معالم الصورة بدقة، فالدولة المتحدة التي قدمها صناعها إلى العالم باعتبارها مأوى اليهود المنصهرين ورمز وحدتهم المزعومة، تتبدى - في واقعها الحقيقي - «شظايا» متناقضة، وقطعًا من «الفسيفساء» تفتقد عناصر اللحمة،وأسباب التماسك.

ولأنها كيان مصطنع، فهي - مثلها مثل كل شئ مصطنع في هذا الوجود - عرضة للزوال، حتى وهي في أوج انتصاراتها وقمة قوتها، فبحسب تعداد نهاية عام ١٩٩٣، يتشكل «الموزاييك» الإسرائيلي من ٤,٣٣٥,٢٠٠ شخصًا، منهم ١٧٪ من أصل آسيوي، ١٩,٣٪ من أصل إفريقي، ٣٩,٩٪ من أصل أمريكي - أوروبي، ٢٣,٨٪ من مواليد إسرائيل (الصابرا)، ٢٨٪ من مواليد الدول العربية (ضمنهم ٩,٨٪ من أصل عربي آسيوي، ١٧,٧٪ من أصل عربي إفريقي)، ١٦,٣٪ من اليهود السوفييت(٥٥) ، وهو «موزاييك» غريب، يحمل في أعماقه أسباب انهياره.

لقد أعادت هذه المشاهد الذكريات المتوترة لوقائع أوائل التسعينات، حينما بلغ الصدام بين القطاعات غير الدينية والتجمعات الدينية مدىً لم يكن قد بلغه من قبل، فقد طالبت عائلات الموتى أن يظهر التاريخ غير اليهودي على قبور موتاهم بجانب تاريخ التقويم اليهودي، وتم افتتاح معابد «إصلاحية» رغم معارضة التيارات «الأرثوذكسية» القوية، وارتفعت أصوات داخل حزب العمل و (اليسار) تنادي بالفصل الحاسم بين الدين والدولة حتى تتيسر مراسيم الزواج والطلاق والدفن المدني .. ومن جهتها انفجر غضب «الشراذم» الأرثوذكسية، فخرجوا هائجين يحطمون لوحات «الفاترينات» التي تحمل الأزياء العصرية و «المتبرجة !» ورشقوا بالحجارة المارة في أيام السبت، وهاجم الشباب غير المتدين المحتج ما وصفوه بـ «الحصار الذي تفرضه القوى الغازية لمتطرفي القدس على غير المتدينين»، وتفجرت أعمال العنف في الشوارع، وشُنت «إغارات» سريعة على المناطق التي يسكنها المتشددون، حيث غُطيت الجدران بالشعارات المناهضة للدين، ومورست النشاطات الترفيهية (سينمات - مسارح - مطاعم - ملاهٍ) في ليالي الجمع، كما سُيرت حاملات النقل في أيام السبت .. ثم بلغت هذه الصدامات ذروتها بوضع الجماعات غير المتدينة رأس خنزير (!!!)، في ربيع عام

---

(٥٣) مجلة الهدف، دمشق، العدد (١٢٢٨)، ١٩٩٦/١١/١٢.

(٥٤) المصدر نفسه.

(٥٥) جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٦/٢/٧.

١٩٩١ – على عتبة أحد المعابد، فى إشارة ذات دلالة على احتقارهم للتراث الدينى، واستفزازهم لرموزه ومقدساته ! وهو أمر اعتبرته الجماعات «الأرثوذكسية»، مستدعيًا لـ «الذكريات السلوكية المناهضة للسامية !!»[٥٦] . فى حين رد الإسرائيليون العلمانيون التهمة بقولهم إنهم أدركوا دوافع المعادين للسامية حينما رأوا هذه الشعائر الأرثوذكسية التى يتمسك بها «اليهود السود» أو «السود» وهو التعبير الذى يطلقونه على اليهود المتشددين، نسبةً إلى ملابسهم السوداء المميزة التى يترتدونها دوماً.

لقد اعتبر العلمانيون الاتجاهات المتشددة دينياً «حيواناً متطفلاً يستنزف عصارة المجتمع المدنى»[٥٧] ، وصعدوا فى مواجهتها رفضهم للالتزام بطقوسها، وفى ذروة هذا الصدام أوضح استطلاع للرأى وجود انقسام فى إسرائيل بشأن التزام المصالح العامة والمواطنين بالقيود الدينية التى تمنع القيام بأى نشاط يوم السبت، وأعلن نحو ٤٩ فى المائة من عينة الاستطلاع تأييدهم لتحرير الأنشطة العامة بما فيها الزواج والطلاق من القيود التى تفرض فى مثل هذه الحالات، فى حين أيد ٢٣ فى المائة السماح بالنشاط التجارى والنقل العام .. وعلى الجانب الآخر أيد ١٠ فى المائة إبقاء الوضع على ما هو عليه فى حين طالب ٩ فى المائة فقط بتشديد القوانين الخاصة بيوم السبت[٥٨] .

"يهود الفلاشا" : عناقيد الغضب !!

وقد أدى هذا الوضع الشاذ، إلى تفاقم الصراعات العرقية وتعدد محاورها، بين اليهود القادمين من الغرب «الأشكيناز»، ويهود الشرق «السفارديم»، وبين اليهود والعرب، وبين الطوائف اليهودية ذاتها، وفى هذا الإطار الذى يهدد بتمزيق نسيج الدولة، الواهى أصلاً، انفجرت (غضبة) «الفلاشا» الأثيوبيين، فى أوائل شهر فبراير ١٩٩٦، احتجاجاً على قرار وزارة الصحة الإسرائيلية بالتخلص من الدماء التى يتبرعون بها تحججاً بارتفاع نسبة الإصابة بفيروس الإيدز بينهم (٥٢٠ حالة بين ٦٠ ألف أثيوبى، مقابل ٨٠٠ حالة من بين أربعة ملايين وثلث تقريباً هم إجمالى عدد السكان)، وقد عبّرت ثورة (اليهود) الأثيوبيين عن عمق الانقسام داخل بنية المجتمع الإسرائيلى، وعكست تفرد يهود أوروبا والغرب (الأشكيناز) بمواقع الهيمنة العليا فى الدولة التى دعمها، فى السنوات الأخيرة، الهجرات المتزايدة ليهود الاتحاد السوفيتى السابق، بعد انهياره، فهذه الوضعية أدت إلى إزاحة (يهود) أثيوبيا إلى مواقع أكثر ضعة ودونية، لا «ينافسهم» فيها إلا وضعية العربى وحدها ! فالأثيوبيون «هبطوا من طائرات موسى (سميت عملية نقلهم بين عامى ١٩٨٤، ١٩٨٥ من أثيوبيا إلى إسرائيل بعملية موسى) إلى القاع مباشرةً، وفجرت أحداثهم ضوءاً كاشفاً أضاء بقوة حقيقية أن «التجمع اليهودى غير قادر على التصالح مع نفسه»، وهو كمجتمع عنصرى يوجه أحقاده ليس فقط للعرب المضطهدين دوماً، وإنما أيضاً لقطاع من قطاعاته بسبب لون بشرته السوداء، ويعترف الكاتب الإسرائيلى «دان كيسلو» : «لقد ترفعنا عن يهود أثيوبيا، وتعاملنا معهم كالأسياد[٥٩] »، فى حين أشارت «ريوما»، زوجة الرئيس

---

(٥٦) يوسى ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص ص : ١٥٦ – ١٥٧.

(٥٧) المصدر نفسه، ص : ٥٨.

(٥٨) مجلة المصور، العدد (٣٥٠٣)، ١٩٩١/١١/٢٩.

(٥٩) طارق حسن، إسرائيل دولة الأشكيناز فقط، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٦/٢/٧.

الإسرائيلى «عزرا وايزمان» إلى أنه «ربما كانت هذه المشكلة طبية، ولكن الحل جاء عنصرياً»(٦٠) .

لكن المسألة لم تكن تعكس مجرد حل عنصرى لمسألة طبية، إنما هو فى الواقع أعمق من ذلك بكثير، فاليهود الفلاشا، كانوا منذ البدء مشكوك فى أصولهم اليهودية، وخضعوا - تحت إصرار الحاخامية الإسرائيلية - إلى عملية مهينة لـ «التحقق من يهوديتهم»، ولا تضم هيئة التدريس الجامعية أى أستاذ منهم، ناهيك عن مراكز الجيش المحترمة، وهم يعيشون فى معازل تحت اسم «مدن التطوير» سيئة السمعة، وتنتشر البطالة فى صفوفهم (٢٠٪ مقابل أقل من ٨٪ لدى الفئات الأخرى) وتتزايد معدلات الانتحار بصورة واضحة بينهم (بلغ عدد المنتحرين من بين شباب الفلاشا ٢٠ شابًا (28/1/1996 Le Figaro) وانتحر ٦٠ مجنداً منهم فيما بين عامى ١٩٩٤/٨٤، وهو أعلى معدل انتحار بين مختلف المجموعات الإسرائيلية بالجيش (الأهرام، ١٩٩٦/٢/٧)، وترفض السلطات الإسرائيلية تعيين رجال دين من بين عناصرهم ولا يشار إليهم فى المجتمع إلا بكلمة «شفارتس»، (اليديشية)، أو «كوشى»، (العبرية)، اللتان تعنيان شيئاً واحداً : الأسود ! وهم - حتى الآن - لا ينظر إليهم باعتبارهم من مواطنى الدولة، وإنما «سكان» أو «طائفة» أو «جماعة» على هامش البنية العنصرية لها ! ومن المستحسن - لدى الكثيرين - ألا يكونوا عنصراً عضوياً بها، إلى الحد الذى يدفع يهود أرثوذكس، مسلحين بالهراوات، للتعاضد من أجل منع إقامة ١٥ عائلة من الفلاشا فى مجمع سكنى يقطنونه(٦١) .

ويلقى هذا السلوك العنصرى تأييد قطاعات واسعة من الإسرائيليين، فبحسب استطلاعات معهد «مدجام» الإسرائيلى، أعلن ٤٠٪ عن تأييدهم لسياسة بنك الدم التى رفضت استخدام دم الفلاشا، واعتبروها «سياسة صحيحة»، وأيد ٥٤٪ منهم عمليات القمع العنيفة التى مارستها الشرطة الإسرائيلية فى مواجهتهم بدعوى «أنها تجمعات سكانية خطيرة تحمل فيروسات أمراض فتاكة كالإيدز !»(٦٢) ، وهو ما أثار شعوراً عميقاً بالمهانة لدى أبناء طائفة «الفلاشا»، عبروا عنه بوضوح قاطع : «بشرتنا سوداء، ودمنا أحمر مثل دمكم»(٦٣) ، «لأول مرة، فى حياتى، عرفت بعد وصولى لإسرائيل أننى أسود اللون !»(٦٤) ، «يقولون إن رائحتنا كريهة، نشعر جميعاً بالإهانة العميقة، ويملؤنا الألم والغضب الشديد»(٦٥) ، وهذا الشعور كان هو الدافع خلف الانفجارات الاجتماعية العنيفة لطائفة الفلاشا، وهى الانفجارات التى تخللها تبادل القذف بالحجارة من الأثيوبيين والقصف بقنابل الغاز والرصاص المطاطى من جانب الشرطة، ووصفت باعتبارها وقائع «لم يحدث مثلها بين يهود ويهود، إنما بين أعداء» .. «ففى غضبهم لم يعد الأثيوبيون يهوداً، كما ضربتهم الشرطة الإسرائيلية بقسوة لا تفعلها مع يهود بالمطلق !»(٦٦) .

---

(٦٠) المصدر نفسه.
(٦١) LE MONDE, Paris, 5/1/1996.
(٦٢) طارق حسن، مصدر سبق ذكره.
(٦٣) المصدر نفسه.
(٦٤) LE MONDE، مصدر سبق ذكره.
(٦٥) LE FIGARO, Paris, 29/1/1996.
(٦٦) طارق حسن، مصدر سبق ذكره.

ومرة أخرى تعود النغمة نفسها التى تكررت مراراً من قبل، وباعتبارها الحل الأمثل للصراعات العرقية والمذهبية، داخل إسرائيل (الديموقراطية) .. الحرب الأهلية !! : «نحن على استعداد للتضحية بحياتنا لكى نضع نهاية للتمييز الممارس بحقنا»، مثلما يقول «أديسو ماسيلا»، رئيس «اتحاد جمعيات الأثيوبيين»، أو هو التهديد بـ «انتفاضة على غرار الانتفاضة الفلسطينية»، إذا لم تتوصل الحكومة الإسرائيلية إلى حل مشاكلهم «حلاً جذرياً»، يبدد أسباب معاناتهم، ويخلصهم من معضلة وجودهم المرفوض، وهو أمر مشكوك فى تحققه، صعب فى تنفيذه، لأنه يمس جوهر النفسية الصهيونية العنصرية، ويقتضى نسف أسس الدولة الإسرائيلية الاستعمارية الإحلالية العدوانية العنصرية ذاتها.



حتي التذكير بـ « أوشفيتز » لا ينبغي أن يشكل ضغطاً علينا يدعونا إلى مساندة القضية الباطلة. إنى أتكلم بوصفي ماركسياً من أصل يهودي رأي موت بعض أسرته فى « أوشفيتز » وله أقارب فى إسرائيل.

إن الإسرائيليين يلعبون دور البروسيين في الشرق الأوسط، وهم قبلوا أن يلعبوا دور رأس الحرية للإمبرياليات الأوروبية الشائخة المترنحة. لقد أسلموا أنفسهم لحملة لواء الدعاية منهم يجرونهم بالالتجاء إلى روايات البطولة التى وردت فى التوراة، وكل الرموز القومية والدينية القديمة للتاريخ اليهودى، إلى كل مظاهر النزعة الحربية والعجرفة والتعصب.

من المسئول عن المصير المؤلم ليهود أوربا و « أوشفيتز » و«ميدينيك »، ومذابح الأحياء التى حصر فيها اليهود، إن لم تكن الحضارة البرجوازية الغربية التى أنجبت النازية ؟ ومع ذلك فإن العرب هم الذين طولبوا بالتكفير عن هذه الجرائم، وأنهم مازالوا يكفرون !

« إسحق دوتيشر » أدلى به لمجلة « اليسار الجديد » فى آخر حدي،ث صيف ١٩٦٧.

□ □ □ □

إن الجرائم التى تقترف ضد اليهود لا يطويها النسيان. أما الذين يقترفون الجرائم ضد العرب فسرعان ما يُغفرلهم!

« ديميرون »

ثقافة من أجل القتل !

١- عبادة القوة في المفهوم التوراتي والإسرائيلي المعاصر

قدمت إسرائيل جيشها للعالم، باعتباره جيش اليد الطاهرة صاحب الرسالة الإنسانية، المبرأ من النقائص والدنايا، وهى كذبة كبيرة من أكاذيب الصهيونية المستمرة على امتداد تاريخها الطويل؛ إذ يصعب - بالفعل- رصد وحصر الجرائم الصغرى والكبرى، التى نفذها الجيش الإسرائيلى بـ «دم بارد»، طيلة فترات تكوينه الأولى ، قبل إعلان الدولة، وحتى الآن.

فعملية الاغتصاب للأرض العربية الفلسطينية، واكبها إدراك صهيونى عميق بأن نجاح مخطط تهويد فلسطين، فى مواجهة الرفض العنيد، والمستمر، لأصحاب الوطن الأصليين، لابد وأن يعتمد على قوة الغرض، وإكراه العنف، واتفق فى ذلك (يسار) الحركة الصهيونية، مع (يمينها) فـ «الوضع فى فلسطين - كما رأى «بن جوريون» - لا يمكن أن يسوى إلا بالقوة العسكرية، ولذا فإسرائيل «لايمكن أن تعيش إلا بالقوة والسلاح»[(١)]، فى حين كان شعار «مناحم بيجن» الشهير : «أنا أحارب .. إذاً فأنا موجود» و «كن أخى وإلا قتلتك»[(٢)].

وهما فى هذا السياق يرددان - بنغمات متباينة - مقولة زئيف جابوتسكى «إن التوراة والسيف أنزلا علينا من السماء»[(٣)] .

لقد أدت سيادة فكرة تمجيد القوة الباطشة، والعنف، إضافة إلى عملية العسكرة المستمرة للمجتمع الإسرائيلى، والتى تصاعدت معدلاتها بوتيرة هائلة على مدار كل سنوات الدولة، السابقة، وكذلك الحقائق التى أفرزتها «الأحذية العسكرية» الصهيونية الثقيلة على أرض الواقع العربى، والنجاحات الهائلة التى تحققت، بالفعل، كنتيجة أساسية من نتائج تفسخ وانهيار الإرادة الرسمية العربية، إلى انتصارات «استراتيجية» لآلة الحرب العسكرية الإسرائيلية، الأمر الذى دعم بدوره من سيادة أفكار تمجيد العنف والقوة الباطشة، حتى أصبحت هذه الأفكار لصيقة بالشخصية الإسرائيلية، وجزءاً عضويًا من مكوناتها، ونفذت عميقاً إلى أغوارها السحيقة : فالتقدير المتزايد لبطش القوة المتفوقة ودورها فى الحفاظ على كيان الدولة وحمايته، وتأليه المحارب الصهيونى، وتسليط الضوء على (بطولاته) المدّعاه، واحتقار القيم الإنسانية الرفيعة، والأعراف البشرية المتفق عليها فى الصراعات المسلحة (مثلما حدث مع الأسرى المصريين العزل، وأبناء الشعب الفلسطينى من قبل، باتت تصوغ الوجدان الصهيونى، المفرد والجمعى، وتؤثر فى توجهاته

---

(١) ديفيد بن جوريون، إسرائيل : سنوات التحدى، نيويورك، هولت راينهارت ونستون، ١٩٦٣، ص : ٦٥.

(٢) مذكورة فى إبراهيم العابد، العنف والسلام : دراسة فى الاستراتيجية الصهيونية، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث، سلسلة دراسات فلسطينية، رقم ١٠، مارس ١٩٦٧، ص : ١٩.

(٣) مقاتل ونبى : قصة فلاديمير جابوتنسكى - السنوات الأخيرة، نيويورك :أ.س.برس وشركاه، ١٩٦١، ص : ٢٨٢، مذكورة فى المصدر السابق.

الأساسية، وتنعكس فى مسلكياته اليومية، إلى الحد الذى يصفه الجنرال (السابق)، «إسرائيل تال»، بقوله : «إن مصير أى شعب من الشعوب يشكل سلوكه، ومصيرنا يجعل منا أمة من المحاربين، لأننا قد لا نستطيع أن نتراجع، وجنودنا يوقنون أنهم لايملكون أن يخسروا، وإلا حُكم على نسائهم وأطفالهم بالإعدام»(٤) .

ولم يأت هذا العنف الأهوج، المنظم، المتصاعد، والذى شكل ركيزة ما أطلق عليه - عن حق - «إرهاب الدولة الإسرائيلية» من فراغ .. لقد استند إلى محددات موروثة، وارتكز على مقولات مستقاة، من تاريخ موغل فى القدم، مبنى على مجموعة من الأساطير البدائية، والحكايات الساذجة، الملفقة، التى صاغها - بعد قرون من التاريخ المفترض وقوعها فيه - (الحكماء) ورواة القصص الدينى ودهاقنة الحاخامات، مستفيدين من مرويات وأدبيات الدول، والقبائل، والحضارات التى احتكوا بها، والتى كانت محيطة بمجال حركتهم من كل جانب : الفرعونية، والبابلية، والأشورية، والكنعانية، والفينيقية ..إلخ، وسعوا بواسطتها إلى الحفاظ على لحمة القبائل اليهودية، وتماسك مقوماتها الشخصية، فى مواجهة المحن الشديدة التى مرت بها، والصدمات العنيفة التى هددت صمودها، فعوضوا استكانتها وقيود المذلة التى رسفت فيها - فى جلِّ الأماكن التى انتشروا بها- عن طريق أساطير للبطولة من نسج الأوهام، وبواسطة إنجازات تاريخ مصطنع مارسوا خلاله كل ما مورس ضدهم من قهر، على الآخرين×،بعمليات الانتقام والتعويض، عن طريق مسلسل من القتل والذبح والحرق للخصوم والمنافسين والأعداء، بصورة قل نظيرها فى التراث المكتوب أو المحكى لأية مجموعة بشرية أخرى، حيث يتحول الإله فى كتبهم إلى صورة مقززة للبطش الأعلى من الانتقام، فـ«الرب رجل حرب»(٥) ، منتقم، شرير، والأنبياء سفاحون، والقادة التاريخيون ليسوا سوى مصاصى دماء وقطاع طرق !!

وقد جسَّد «سفر يشوع»، الذى يرجع إليه باعتباره مصوراً أساسياً لتعاليم الأصولية اليهودية والصهيونية، هذه الرؤى الدموية، وحدد موقف «إسرائيل» من «الأغيار»، حيث أباح إبادتهم «بحد السيف» وحرقهم وتخريب أراضيهم وممتلكاتهم :

- فحينما تم فتح أريحا، فإنهم «استولوا على المدينة، وحرموا كل ما فى المدينة من الرجل وحتى المرأة، ومن الشاب وحتى الشيخ، حتى البقر والغنم والحمير فقتلوهم بحد السيف !»(٦) ... «وأحرقوا المدينة وكل ما فيها بالنار، إلا الفضة والذهب وآنية النحاس (طبعاً!!)، فإنهم جعلوها فى بيت الرب !»(٧) .. «أما أريحا فقتلوا جميع ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ وحتى البقر !»(٨) .
- وتتكرر الممارسات الهمجية نفسها عند الاستيلاء على مدينة اسمها «العى»، فيذكر «سفر يشوع» : «ولما انتهى بنو إسرائيل من قتل جميع سكان العى فى الحقول وفى البرية حيث طاردوهم، وسقطوا جميعاً بحد

---

(٤) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، العسكرية الصهيونية، (ج٢)، القاهرة، مؤسسة الأهرام، ١٩٧٤، ص : ٨٧.

× «فقال الرب : إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى بمصر، وسمعت صراخه بسبب مُسَخِّريه، وعلمت بآلامه، فنزلت لأنقذه من أيدى المصريين وأصعده من هذه الأرض إلى أرض طيبة واسعة، إلى أرض تدر لبناً وعسلاً»، (سفر الخروج-٣:٥).

(٥) سفر الخروج - ١٥.

(٦) سفر يشوع - ٦:٢١.

(٧) سفر يشوع - ٦:٢٤.

(٨) سفر يشوع - ٨:٢١/٢٨.

السيف عن آخرهم، رجع كل إلى العى وضربوها بحد السيف (!)، وكان جملة من سقط فى ذلك اليوم من رجل وامرأة إثنى عشر ألفاً، جميع أهل العى !!»[٩] .. «وأحرق يشوع العى وجعلها ركاماً للأبد، خرباً إلى هذا اليوم !!»[١٠] .

... أما «لاكيش و ليفة»، فلم يكن ما نالها على أيدى «إسرائيل» بأقل مما نال «أريحا» و «العى»، إذ «أسلم الرب لاكيش إلى أيدى إسرائيل، فاستولى عليها فى اليوم الثانى وضربها بحد السيف، وقتل كل نفس فيها كما فعل بلبنة، حينئذ صعد «هوارم»، ملك «جارز»، لنجدة لاكيش، فضربه يشوع، هو وقومه، حتى لم يبق منهم باقيًا »[١١].

وكذلك أيضاً كان هذا الأسلوب التوراتى هو ذاته المتبع والمجرب فى «ميروم»، حيث «أسلمهم الرب إلى أيدى إسرائيل»، فضربوهم وطاردوهم إلى «صيدون» الكبيرة، و «مسرفوت حييم» و «وادى المصفاة» شرقاً، وضربوهم حتى لم يبق منهم باقٍ، وصنع بهم يشوع كما قال الرب : عرقب خيلهم، وأحرق مركباتهم بالنار»[١٢] .

.. «لأن ذلك كان من قبل الرب، فقسّى قلوبهم حتى خرجوا على بنى إسرائيل للقتال، لكى يُحرَّموا ولا يُرحموا، بل يُستأصلوا كما أمر الرب موسى»[١٣] . وهو ذاته ما حدث مع «المديانيين» : .. «وكما أمر الرب قتلوا كل ذكر» وسبى بنو إسرائيل نساء مديان»، «وأحرقوا جميع مدنهم»، وحينما عدوا إلى موسى «سخط موسى .. وقال لهم هل أبقيتم كل أنثة حية !! .. فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها »[١٤] .

وبغض النظر عن المبالغات غير المنطقية، وعن التضارب وركاكة التصوير، وحتى لا معقولية الواقعة وكذبها التاريخى، بغض النظر عن كل ذلك، فالإلحاح المستمر على أن مهمة «رب الجنود» الأساسية هى تقتيل الشعوب المنافسة، وذبح الجيران، وسفك دم «الأغيار»، وتقديم هذه الأكاذيب والاختلافات باعتبارها «أوامر إلهية» وتوجهات ذات طبيعة مقدسة، ساعد على خلق انتشار صهيونى بفكرة القوة المجردة واحتقار وكراهية غير اليهود، وتقديس لإله القدرة المسلحة، وتمجيدها وتزيينها باعتبارها غاية مطلوبة، وممارستها تمثل نوعًا من التقرب للإله، ومهد الأرض تماماً لولادة الفاشية الأصولية كالكاهانية وتوابعها، وجعل من المنطقى، بل ومن الطبيعى، أن يكون لـ «جولد شتاين»، سفاح مجزرة «الخليل»، رؤية، ورأى يصور من خلالها أفكاره ومفاهيمه عن «الشعب اليهودى الذى هو مثل نعجة وسط سبعين ذئباً ومن المستحيل للشعب اليهودى أن يعيش مع العرب، لقد سئمنا منهم (من العرب) .. إنهم أشبه بمرض حق مثل الطاعون»، وما داموا مثل الطاعون فهناك «مثلما قال جولد شتاين، ترجيعاً لنص مقدس من «سفر الجامعة»»، «زمن للقتل، وهناك

---

(٩) سفر يشوع- ٢٤:٨.
(١٠) سفر يشوع - ٢٨:٨
(١١) سفر يشوع - ٢١:٨.
(١٢) سفر يشوع - ٧:١١.
(١٣) سفر يشوع - ٢٠:١١.
(١٤) سفر الأعداد - ١٨/٩:٣١.
(١٥) أنظر فصل من كتاب : أمنون كابليوك، الخليل : مجزرة معلنة، ترجمة : جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٤/١١/٦، ويتضمن نص حديث لباروخ جولد شتاين، قبل تنفيذه لمذبحة الحرم الإبراهيمى بتسعة أيام فقط، أجراه الصحفى الأمريكى «توماس روبرتس».

زمن للمعالجة»[١٥] ، وقد حل زمن القتل وانقضى وقت العلاج !!

وفى هذا السياق، يلفت النظر بشدة، الكراهية العميقة الغور، المضمنة داخل النص المقدس، التوراتى، الذى يؤمن به «شعب إسرائيل» ويستقى تعاليمه من بين ثنايا سطوره، وهى كراهية مفهومة الأسباب وإن كانت غير مقبولة التبرير، يفسرها - على الأرجح - رغبة دفينة للانتقام من فترات عبودية قديمة لا زالت محفورة فى الأعماق اليهودية/الصهيونية، لم يقلل من حدتها انطواء الأحقاب ولا تعاقب القرون، بل زادها أواراً .. ففى «سفر الخروج» يوصى النص المقدس «شعب إسرائيل» لدى مغادريه مصر، وقد عاش فيها نحو أربعمائة وثلاثين عاماً بسلب ثروات مصر، ونهب خيراتها (نهباً مقدساً بالطبع !)، وبعد أن «أوتى الشعب حظوة فى عيون المصريين» .. «إذا انصرفتم، فلا تنصرفون فارغين، بل تطلب المرأة من جارتها ومن تزيلة بيتها أوانى من فضة وذهب وثياباً تجعلونها على بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين»[١٦] .. «وفعل بنو إسرائيل كما أمر موسى، فطلبوا من المصريين أوانى من فضة وأوانى من ذهب وثياباً، وأنال الرب الشعب حظوة فى عيون المصريين، فأعاروهم إياها - وهكذا سلبوا المصريين (!!)»[١٧] .

ضربات مصر:

وبالرغم من تمتع بنى إسرائيل بحياة رغدة فى مصر، أو بتعبير التوراة نفسها، بالرغم من أن الرب آتى الإسرائيليين «حظوة فى عيون المصريين، وموسى أيضاً كان عظيماً جداً فى مصر فى عيون حاشية فرعون وفى عيون الشعب»[١٨] ، فلم يستنكف إله إسرائيل - بعد أن تتم عملية النهب التاريخى المنظم لثروات وذهب وفضة المصريين - عن أن ينهال بالضربات (الإلهية) على ذلك الشعب الودود، محددة «طبيعة العلاقة التاريخية، الدائمة ومضمونها، لكى تعرفوا أن الرب يميز بين مصر وإسرائيل»[١٩] إلى الأبد.

أنا الرب، يقول إله إسرائيل، : «ها أنا ضاربٌ بالعصا التى بيدى على المياه التى فى النيل، فتنقلب دماً (!)، السمك الذى فى النهر يموت (!)، فينتن النيل ولا يستطيع المصريون أن يشربوا ماء النيل (!)»[٢٠] .

وقال الرب لموسى : «قل لهارون : خذ عصاك، ومد يدك إلى مياه المصريين وأنهارهم وقنواتهم وسائر خزانات مياههم، فتصير دماً، ويكون دم فى كل أرض مصر، حتى فى الأشجار والحجارة»[٢١] ..«ففعل كذلك موسى وهارون كما أمر الرب .. فانقلب كل الماء الذى فى النيل دماً، والسمك الذى فى النيل مات، وأنتن النيل فلم يستطع المصريون أن يشربوا من ماء النيل، وكان الدم فى كل أرض مصر».[٢٢] ، وبعد ذلك توالت الضربات : الثانية : الضفادع، الثالثة : البعوض، الرابعة : الذباب، الخامسة : موت المواشى، السادسة :

---

(١٦) سفر الخروج - ٣:٢١.
(١٧) سفر الخروج - ١٢:٢٥.
(١٨) سفر الخروج - ١١:٣.
(١٩) سفر الخروج - ١١:٧.
(٢٠) سفر الخروج - ١١:٧.
(٢١) سفر الخروج - ٧:١٩.
(٢٢) سفر الخروج - ٧:٢٠.
(٢٣) دراسة تفاصيل الضربات العشر، انظر سفر الخروج -١٢/١١/١٠/٩/٨/٧.

الفردج، السابعة : البَرَدَ، الثامنة : الجراد، التاسعة : الظلام، العاشرة : موت أبكار المصريين»[٢٣] .

ولم يعد شئ آخر يمكن أن يحل لوادى النيل المقدس، من بلايا ورزايا وكوارث لا تعد ولا تحصى بعد أن أكمل موسى الصورة حين هتف : «كذا الرب قال : إنى نحو نصف الليل أخرج فى وسط مصر، فيموت كل بكر فى أرض مصر، من بكر زعون الجالس على العرش إلى بكر الخادمة التى وراء الرحى وجميع أبكار البهائم، ويكون صراخ عظيم فى أرض مصر لم يكن مثله، ولن يكون» .. «وكان صراخ عظيم فى أرض مصر، إذ لم يكن بيت إلا وفيه ميت»[٢٤] .

فحينما تكون هذه هى الخلفية العقيدية لجيش يحارب فلا يمكن أن يستغرب المرء الدم البارد الذى مورست، عمليات قتل العرب فى فلسطين، قبل التقسيم وبعده، ولا مبرر للدهشة أمام همجية عملية قتل الأسرى المصريين العُزل أو مجزرة ك «كفر قاسم» أو «قبية» أو «دير ياسين»، ولا يكون شاذاً سلوك الجيش الإسرائيلى فى لبنان والأراضى المحتلة، وتبدد الدعوات للترانسفير والتطهير العرقى، وتكسير العظام، .. إلخ، دعوات منسجمة مع هذا المفهوم، ومتسقة مع ذلك التراث، ويصبح من السذاجة بمكان التعويل على حسن النية، و«كلمة الشرف» فى مواجهة هذا الجيش المدجج من أخمص قدميه وحتى أعلى هامته بالسلاح، والذى يملك وحده ترسانة نووية تضعه فى مرتبة الدولة الذرية الثالثة، فى العالم، بعد كلٍّ من الولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا، ومحتلاً مركزاً متقدماً يسبق كل من انجلترا وفرنسا والصين بمراحل، كما يسبق كافة الدول العربية مجتمعة بعشرات طويلة من السنين.

ولسنا نحن وحدنا الذى يقول هذا، بل قاله قبلنا شخص إسرائيلى يقظ الضمير هو البروفيسور «إسرائيل شاحاك»، فى كتابه : «التاريخ اليهودى أ الديانة اليهودية : وطأة ثلاثة آلاف سنة» : «إن إسرائيل ليست ديمقراطية بسبب تطبيق الأيديولوچية اليهودية الموجهة ضد غير اليهود جميعاً، وضد اليهود الذين يعارضون هذه الأيديولوچية؛ وسيتواصل هذا الخطر طالما تعزز عاملان معتمدان حالياً : مواصلة تعزيز الطابع اليهودى الإسرائيلى، ومواصلة تعزيز قوتها وخاصة قدراتها النووية»[٢٥] ، إنها ديمقراطية انتقامية فى أحسن الأحوال تتحول تحولاً فظاً فى مواجهة الخصوم والأعداء إلى النقيض تماماً وهو ما أكده أيضاً كاتب يهودى من أصل عراقى هو «إسحاق بارموشيه» باعترافه : «فى موضوع المناطق المحتلة، نحن أقل ديموقراطية من أشر الديكتاتوريات عتواً، إن ديموقراطيتنا هى لليهود فقط»[٢٦] .

والأغرب مما تقدم، أن هذا الجيش، «صاحب الرسالة»، الذى نفخت الدعاية الصهيونية وبالغت فى صورته وأيديولوچيته وأخلاقياته، لديه تعليمات وأوامر واضحة بألا يطلق النار أبداً، وأياً كانت الظروف، على المستوطنين الصهاينة، العنصريين، حتى وهم يفتحون نيرانهم الهمجية على الأبرياء العزل من المصلين والنساء والأطفال، فحسب شهادة الكولونيل «مئير طيار»، قائد «وحدة حرس الحدود» بالخليل : «الأوامر تقضى بعدم

---

(٢٤) المصدر نفسه.

(٢٥) مذكورة فى عرض للكتاب بقلم «محمود الرباوى»، جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٦/١/١٤.

(٢٦) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/١٠/١٧.

إطلاق النار، فى أى ظرف كان، على مستوطن أو على يهودى، بشكل عام، وهو يطلق النار على شخص ما»، وعندما سئل الكولونيل «طيار» أمام لجنة التحقيق فى مجزرة الخليل، جاءت إفادته قاطعة :

سؤال : عندما يطلق مستوطن النار على مصلين، ألا يمكنكم منعها حتى بإطلاق النار بين رجليه؟!

جواب : كلا ! يجب الاختباء لتجنب الإصابة، والانتظار إلى أن يكف عن الإطلاق، عندها تجب السيطرة عليه من دون اللجوء إلى القوة(٢٧) .

وفى اجتماع لقائد الألوية مع قائد الفرقة العسكرية فى الضفة الغربية، الجنرال «شاوول موغاز»، أعاد تكرار هذه الإجابة على السؤال نفسه، وعندما ألح الضباط فى استيضاح الرد، كرر حاسماً : «لاتطلق النار على يهودى، نقطة .. هذا كل شئ»(٢٨) .

ومن سيادة فلسفة القوة هذه تتأكد قيم العنصرية واحتقار البشر والارتكاز على العنف لتثبيت مقومات الدولة.

٢- أطفال إسرائيل : يجب قتل كل العرب !

بناء على ما تقدم فإن مسألة الميل الطبيعى لدى المسئولين فى الدولة الصهيونية لتثقيف سكانها بثقافة ترتكز على أسس عدوانية، تبرر الهيمنة على المنطقة العربية بأسباب توراتية، وتجعل من عمليات التنكيل بالمواطنين العرب، أصحاب الديار الأصليين، مهمة مقدسة، مشروعة دينياً بحسب قواعد «الهالاخاه»، (الشريعة) .. يبدو أمراً منطقياً، ومنسجماً مع سياق نشأة الفكرة الصهيونية، وخطوات تنفيذها على أرض الواقع.

إن تحويل إسرائيل إلى «اسبارطه عصرية (٢٩) »، كما وصفها بحق «إيان لوستك» يقتضى عسكرة كل شئون الحياة، ويستوجب - وهذا هو المهم - تنشئة جيل يؤمن بعبادة القوة؛ ويؤله السلاح، ويسعى إلى استكمال مسيرة اغتصاب الأرض، وضمها للمركز الصهيونى، وذلك لأن «ما نحن فى إسرائيل إلا رواد فى طليعة الشعب اليهودى كله؛ ودولة إسرائيل كما هى الآن لم تمثل تحقيق الصهيونية بتمامها : إنها دولة فى طور النمو ... ومهمتنا لم تنجز بعد : .. فالدولة يجب أن تشكل ملاذاً للشعب اليهودى كله. والشعب العربى لن يقبل هذه الفكرة أبداً»(٣٠) .

وفى مواجهة الرفض العربى، المفهوم والمتوقع، ينبغى الإعداد لمعركة طويلة قد تستمر أجيالاً، وتستغرق عشرات السنين، مهما تحققت خلال هذه الحرب من هدنات مؤقتة، أو اتفاقيات هشة لسلم لا مستقبل له.

ومن هنا فإن تربية الأجيال الجديدة من الصغار، وتهيئتها لاستلام السلاح، وتعليمها أسس الضغط على الزناد، وقت الحاجة، أمر حتمى وضرورى للغاية، بل إن مصير إسرائيل، بكامله، متوقف على النجاح فى هذه

---

(٢٧) آمنون كابليوك، مصدر سبق ذكره.

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص : ١٦٠.

(٣٠) The War Aims of The People of Israel,-

مذكورة فى إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص : ١٦٠.

المهمة، حيث : «تؤلف الدبابة كما يرى «جاكوب كلاتزمان»، عاملاً من عوامل الأمن والسلامة على المدى القريب، لكن المدرسة والجامعة هي العوامل الأكثر أهمية بالنسبة للمستقبل البعيد .. إن التربية هي أيضاً من مستلزمات الدفاع الوطني»[٣١] ، ومن هنا «يكمن أصل المسألة في مدى استعداد الجيل المقبل للقتال .. ولابد للحل من أن يبدأ الآن في رياض الأطفال، علينا أن نربي الأطفال بحيث يقدمون من تلقاء أنفسهم الرد الروحي – الخلقي على أعدائنا، أو أن يضربوا بقبضتهم إذا ما دعت الحاجة. لكن علينا أن نبدأ بتعليمهم في رياض الأطفال، لأنه حينما يصل الفتى إلى الجيش يكون الوقت قد فات»![٣٢] . هكذا يقول «رفائيل إيتان»، رئيس الأركان الإسرائيلي الأسبق، وزعيم حزب «تسومت» اليميني المتطرف.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية، تتم صياغة أو صناعة «إنسان (إسرائيلي) ذي بُعد واحد، مفتون بدوره التاريخي المحاط بالعناية الإلهية الملهمة، ويتم «تعليب» المواليد الجدد لكي يصبحوا متوائمين مع حاجات «اسبارطه» الصهيونية، وهو ما عبر عنه «يوشي ميلمان» أبلغ تعبير :

«إن النظام (الإسرائيلي) لا يحاول أن يعتقل الشخصية الفردية والتفكير المستقل، بل إنه يحفز التفكير الجماعي والتنسيق المشترك والعمل كأنهم خط إنتاج في معمل ما ، حيث عليهم إنتاج بضاعة ذات قياس واحد .. والتي هي أطفالنا»[٣٣] .. إن هؤلاء الأطفال المصنَّعون حسب «المواصفات القياسية» لدولة العنف والإرهاب المقنن، يدرسون طبيعة البلاد والجغرافيا التي تخدم الغاية نفسها، وتستهدف الرسالة ذاتها: «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض !»، أما التاريخ، فهو «ترجمة ذات بُعد واحد، تبدأ من احتلال اليهود لدولة «إسرائيل إيريتز»، مع التركيز على «حرب الاستقلال» عام ١٩٤٨ وما بعدهما.

إنه تاريخ مرسوم بالأبيض والأسود، يشابه بذلك سيرة التاريخ الأمريكي التي تجنبت ببراعة فائقة الحقيقة المخجلة المتعلقة بذبح أبناء أمريكا الأصليين. وتملك أسطورة إسرائيل أبناء طيبين وأبناء شريرين، يفوز الأبناء الطيبون بالاعتماد على السينما الغربية، وعلى بعض صيغ الأفلام المبتذلة بالعدالة الطبيعية، وهنا ينسج الإسرائيلي لتاريخه قصصاً عن صراط الأمة المستقيمة الذي لا يخذل أحداً، وكان دوماً المكان المرغوب، وتتحدث تلك الأسطورة نفسها كيف تطلع الإسرائيلي دون كلل ليفتح نوافذ فرصة السلام للآخرين، بيد أن العرب – الأبناء الشريرين – أغلقوا هذه النوافذ .. وذهبوا للحرب !»[٣٤]

لقد خلطت إسرائيل الشوفينية الوطنية بحليب الأم، ومجدت أدوات القهر المسلح لخلق مواطن معجون بآلات الدمار ومتوحد معها .. إن إسرائيل، مرة أخرى كما يقول «ميلمان» : «تشجع صغارها على زيارة معارض الأسلحة والجيش بدلاً من حدائق التسلية كما يفعل أترابهم في باقي أماكن العالم»[٣٥] .. وإلى الدبابات

---

(٣١) مذكورة في : د. أسعد رزوق، في المجتمع الإسرائيلي، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١، ص : ٩٠.

(٣٢) Neku-Tzomet Expects a Green Light From The Settlements ,
da, No. 67, December 23/1983, PP. 26 - 27.
مذكورة في إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص : ١٦٠.

(٣٣) يوسي ميلمان، مصدر سبق ذكره، ص : ١٦٢.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ص : ١٦٤ – ١٦٧.

(٣٦) المصدر نفسه.

وناقلات الجنود «*يذهب عشرات الأطفال يصحبهم آباؤهم ليتقافزوا فوق لُعب الدمار ويتحدثوا إلى طاقمها* .. ويرى أغلب الإسرائيليين هذه العلاقة أمراً طبيعياً .. فالأطفال وُلدوا ليعبدوا العسكرية»(٣٦) .. وفى هذا السياق لن يُستغرب أبداً أنه «إذا كان دعاء طالب الثانوى الأمريكى لله، أن يلتحق بجامعة «آفر ليج»، فإن نظيره الإسرائيلى لا يطمع بغير أن ينتسب إلى إحدى هذه الوحدات الممتازة فى القوات المسلحة»(٣٧) ، كما «إن الإسرائيلى الذى أنهى خدمته العسكرية فى الوحدة المناسبة .. سيجد أمامه الطريق مُعَبداً للنجاح»(٣٨). ومن هنا نفهم لماذا - بعد حرب ١٩٦٧ - مثلَّ «موشى دايان» للإسرائيليين، بالرقعة السوداء التى تغطى إحدى عينيه، «نصف إله»، أو «أسطورة حية تمشى على قدمين» !

ولقد فعلت هذه المناهج التربوية التى استُخدمت بكفاءة لعدة عقود فعلها فى أذهان «أطفال الدولة» الذين تربوا، فى الكيبوتسات والمعاهد التعليمية، الدينية أو الدنيوية، على مفاهيم العنصرية المتطرفة والاستعلاء. ويثبت استطلاع للرأى أجرته مؤسسة «فان لير» التربوية فى إسرائيل بين الشبان الصغار، أن ٦٠٪ من المتدينين، و ٥٠٪ من أبناء الطوائف الشرقية يؤيدون نظريات العنصرى الفاسى، «مائير كاهانا»، وكذلك يؤيدها ٥٠٪ من طلاب المدارس المهنية و ٣٥٪ من طلاب المدارس النظرية، وفى شهر سبتمبر ١٩٨٤، أظهر استطلاع آخر للرأى بين مجموعات أخرى من الشباب الإسرائيليين، أن ٥٧٪ يؤيدون طرد العرب من الأراضى المحتلة، و ٣٨٪ يتحمسون للمنظمات الإرهابية التى تهاجم العرب فتقتلهم وتدمر ممتلكاتهم(٣٩) ،وفى تحقيق صحفى مع عدد من طلاب شباب بكيبوتس «كفار يلوم»، عشية تجنيدهم للجيش نقرأ التصريحات التالية :

- «مأساة هذه الدولة هم العرب .. أنا لا أحبهم»!
- «فى قلوبنا شفقة ورحمة أكثر مما يجب .. يجب قتل (المخربين)، وإن استسلموا، يجب قتلهم وقطع رؤوسهم وإلقاؤها وسط الساحة العامة حتى يرى العرب ويرتدعوا» !
- «يجب قتل العرب إذا لم يتواجد فى المكان صحفيون وشاه، لتفادى الفضائح والمضاعفات» !.
- «فى رأيى يجب قتل كل العرب» !
- «إذا سنحت الفرصة لقتل العرب فيجب قتلهم وبأسرع ما يمكن، من جهتى يجب قتل كل العرب !».
- «إن مكان العرب هو الأردن .. فلماذا لا يرحلون إليها ؟!».
- «إذا كانوا يرغبون فى إقامة دولة .. إذن فليرحلوا إلى الأردن .. أما إذا كانوا يرغبون بمواصلة العيش هنا، فعليهم أن يخرسوا» !
- «لو كان للحاخام «كهانا» احتمال للوصول إلى سدة الحكم لما صوتت فى الانتخابات إلا له. الوسائل التى يقترحها صحيحة».

---

(٣٧) المصدر نفسه.
(٣٨) المصدر نفسه.
(٣٩) درويش ناصر (المحامى)،مصدر سبق ذكره، ص ص : ١١٣-١١٤.
(٤٠) جريدة يديعوت أحرونوت، إسرائيل، ١٩٨٤/٥/٤.

- «بالإمكان قذف العرب إلى البحر .. يطيب لى لو تحقق هذا!»[٤٠].

إن تلقين الطلاب والتلاميذ الصغار يتم عبر المدرسة وساحة اللعب ووسائل الإعلام والكيبوتس والمكتبة حيث تشرح لهم الكتب بإسهاب «عن فظاظة العرب وبشاعتهم، وأذرعهم الضخمة كثيفة الشعر، والأفواه المشوهة»، وتتحدث عن حياتهم البدائية، البدوية، المتخلفة.

.. «إن مستنقع الفاشية العنصرية يكمن فى السياسة التوجيهية للحكومة ابتداء من المدارس الابتدائية ماراً بالثانوية فالمدرسة العسكرية .. فمدرسة الاحتلال. فالوضع الاجتماعى والأخلاقى السائد فى إسرائيل اليوم، لا يدع مجالاً للشك فى أن استمرار الاحتلال مع كل ما يرافقه من قمع «كولينيالى» وحشى، يدمر إنسانية الإنسان اليهودى، ويشحنه فكرياً وسياسياً وأخلاقياً للقيام بأبشع أشكال القمع والكراهية الفاشية للإنسان العربى، ويطور أيديولوچيا ممسوخة وعرقية تعتبر الإنسان العربى مخلوقاً وضيعاً، لتبرير استعباده.. وحتى قتله»[٤١].

وضمن هذا المناخ ينمو التطرف الدينى، ويجد تبريراته «اللاهوتية» التحريضية. فإذا كانت «نظرة الأمن الإسرائيلى» لا ترى فى المناطق العربية المحتلة هدفاً بحد ذاته، بل «وسيلة دفاع» عن الدولة، نلاحظ «أن الأيديولوچية الدينية ترى فى الاحتفاظ بالمناطق المحتلة، وبالتالى استمرار الاحتلال، هدفاً مقدساً بحد ذاته»[٤٢].

ولا ينجو من هذا المآل الخطير حتى النساء، وحتى المولودات فى «الغرب المتحضر» منهن، بل وحتى الأمهات بعد أن أصبحن جزءاً من تروس آلة الكراهية والعنف الإسرائيلية الجهنمية هذه، ففى «شهادات إسرائيلية»، كتاب «عاموس عوز» الشهير، يذكر على لسان أم من يهود نيويورك اسمها «هار بيت» أجرى معها حواراً شديد الدلالة، بسطه خلال سطور كتابه، تقول فيه «هار بيت» :

«كان علينا فى أيام الحرب الستة وفى حرب يوم الغفران ألا نتوقف قبل أن نسحق العرب جميعاً حتى يعلنوا الاستسلام الكامل، كان لابد من تدمير عواصمهم كلها. إنها حرب دينية . . حرب مقدسة عندهم وعندنا، حرب ضد الإسلام كله وحرب ضد الكفار»[٤٣] !!

هكذا إذن يتم شحن العقول، وتعبئة الأفئدة، بمعين لا ينضب من الأحقاد والسخائم التى تزداد تضخماً مع كر الأيام، ويحيا هؤلاء المهووسون - بأثر من تربيتهم وتثقيفهم المستمر بروح العداء والنفور من «الأغيار» والرغبة فى الانتقام من «الجوييم» - مشبعين بأفكار جنونية، عنصرية وشاذة، لا يزيدها التراجع فى التصدى لعنصريتها وعدوانيتها إلا استفحالاً.

«إن الخطر فى الوعظ الدينى العنصرى، وفيما يُكتب فى الصحافة الصادرة عن مؤسسات دينية، (ونحن نعرف هذا جيداً هنا فى مصر) هو أن التلاميذ ينفذون ببنادقهم ما دعا إليه أساتذتهم بأقلامهم، والأخطر من

---

(٤١) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، ص ص : ١١٦-١١٧.

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) أنظر عرض للكتاب فى : شوقى رافع، شهادات إسرائيلية : مجتمع يضج بالعنصرية والعنف، مجلة العربى، الكويت، العدد (٤٢٠)، نوفمبر ١٩٩٣.

(٤٤) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، ص : ١٩.

إن الصهيونية تدنيس للقدسية و مناقضة للديانة اليهودية، لأنها تسيطر بالقوة وتضطهد الآخرين.

لقد تم الإعلان عن الفلسطينيين كأعداء، لأنهم يشكلون عقبة أمام المطامع الإقليمية الصهيونية ونحن اليهود الفلسطينيين، قد عشنا بسلام خلال مئات السنين مع هؤلاء الأعداء للصهيونية، ونحن نطمح باستمرار هذه العلاقة. رغم المعارضة

" الحاخام هيرش "

طائفة ناطوري كارتا

فى تناقض بَيِّن مع كافة توجهات المنظمات الدينية المتشددة، والأصولية، وتوجهات القوى السياسية الصهيونية، تبرز أصوات بعض الطوائف اليهودية التى تعلن - بقطع ووضوح - عن عدائها للبرامج والخطط التوسعية التى تمارسها إسرائيل، وتحتل بموجبها أراضٍ عربية، فلسطينية وغير فلسطينية، كما تتعاطف هذه الأصوات مع الحقوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى فى الاستقلال وبناء دولته الحرة.

وعلى الرغم من أن الحجم العددى لهذه الطوائف محدود، وقدرتها على التأثير فى القرار السياسى لإسرائيل متدنية، إلا أن الاهتمام الذى لقيته من الإدارة الفلسطينية ومن الأوساط المعادية للصهيونية له ما يبرره، فوجود جماعات يهودية، متدينة، ترفض الصهيونية، وتعارض سياستها، أمر بالغ الأهمية.

ومن أهم هذه الجماعات : «الطائفة السامرية» وطائفة «حراس المدينة» أو «ناطورى كارتا».

الطائفة السامرية:

تُعد الطائفة «السامرية» إحدى الجماعات البشرية الصغيرة، المغلقة، التى تعتنق ديانة منبثقة عن اليهود، ويعيش أغلب أعضائها، الذين يصل عددهم إلى نحو ألف وخمسمائة نسمة، فى «جبل جرزيم» قرب نابلس شمالى الضفة الغربية، وهم يعلنون أنهم أحفاد اليهود الذى ظلوا فى «السامرة» بعد الغزو الآشورى وترحيل اليهود إلى بابل فى عام ٧٢١ قبل الميلاد.

والطائفة السامرية إحدى الطوائف الحسيدية، المتشددة دينياً، التى تتمسك تمسكًا حرفيًا بما يظنونه «أصول الشريعة»، وهم يقاطعون استخدام اللغة العبرية الحديثة فى الحياة اليومية حيث يعتقدون فى قدسيتها الأمر الذى يوجب عدم استخدامها إلا فى أغراض دينية (سامية)، كما يتحدثون اللغة العربية بلهجة سكان المنطقة المحلية.

وتولى الطائفة عملية إنجاب الأطفال أهمية قصوى، باعتبار كثرة النسل واجباً مقدساً، بل يعتبرون أن منع الحمل جريمة «يعاقب عليها بالقتل»، وكذلك فالطلاق ظاهرة معدومة بين أفراد الطائفة.

تعتبر هذه الطائفة «جبل جرزيم» موقعاً مقدساً حسب معتقداتها ولا تهتم كثيراً بأمر القدس التى تمثل، على العكس، موقعاً مركزياً فى اهتمام الفئات والطوائف والقوى السياسية الإسرائيلية الأخرى، وهذا أحد أوجه الاختلاف الرئيسية بين هذه الطائفة اليهودية عن غيرها، والوجه الآخر للخلاف هو أن أفراد الطائفة السامرية لا يؤمنون إلا بالعهد القديم فقط، الذى يعلنون أنهم يحتفظون بأقدم وأصح نسخة مكتوبة منه، على جلد ماعز منذ ٣٦٤٠ عام، «بخط الكاهن» ناجى بن خضر بن هارون (أخى موسى) الذى أنجزها بعد وفاة موسى بثلاثة عشر عاماً فقط.(١)

ومع قلة عدد أفراد الطائفة، إلا أنهم ينظرون إلى أنفسهم على أنهم «ورثة بنى إسرائيل» الفعليين، و «حماة التوراة الحافظين للوصايا العشر»، ويعتبرون أنفسهم الخلاصة المتبقية من «الأسباط العشرة»، أولاد يعقوب.

---

(١) مازن حجازى، السامرية أصغر طائفة تعارض إسرائيل فى العالم، جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/١٢/٢٥.

وترتكز ديانة الطائفة السامرية على أركان خمسة، هى :

١- الاعتقاد بوحدانية الله.

٢- وبأن التوراة هى الكتاب المُنَزّل على موسى.

٣- وبأن موسى هو أعظم الأنبياء.

٤- وأن جبل «جرزيم»، هو القبلة ومركز الحج.

٥- وبأن اليوم الآخر حق(٢) .

لا يتزاوج أفراد هذه الطائفة من خارجها، وهم محافظون فى مسلكياتهم إلى حد كبير، كما أن نساءهم يخفين وجوههن خلف حجب سميكة، ويمتنع عناصر الطائفة عن تناول أطعمة غيرهم، ويرفضون الاختلاط أو الانفتاح على الآخرين.

والغريب أنها فى عاداتها الدينية، تلتقى مع المسلمين فى عدة مسائل : كالطهارة وختان الذكر والوضوء والسجود والركوع، وغسل الميت ودفنه(٣) .

وتاريخ الطائفة السامرية تاريخ صراع مستمر ضد اليهود (الآخرين) والرومان، وقد عاشت - فى ظل الفتح العربى بحرية، حيث مارست طقوسها ومظاهر عقيدتها دون قيود، وهى تعارض اليهود والصهاينة فى احتلالهم للأرض العربية، وإعلانهم القدس كعاصمة لدولتهم، ومن هنا جاء قرار الإدارة الفلسطينية بتخصيص مقعد فى مجلس الحكم الذاتى لها.

حراس المدينة "ناطوري كارتا":

«يهود فلسطين» هو الاسم الذى تطلقه على نفسها هذه الطائفة اليهودية المعادية للصهيونية عداءً شديداً، وهذه الجماعة التى تعيش فى حى «مائة شعاريم» بالقدس، تسمى بالآرامية «ناطورى كارتا» أى «حراس المدينة»، ويتزعمها ويرأس خارجيتها الحاخام «موشى هيرش» الذى يحمل جوازاً أمريكياً ويرفض الاعتراف بإسرائيل أو حمل جنسيتها، ويتعاطف مع العرب والفلسطينيين، ويتمنى من منطلقات دينية بحتة، زوال الدولة الصهيونية وانهدام أركانها، ويرفع فى مقر طائفته علم فلسطين باعتباره علماً لطائفته.

وبعد توقيع اتفاقية «أوسلو» رافق ثلاثة من زعماء الجماعة رئيس السلطة الوطنية الفلسطينى «ياسر عرفات» لدى دخوله «أريحا»، تعبيراً عن انتمائها للوطن الفلسطينى، وأعلن «موشى هيرش» : «أننا نصفق لهذا الحدث الذى يتوج كفاح ربع قرن ضد الاحتلال. إنه واجب دينى على أى يهودى أن يشارك شخصياً فى هذا العيد الذى يسجل بداية الهزيمة للصهاينة(٤) ».

وفى خطوة موازية، ذات دلالة، اختار «ياسر عرفات» «موشى هيرش» وزيراً للشئون اليهودية فى الإدارة الفلسطينية الجديدة، إدارة الحكم الذاتى»(٥) ، تقديراً لدور هذه الجماعة التى تجاهر بعدائها للصهيونية ومناصرتها لكفاح الشعب الفلسطينى من أجل الاستقلال والحرية.

---

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٤/٤/٥.

وتعتبر هذه الطائفة أن الصهيونية «تمثل الخطيئة القاتلة ضد الرب ومصير اليهود»[٦] ويرون فيها نقيضاً كاملاً لليهودية الحقة. «إن الدولة اليهودية زيفٌ كامل»[٧] .

وهذه الطائفة تقاطع الدولة الصهيونية ورموزها وشاراتها وأعيادها وثقافتها وتقاليدها، ويعتبرون أن التعاون مع الدولة «نوع من الضلال والكفر الديني، والمشاركة في الانتخابات عملاً وثنياً، ومساعدات الحكومة رشاوي لتغيير مواقفنا»[٨] ، وتخرج مظاهرات أعضاء الطائفة، في نيويورك، يوم ١٥ مايو (ذكرى إعلان قيام الدولة الصهيونية المغتصبة» لكي يعبروا عن احتجاجهم عليها، وهم يقاطعون حائط المبكى، ويهجرون القدس في الأعياد والمناسبات التي يتجمع اليهود فيها حوله، كعيد الفصح، وعيد المظلة.

ويستخدم أعضاء «ناطوري كارتا» اللغة اليديشية في معاملاتهم اليومية، ويقصرون استخدام العبرية على الصلاة والتعليم الديني، ولها مجلس أعلى مكون من سبعة أفراد، ولمرشدهم الفلسفي، الحاخام «متسالبيوم» مؤلف شهير اسمه «ضد الصهيونية».

كما يمتنع أعضاء الطائفة عن أداء الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي، ومن جهتها تمتنع الدولة الصهيونية عن تجنيد أفراد «ناطوري كارتا»، لأنهم، حسبما يقول الحاخام «هيرش» :

«*إذا أعطونا السلاح سنطلق عليهم النار، لماذا يفكرون فينا وهم لا يجندون العرب، ونحن أكثر كراهية لهم من العرب*»[٩] .

وتعيين الحاخام «هيرش» وزيراً في الإدارة الفلسطينية لسلطة الحكم الذاتي لم ينشأ من فراغ، إنما جاء تتويجاً لتاريخ طويل من العلاقات الودية بين الطرفين، فقد اعترفت الجماعة بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني وأيدت تشكيل الحكومة الفلسطينية في المنفى عام ١٩٨٨، وفي مؤتمر «مدريد»، (للسلام في الشرق الأوسط)، الذي انعقد عام ١٩٩١ شارك «حاييم إسحق فريمان»، أحد نشطاء الطائفة في نيويورك، كعضو رسمي في الوفد الفلسطيني الاستشاري في المفاوضات، وحينما انفجرت وقائع انتفاضة الشعب الفلسطيني في مواجهة سلطة الاحتلال الإسرائيلي المغتصب، وزعت الطائفة مساعدات عينية على ضحايا الانتفاضة الفلسطينية في مستشفيات القدس، وأرسلت دعمها لعائلات المعتقلين من المناضلين الفلسطينيين، مرفق بها رسائل تضامن : «من اليهود الفلسطينيين المناهضين للصهيونية الأصولية، تعبير عن التعاطف والمودة تجاه أخوتهم الفلسطينيين»[١٠] .

ويرى الدكتور «رشاد الشامي» أن «ناطوري كارتا» التي تمثل «طبعة جديدة» من «الصيغة السائدة للأرثوذكسية الدينية في إسرائيل»[١١] ، قد نمت داخل «اليشوف» القديم في القدس كصيغة مغالية في التشدد من داخل حزب «أجودات إسرائيل»، (ألترا أجودات)، وقد انشقت عن ذلك الحزب عام ١٩٣٥ لاتجاه «أجودات إسرائيل» إلى التصالح مع المواقف الصهيونية للحركة السياسية اليهودية، وخصوصاً في السعي من

---

(٦) ديفيد لانداو، مصدر سبق ذكره، ص : ٢٢٣.
(٧) المصدر نفسه، ص : ٢٢٧.
(٨) المصدر نفسه، ص : ٢٢٦.
(٩) المصدر نفسه، ص : ٢٢٥.
(١٠) المصدر نفسه، ص : ٢٣١.
(١١) د. رشاد عبد الله الشامي، مصدر سبق ذكره، ص : ١٦٨.

أجل إنشاء «حاخامية رئيسية» موحدة فى فلسطين، وهذه الطائفة تتكون من جماعات خمس تتحد فى الموقف المعادى للحركة الصهيونية ولدولة إسرائيل باعتبارها «ثمرة الغطرسة الآثمة، لأنها قامت على يد نفر من الكفرة الذين تحدوا مشيئة الله وإرادته بإعلانهم إقامة دولة إسرائيل، بدلاً من انتظار «المسيح المنتظر»، المخول وحده إقامة دولة إسرائيل»(١٢) .

ومن هذا المنطلق رأت «ناطورى كارتا» أن «إعلان استقلال إسرائيل»، (أى إعلان قيام الدولة المغتصبة على جزء من التراب العربى الفلسطينى فى ١٥ مايو ١٩٤٨)، قد «نقَضَ أسس قوانين الشريعة»(١٣) ، وطالبت بوضع القدس تحت الوصاية الدولية، وبإصدار جوازات سفر من هيئة الأمم المتحدة لليهود المتدينين الراغبين فى ذلك، وعبر أعضاء الطائفة عن استعدادهم لمغادرة القدس إلى موقع آخر يستطيع أفرادها العيش فيه «بموجب التوراة والشريعة»(١٤) ، كما أعلنوا عن استعدادهم للعيش فى ظل سلطة فلسطينية وطنية، وأدانوا الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢، وأيدوا الكفاح المسلح للشعب الفلسطينى × كما طالبوا «جورباتشوف»، «بوقف سيل الهجرة إلى إسرائيل»(١٥) فى مطلع عام ١٩٩٠.

والطريف أن جماعة «ناطورى كارتا» أعلنت عن استيائها لاعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل، وعبرت عن اعتراضها على اعتدال عرفات فى مواجهة الدولة الصهيونية(١٦) ، كما ثَمَّنَتْ إيجابياً مواقف «الخمينى» المناوئة للصهيونية وأرسلت وفداً للعزاء عقب وفاته، وحينما تفجرت وقائع أزمة احتلال العراق للكويت وحرب «عاصفة الصحراء»، أيدت الطائفة «صدام حسين»، وأرسلت عن طريق الفلسطينيين، رسالة كتبها الحاخام «هيرش» إلى وفود كل الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة، ذكرت فيها «أن الرب يريد أن يطرد الصهاينة من الأرض المحتلة ليخفف من غضبه على الأمة اليهودية، ولكن الأمريكيين متشبثون بالإبقاء عليهم فى تلك الأرض، ولذلك فإن الرب اختار «صدام حسين» للانتقام منهم، وهذا فى صالح الأمة اليهودية والعالم أجمع !»(١٧) .

وهذا الموقف يتسق تماماً مع فكر الطائفة والحاخام «هيرش» الذى يؤمن بأن «الصهيونية تتعارض تعارضاً كاملاً مع اليهودية، فالصهيونية تريد أن تُعَرِّفَ الشعب اليهودى باعتباره وحدة قومية، وهذه هرطقة، فقد تلقى اليهود الرسالة من الرب، لا لكى يفرضوا عودتهم إلى الأرض المقدسة ضد إرادة سكانها، فإذا فعلوا ذلك فإنهم يتحملون نتائج فعلتهم، والتلمود يقول : «إن هذا الانتهاك سوف يجعل من لحمهم فريسة للسباع فى الغابة» وأن المذبحة الكبرى ستكون نتيجة من نتائج الصهيونية»(١٨) .

وهو إذ يرفض الصهيونية ويدينها يعلن انتماءه لفلسطين وشعبها وتاريخها وتراثها :

---

(١٢) المصدر نفسه، ص : ٣١٧.
(١٣) المصدر نفسه، ص : ٣١٨.
(١٤) المصدر نفسه.
× يقول الحاخام هيرش : «نحن نؤيد حق الفلسطينيين فى استرجاع ما أخذ منهم بواسطة القوة»، المصدر نفسه، ص : ٣٢١.
(١٥) المصدر نفسه.
(١٦) المصدر نفسه.
(١٧) ديفيد لانداو، مصدر سبق ذكره، ص : ٢٢٣.
(١٨) مذكورة فى د. رشاد عبد الله الشامى، مصدر سبق ذكره، ص : ٣٢٣.

فـ «نحن الحريديم نُعَرِّفُ أنفسنا كيهود فلسطينيين، إن الصهيونية تدنيس للقدسية ومناقضة للديانة اليهودية لأنها تسيطر بالقوة وتضطهد الآخرين - إننا لا نزور حائط المبكى، أو البلدة القديمة، أو أية منطقة أخرى، جرت السيطرة عليها بالقوة، لأن ذلك يعتبر تجاوزاً»، ولذلك فإن طائفة «ناطورى كارتا» ترفض أن تكون أداة فى يد دعاة الصهيونية لقهر الفلسطينيين :

.. «لأنهم يريدون انضمامنا إلى آلة الحرب ضد العدو الذى أوجدوه خدمة لمصالحهم، ولتوسيع سيطرتهم على مناطق تابعة لشعوب أخرى، وأن هؤلاء الأشخاص - يقصد الفلسطينيين - تم الإعلان عنهم كأعداء، لأنهم يشكلون عقبة أمام المطامع الإقليمية الصهيونية، ونحن اليهود الفلسطينيين عشنا بسلام خلال مئات السنين مع هؤلاء الأعداء للصهيونية، ونحن نطمح باستمرار هذه العلاقة، رغم المعارضة الصهيونية»(١٩) .

(١٩) المصدر نفسه، ص ص : ٣٢٤ - ٣٢٥.

« إن مصير الدولة يرتبط بمصير يهود العالم، والعكس بالعكس .. ومن المشكوك فيه أن تستطيع إسرائيل البقاء على قيد الحياة، وألا ينقرض يهود الدياسبورا بواسطة قتل الرحمة أو الاختناق، دون الأواصر المتبادلة التى تشد إسرائيل إلى مجتمعات الدياسبورا ».

« بن جوريون »

الأصولية اليهودية صناعة أمريكية

١- الولايات المتحدة أرض لتفريخ المتطرفين (اليهود)(١)

مثلها، مثل باقى المظاهر والظواهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فى إسرائيل، يبدو الارتباط شديداً بين انتشار التيارات الدينية والأصولية داخل الدولة الصهيونية، وعناصر الدعم والإسناد، غير المحدود، الواردة من الخارج، وبالذات من الولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب الرأسمالية الكبرى (فرنسا - انجلترا .. إلخ)، ويبلغ التعصب للقوى الدينية الأصولية الإسرائيلية، ولتياراتها الأيديولوجية، من يهود الخارج (وأمريكا بالذات)، ومن المسيحيين الصهيونيين الذين يبدون «ملكيين أكثر من الملك» حداً غير معقول ولا مقبول، ناهيك بالطبع عن أشكال الدعم المادى والمعنوى المتعددة، التى تحظى بها الدولة الصهيونية ذاتها من أمريكا والغرب، وهو الأمر الذى لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح×.

ويكفى فقط للدلالة على أبعاده الإشارة إلى أن أغلب العناصر الفاعلة فى حملة «كلينتون» الانتخابية السابقة كانوا من اليهود الصهيونيين المتعصبين لإسرائيل، وعناصر عديدة مؤثرة فى الإدارة الأمريكية هم كذلك (ومنهم مارتن إنديك السفير اليهودى للولايات المتحدة فى إسرائيل)، وكان «ستيفن سبيجل» مستشار «كلينتون» لشئون الشرق الأوسط إبان المعركة الانتخابية (أكتوبر ١٩٩٢) قد صرح بأن «أمريكا لن تعرف منذ «ليندون جونسون» و «هربرت همفرى» رئيساً منحازاً لإسرائيل مثل «كلينتون» إذا نجح(٢) ، وقد كان بالفعل، ويذكر أن «ألبرت جور» نائب الرئيس «كلينتون» هو أيضاً واحد من غلاة الأمريكيين المتعصبين للدولة الصهيونية.

وكما هو معروف فإن واحدة من دعائم النظام السياسى الإسرائيلى هو الاعتراف بأن «إسرائيل»، «ملك لمجموع الشعب اليهودى» وليس فقط لمن يعيش داخلها من اليهود، فهى تعتبر كل يهودى يعيش خارجها «مواطناً محتملاً»، وتتبدى الأهمية الكبرى لهذا المبدأ إذا ما علمنا أن عدد اليهود المقيمين خارج «إسرائيل» يبلغ تقريباً ضعف عدد المقيمين بها (٨,٦ مليون فى الخارج مقابل ٤,٦ مليون بالداخل)، ويعيش من يهود الخارج، نحو ٥,٨ مليون يهودى بالولايات المتحدة وحدها «هم من أقوى وأغنى الفئات اليهودية فى العالم»، وظل هذا التجمع الكبير يؤيد إسرائيل «على طول الخط» بالأموال والنفوذ والدعم المتعدد الأشكال. وفى كل الظروف وتحت شتى الاعتبارات، وحينما بدأت عملية التسوية السياسية الأخيرة انحازت هذه الجماعات اليهودية إلى الخط اليمينى المتشدد لتجمع الليكود، وإلى صفوف التجمعات الدينية والأصولية المتزمتة من

---

(١) حاييم هيرتزوج، الرئيس الإسرائيلى السابق.

× يمكن للقارئ المعنى بدراسة هذه النقطة الرجوع إلى عشرات المراجع الأجنبية الهامة، أما فى المكتبة العربية، فهناك العديد من الدراسات حول هذه القضية من أهمها : «الصهيونية فى الولايات المتحدة»، مجدى نصيف، دار «العربى» للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٨ - «نظرة جديدة فى التحالف الصهيونى الإمبريالى»، وجيه حسن قاسم، دار «البيادر» للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧ - «جماعة الضغط اليهودية فى أربع إدارات أمريكية»، أغار لطيف نصيف، بغداد، ١٩٨٩ - «المعونات الأمريكية لإسرائيل»، د. محمد عبد العزيز ربيع، «مركز دراسات الوحدة العربية»، بيروت، ١٩٩٠ - «تاريخ النفوذ اليهودى فى أمريكا»، فيصل أبو خضرا، الرياض، ١٩٩٢ ... وغيرها من الدراسات المهمة فى هذا السياق.

(٢) جريدة الحياة الدولية، لندن، ٢٤/١٠/١٩٩٢.

المستوطنين، واتحدت أهداف هذا الحلف فى العمل من أجل إحراج «رابين» وحكومته وتخريب مسارات التسوية،[٣] وهو الموقف الذى دفع «إسحق رابين»، رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق، قبل اغتياله، أثناء آخر زياراته للولايات المتحدة إلى الدخول فى مواجهة معهم - تعقيباً على محاولاتهم هدم اتفاقاته مع عرب التسوية (ومجموعة ياسر عرفات)، حيث قال لهم : «لا تتدخلوا فى شئوننا ! إن هذا حق فقط لمن يعيش فى إسرائيل ومن يخدم أبناؤهم فى الجيش الإسرائيلى (...) إن دوركم يقتصر فقط على تجميع الأموال للمساعدة فى دمج المهاجرين الجدد» ![٤] وبالطبع فدور «جامعى المساعدات» لم يرض قادة التجمعات اليهودية الصهيونية والأصولية فى الخارج، وفى الولايات المتحدة بالذات، الذين دفعوا فى اتجاه الخلاص من «رابين» وسياساته، وهللوا لاغتياله، ووصل الأمر بهم إلى حد تنظيم حملة جمع تبرعات لمساعدة قاتل «إسحق رابين»،ذكر المسئول عنها «موشى جروس» تعليقًا عليها : «أردنا أن نفاجئ العالم بأن هناك يهوداً مسرورين (لمقتل رابين)»، وأضاف أن الحملة وضعت «بمبادرة من يهود متدينين معجبين بـ «إيجال عامير» قاتل «رابين». وقد حددت الحملة خطاً هاتفياً خاصاً لاستقبال التبرعات «يتلقى نحو ستين مكالمة فى الساعة منذ اليوم الأول (!!)»، ألحقت به تسجيلاً هاتفياً يصف «عامير» بـ «بطل يهودى كبير»، ويتهم «رابين» بـ «العنصرية والتطرف !!»[٥] .

وقبل يومين من إعلان هذا النبأ اتهمت صحيفة «لوموند» الفرنسية منظمات يهودية فى فرنسا والولايات المتحدة وألمانيا وسويسرا وبلجيكا بدعم المستوطنين اليهود المتطرفين، وتزويدهم بالمال.

وقالت الصحيفة : إن فرنسا تأتى فى المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة كأكبر دولة تُجمع فيها المساعدات المالية لإرسالها إلى المتطرفين اليهود فى المستوطنات، مشيرة إلى أن «چاك كيفر» أسس «صندوق إنقاذ إسرائيل الكبرى» فور توقيع اتفاقيات أوسلو ١٩٩٣، وأوضح أن الجماعات المؤيدة للمتطرفين اليهود فى فرنسا ساعدت أكثر من ألف يهودى فرنسى على الإقامة فى مستوطنة «إيفرات» التى تم توسيعها بفضل المساعدات غير المشروعة التى يتم جمعها عن طريق الندوات والاجتماعات والحفلات[٦] .

وأشارت الصحيفة إلى أن الحركات اليهودية الأكثر تطرفًا «كاهانا حى» تعمل من الولايات المتحدة ويتلقى مائتان من رجالها المسلحين تدريبات جيدة فى نيويورك حيث تعمل لجنة الدفاع اليهودية التى أسسها «مائير كاهانا» فى الستينيات.

ويرى أعضاء الحركتين أن مرتكب مذبحة المسجد الإبراهيمى فى مدينة الخليل شهيد ويعبرون عن سعادتهم لاغتيال إسحق رابين» رئيس الحكومة الإسرائيلية الذى ساهم فى اتفاقية السلام فى الشرق الأوسط[٧] .

---

(٣) انظر : طارق حسن، التمزق اليهودى : اغتيال رابين .. قنبلة عنقودية تنفجر فى اتجاهات متعددة، جريدة الأهرام ، القاهرة، ١٩٩٥/١١/١٨.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) NEW YORK TIMES, U.S.A., 10 November, 1995.

(٦) LE MOMDE, Paris, 8 November, 1995.

(٧) المصدر نفسه.

وكانت «اللجنة الأمريكية العربية لمكافحة التمييز» قد أذاعت بيانًا فى أعقاب مذبحة الخليل، طالبت فيه وزارة العدل الأمريكية بالتحقيق فى النشاط الإرهابى لليهود المتطرفين فى الولايات المتحدة، حيث إن أعضاء حركة «كاهانا» يتدربون على السلاح والأعمال الإرهابية فى ولاية نيويورك.

وأضاف بيان المنظمة العربية أن جريمة مسجد الخليل ليست «حادثًا فرديًا» قام به شخص مختل عقليًا، وإنما هى نتاج حركة المستوطنات التى تتسم بالعنف والعدوانية وتمثل المحور الرئيسى لسياسة إسرائيل.

وطالب «العرب الأمريكيون» بنزع سلاح المستوطنين فوراً وتوفير حماية دولية للفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، وأضاف بيان المنظمة «أن مذبحة الخليل تؤكد بوضوح لا يشوبه الخطأ أنه يجب إزالة المستوطنات، وأن يبدأ إنهاء الاحتلال الآن، وأنه لا يمكن تجنب مشكلة المستوطنات بعد الآن، ولا يمكن للفلسطينيين الانتظار لسنوات قادمة من المفاوضات الدبلوماسية ريثما يمكن البدء فى مناقشة هذا الموضوع»[(٨)] .

وهذا الأمر أكدته صحيفة «حداشوت» الإسرائيلية، التى نشرت فى ١٨ أغسطس ١٩٩٣، تحقيقاً موسعاً حول دورات تدريب قتالية تعقدها مجموعات يهودية تطلق على نفسها اسم «كاهانا حى» نسبة للحاخام اليهودى المتطرف «مائير كاهانا» الذى اغتيل فى الولايات المتحدة منذ سنوات، وذكر التحقيق أن الدفعة الأولى (البالغ عددها ٢٠٠ مشاركًا من بينهم ٣٠ فتاة) من تلك الدورات التى تعقد فى الولايات المتحدة قد أنهت تدريباتها وتوجهت إلى فلسطين المحتلة للاستعداد للقيام بمهماتها، التى يقع على رأسها، حسب أقوال بعض المشاركين فيها، الوقوف الحازم ضد أى انسحاب إسرائيلى سواء من الضفة الغربية أو الجولان، ويفصل أحدهم تلك الأهداف بقوله : «إن جيش «كاهانا» يخطط لليوم الذى سيذهبون فيه إلى هضبة الجولان من أجل القتال ضد الانسحاب، وإننى آمل ألا نضطر لقتال اليهود×، لكن إذا لم يكن من ذلك بد فسوف نقاتل بالوسائل التى تعلمناها، إننا نفضل أن نقاتل ضد العرب، إذا ما قام الحكم الذاتى فسوف نقاتل العرب الذين يحملون سلاحًا وإذا ما انسحبت إسرائيل من «الجولان» فسوف نصمد بها ونقاتل ضد السوريين ونمنعهم من الدخول»[(٩)] .

ويشير تقرير صحفى من واشنطن، إلى أنه فى أعقاب مجزرة الحرم الإبراهيمى فى الخامس والعشرين من شهر فبراير ١٩٩٤ التى نفذها المستوطن اليهودى «باروخ جولدشتاين» الذى هاجر إلى إسرائيل من الولايات المتحدة عام ١٩٨٣، بدأ الخبراء والمراقبون السياسيون الأمريكيون يدرسون بنوع من التركيز ظاهرة أن الكثير من اليهود المتطرفين فى المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة جاءوا أساسًا من الولايات المتحدة، بل ومن مناطق محددة فى الولايات المتحدة، أبرزها «حى بروكلين» الشهير فى نيويورك. والأمثلة على تطرف «اليهود الأمريكيين» فى حركة الاستيطان اليهودية كثيرة لعل أبرزها الحاخام العنصرى «مائير كاهانا» (مؤسس منظمة كاخ الإرهابية) الذى قتل فى شهر تشرين الثانى/نوفمبر ١٩٩٠، واتهم فى اغتياله شاب مصرى برأته المحكمة من قتل «كاهانا»، لكنها حكمت عليه بالسجن على أية حال لمدة عشرين سنة لمخالفات قضائية أخرى[(١٠)] .

---

(٨) جريدة الأهالى، القاهرة، ١٩٩٤/٣/٩.

× يقصد اليهود الذين يقفون مع عمليات الانسحاب المحدودة من بعض الأراضى العربية المحتلة، فى إطار التسوية السياسية.

(٩) انظر خالد الخروب، تقرير عن الموضوع، جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٣/٩/٢٣.

(١٠) مفيد عبد الرحمن، أمريكا تُفرخ الإرهابيين اليهود وتصدرهم لإسرائيل، مجلة الوطن العربى، باريس، العدد (٨٨٩)، ١٩٩٤/٣/١٨.

وكذلك حركة «كاهانا حاى»، أى «يحيا كاهانا» التى أسسها أحد أبناء «كاهانا» فى إسرائيل وأقام لها فرعًا نشطًا فى نيويورك ويشير «بيفيد شيبلر»، مدير مكتب صحيفة «نيويورك تايمز» بالقدس فى الثمانينيات إلى أنه من الحقائق التى تجدر ملاحظتها والتركيز عليها أن اليهود الأمريكيين يشكلون أكثر من ١٥ ٪ من المستوطنين اليهود فى الأراضى المحتلة الذين يقدر عددهم بأكثر من ١٣٠,٠٠٠ (١١).

فضلاً عن ذلك تلجأ الجماعات اليهودية المتطرفة فى أماكن تركز اليهود، خصوصًا فى ولايات نيويورك وماريلاند وبنسلفانيا وفلوريدا وإلينوى وكاليفورنيا، إلى تنظيم «دورات تثقيفية لمن يريد من أبناء الجالية اليهودية، لا لتعليمهم أصول الدين أو التاريخ اليهودى، بل لغسل أدمغتهم بأحقية اليهود التاريخية والدينية فى أرض إسرائيل، وبأن العرب أوباش لا يستحقون هذه الأراضى، وتنبغى مقاتلتهم فى أى أرض وبأية وسيلة لإعادة الحق إلى أهله»، وهناك كتيبات ونشرات ومجلات يهودية عديدة يمولها أثرياء اليهود المتطرفين تتناقل هذه الأفكار بشكل منتظم.

ويقول «شيبلر» : إن «الكثير من الأطفال اليهود هنا يتم حقن أدمغتهم بمقادير كبيرة من الحقد والكراهية فى المدارس وفى المنازل وفى المناقشات العامة التى تجرى أمامهم بين الكبار»، مضيفًا أن هناك جماعات يهودية متطرفة «لا عمل لها سوى الحض على خلق عقلية يهودية لا تقبل التسامح، بل تهدف أساسًا إلى تعليم أبناء هذا الجيل أن أمامها عدواً توراتيا واحداً هو العربى»(١٢) .ويذكر الكاتب اليهودى (الليبرالى) المعروف «روبرت فريدمان»، الذى أعد واحداً من أفضل الكتب باللغة الإنجليزية عن الحركة الاستيطانية الإسرائيلية، «متحمسون لصهيون» الذى نشر له مؤخراً الحوادث التالية على ما يقدمه يهود أمريكا للمستوطنين الإسرائيليين من دعم مالى :

فى شهر أيار «مايو» ١٩٩٠، عقدت مؤسسة يهودية أمريكية تتخذ من نيويورك مقراً لها وتطلق على نفسها اسم «صندوق الخليل» مؤتمرها الثالث فى فندق «شيراتون ميدولاندز» بنيوجرسى القريبة من نيويورك على شرف مؤسس هذا الصندوق فى الولايات المتحدة الحاخام الإسرائيلى والزعيم الاستيطانى المتطرف «موشى ليفنجر» الذى كان أول من بدأ الاستيطان فى الخليل فى عام ١٩٨٢ كمؤسسة «خيرية معفاة من الضرائب» حسب القانون الأمريكى هدفها الأساسى جمع الأموال لشراء العقارات والأراضى فى منطقة الخليل، التى يقول كتيب صادر عن المؤسسة أنها «لا تقل قدسية بالنسبة إلينا كشعب الله المختار عن مدينة القدس نفسها».

ولم يتمكن الحاخام المتطرف من الحضور لأنه كان يقضى آنذاك أحكامًا بالسجن لمدة ستة أشهر فقط لقتله صاحب محل لبيع الأحذية فى الخليل قبل ذلك التاريخ بحوالى عام.

ولكن زوجته الأمريكية الأصل، مريم، التى كانت أول من استوطن قلب الخليل بمستوطنة «بيت هداسا»، حضرت الحفل وألقت فيه خطابًا حماسيًا أسفر عن جمع ثلاثة ملايين دولارا خلال أقل من ثلاث ساعات، وقد تم تنظيم ذلك الحفل فى اليوم ذاته الذى أقدم فيه جندى إسرائيلى، وصفته السلطات الإسرائيلية فوراً وكالعادة بأنه «مهووس»، بإطلاق النار على مجموعة من العمال العرب بالقرب من مستوطنة «ريشون لتزيون» مما أدى إلى قتل سبعة منهم مرة واحدة، ورغم ذلك، لم يتفوه أحد من الحضور، وكلهم من ذوى الوزن

---

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) المصدر نفسه.

الثقيل ماليًا وسياسيًا فى الولايات المتحدة وكندا، بكلمة واحدة عن تلك المذبحة التى كان منفذها منتميًا إلى الحركة الاستيطانية ذاتها التى تجمعوا تلك الليلة لجمع الأموال لحسابها فى قلب الولايات المتحدة.

وممن لم يتمكنوا من حضور حفل العشاء ذلك أيضًا وزير الدفاع الإسرائيلى الأسبق «آريل شارون» الذى خاطب الحضور تلفيزيونيًا، عن طريق الأقمار الصناعية، وقال لهم إنه يقدم «تهانيه الحارة على هذا الإنجاز للحاخام ليفنجر وعقيلته، اللذين اعتبرهما «بطلين حقيقين لأبناء جيلنا»(١٣) .

أما الحضور الآخرون من ذوى الوزن الثقيل ماليًا وسياسيًا فى الولايات المتحدة وكندا، فكان من بينهم «دون هيكيند» وهو عضو فى كونجرس ولاية نيويورك، التى تشمل مناطق تجمع اليهود المتشددين مثل بروكلين وبوروبارك وكوينز، وحضر الحفل أيضًا «سام رابابورت»، وهو صاحب أكبر شركة إنشاءات فى ولاية «بنسلفانيا» القريبة، ورجل الأعمال اليهودى المعروف «مارك بلزبيرج»، أما أغنى من حضروا ذلك الحفل فقد كانوا «الأخوة الثلاثة ريشمان» الذين ينتمون إلى عائلة «ريشمان» اليهودية الكندية الواسعة الثراء، والذين يملكون واحدة من أكبر شركات العقارات على وجه الأرض، والذين قدرت مجلة «فوربز» الأمريكية ثروتهم بسبعة آلاف مليون دولار.

وفى أحد أيام صيف العام ١٩٨٣، عقدت منظمة أخرى «خيرية ومعفاة من الضرائب»، مقرها نيويورك، تدعى «أمريكيون من أجل إسرائيل الآمنة» التى تأسست فى عام ١٩٧٦ مؤتمرًا استغرق يومًا كاملاً فى «مركز شيراتون للمؤتمرات» بنيويورك، حضره مالا يقل عن ٣٠٠ شخصية يهودية بارزة، قدمت المنظمة خلاله للحضور خرائط وكتيبات تبين سهولة شراء العقارات والأراضى فى الضفة الغربية ورخص أسعارها بالمقارنة مع الأراضى القريبة من القدس، كما جاء فى أحد الكتيبات التى وزعت على حضور ذلك المؤتمر. وأكد مسئولو المنظمة للحضور فى ذلك المؤتمر «أن بالإمكان شراء دونم الأرض فى الضفة الغربية بما لا يزيد عن ٣,٨٠٠ دولارًا مقارنة بـ ٨٠,٠٠٠ دولارًا للدونم فى ضواحى القدس»، بعد انتهاء ذلك المؤتمر تمكنت المنظمة من بيع آلاف الدونمات من الأراضى الفلسطينية لليهود الأمريكيين الذين لم يزر الكثيرون منهم إسرائيل أو الأراضى المحتلة أبدًا فى حياتهم !

فى عام ١٩٨٤، عندما تمكنت الشرطة الإسرائيلية من الكشف عن أعضاء الشبكة السرية من المتطرفين اليهود المسئولة عن سلسلة من الهجمات الإرهابية ضد المواطنين الفلسطينيين، والتى كان أبرزها مسلسل التفجيرات ضد رؤساء البلديات المنتخبين : بسام الشكعة وكريم خلف وإبراهيم الطويل فى العام ١٩٨٠، وأسس أنصار هذه الحركات المتطرفة فى نيويورك صندوقًا خاصًا لجمع الأموال من أجل استخدامها لدفع نفقات المحامين الذين انتدبوا للدفاع عن أولئك المتهمين المتطرفين فى المحاكم الإسرائيلية(١٤) .

ويقول «فريدمان» إنه بالإضافة إلى كل هذه النشاطات، عكفت منظمات المستوطنين الإسرائيليين على إقامة منظمات أمريكية تابعة لها هدفها الرئيسى هو تجنيد المستوطنين المحتملين من أوساط اليهود المتطرفين أو حتى غير اليهود لإرسالهم إلى مستوطنات الأراضى المحتلة «بهدف زيادة عدد المستوطنين وجعل المستوطنات

---

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) المصدر نفسه.

حقيقة على الأرض لا يمكن تغييرها». ومن أبرز هذه الحركات حركة «يرتيز يزرائيل» أى «أرض إسرائيل» وهى منظمة أمريكية مئة بالمئة، مع أنها فى الواقع، كما يقول الكاتب اليهودى، «جماعة تابعة لحركة جوش ايمونيم» الاستيطانية فى الأراضى المحتلة هدفها تجنيد المستوطنين من أوساط يهود الشتات لا سيما فى الولايات المتحدة».

ولكن نشاطات الجناح المتطرف فى الجالية اليهودية الأمريكية الداعم لحركة الاستيطان الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة منذ نشأته على يد الحاخام المتطرف «موشى ليفنجر» فى عام ١٩٦٨، لا تنحصر فى جمع الأموال لهذه الحركة واجتذاب المستوطنين المحتملين إلى الأراضى المحتلة. وتقول مصادر أمنية أمريكية ويهودية (ليبرالية) «إن المنظمات اليهودية اليمينية بدأت تقيم معسكرات تدريب فى أنحاء شتى فى الولايات المتحدة لتعليم المتطرفين اليهود الذين يفكرون فى الهجرة إلى إسرائيل فى المستقبل على استخدام كافة أنواع الأسلحة وصناعة العبوات المتفجرة والانضباط والعقيدة العسكرية وما إلى ذلك من أساليب وفنون الحرب. وتضيف هذه المصادر أن بعضًا من اليهود المتطرفين الذين يلتحقون بالحركة الاستيطانية فى الأراضى المحتلة قد يكونون قد تلقوا تدريبات فى السابق أثناء خدمتهم فى القوات المسلحة الأمريكية، واكتسبوا خبرات قتالية أثناء مشاركتهم فى حروب أمريكا، لا سيما حرب فيتنام الطويلة»(١٥).

وعلاوة على ذلك، فلقد أشارت مصادر وكالة المخابرات الأمريكية (C.I.A.) إلى أن «القائمين على هذه المعسكرات يستقدمون جنوداً وضباطًا فى الخدمة أو من قوات الاحتياط التابعة للجيش الإسرائيلى ليدربوا أنصار الحركات اليهودية المتطرفة هنا فى الأراضى الأمريكية قبل انتقالهم إلى إسرائيل»، وأضافت أن هذه المعسكرات منتشرة فى الجزء الأعلى من ولاية نيويورك وولايات بنسلفانيا وفلوريدا وإلينوى وكاليفورنيا وضواحى ولاية ماريلاند القريبة من العاصمة واشنطن»(١٦).

ويضيف «ألبرت مخيبر»، رئيس «اللجنة العربية الأمريكية لمحاربة التمييز العنصرى» إلى ما تقدم معلومة جديدة فيقول:

«إن تقرير «إف بى آى» (F.B.I.) عن الإرهاب عام ١٩٨٥ يشير إلى أن المنظمات الإرهابية الموالية لإسرائيل ومن بينها «رابطة الدفاع اليهودية» قامت بأكثر من ٥٠٪ من الأعمال الإرهابية التى وقعت ذلك العام. وخلال تلك السنة تعرضت مكاتب «اللجنة العربية - الأمريكية لمحاربة التمييز العنصرى» للهجوم ثلاث مرات ففى آب (أغسطس) ١٩٨٥ أصيب شرطيان بجروح خطيرة بينما كانا يحاولان إبطال مفعول قنبلة وضعت فى مكتب اللجنة العربية فى مدينة بوسطن. وفى التاسع والعشرين من تشرين الثانى (نوفمبر) وهو يوم التضامن العالمى مع الشعب الفلسطينى التهمت النيران المقر الوطنى الرئيسى للجنة فى واشنطن.

أما أخطر تلك الهجمات فهو الذى وقع فى الحادى عشر من تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٨٥ حين أدى انفجار قنبلة موقوتة فى مكتب «اللجنة العربية - الأمريكية» فى مدينة سانتا فى كاليفورنيا إلى قتل مدير المكتب «أليكس عوده» ونسف المبنى بكامله.

---

(١٥) المصدر نفسه.
(١٦) المصدر نفسه.

وفى ذلك الوقت أعلن مدير «إف. بى. آى» القاضى «وليام وبستر» أن العرب الأمريكيين «دخلوا منطقة الخطر». كما ثبتت مسئولية العصبة اليهودية عن الانفجار الذى لم يصدر أى حكم بشأنه حتى الآن. فقد هرب الأمريكيون الإسرائيليون الثلاثة المشتبه بهم من الولايات المتحدة إلى إسرائيل التى رفضت سلطاتها حتى الآن السماح للمحققين الأمريكيين باستجوابهم»[١٧] .

وقد ظهرت عشرات التقارير الإخبارية الأمريكية فى الصحف وعلى شاشات التليفزيون تشير إلى تصاعد عدد المنظمات اليمينية الإرهابية فى الولايات المتحدة وإسرائيل ونشاط هذه المنظمات الاستيطانى، من ذلك ما أذاعه برنامج «ستون دقيقة» فى شبكة تليفزيون «سى. بى. إس»، فقد ظهر فيه «مايك جازوفاكى» من حركة «كاهانا حى» لكى يهدد : «سنفعل كل شئ لتقويض اتفاق عرفات - رابين»، كما تحدث عن «احتمال نشوب حرب أهلية فى إسرائيل بسبب قضية الانسحاب من الأراضى المحتلة »[١٨] .

ولم تمض فترة طويلة حتى أعلنت مجموعة إرهابية تطلق على نفسها اسم «فرقة درع ديفيد مكابى» مسئوليتها عن محاولتى تفجير فى كانون الثانى (يناير) ١٩٩٤ ضد جماعتين يهوديتين ليبراليتين هما : «الصندوق الإسرائيلى الجديد» و «الأمريكيون من أجل السلام الآن»، وأصدرت تلك المجموعة الإرهابية بيانًا قالت فيه إن حكومة «رابين» «باعت الشعب اليهودى» وأن «الحرب الأهلية بدأت»، وإثر ذلك سارع رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق «إسحق شامير» وهو نفسه عرّاب الإرهاب فى الشرق الأوسط، إلى تقديم الغطاء السياسى لحركة «كاهانا حى»، بقوله فى معرض تعليقه على هجوم نيويورك : «إن حركة السلام الآن ألحقت بدولة إسرائيل من الأذى والضرر أكثر مما كانت ستلحقه تلك القنبلة فيما لو انفجرت »[١٩] .

لكن هذه الحركات من أمثال «كاخ» و «كاهانا حى» تحظى بتأييد واسع فى إسرائيل والولايات المتحدة لا سيما بين الشباب ويضم هذا الكادر الجديد أناسًا من أمثال العضو السابق فى رابطة الدفاع اليهودية المتطرف «دوق هيكند» الذى أصبح الآن مساعداً لرئيس بلدية نيويورك الجديد «رودى جيليانى»، فقد حقق جهاز «إف. بى. آى» فيما ذكرته الأنباء عن دور «هيكند» فى سلسلة من الهجمات الإرهابية حين كان عضواً فى العصبة، ومن الأمور المسجلة أيضاً ضد «هيكند» أنه امتدح جريمة قتل «أليكس عوده»، وقد أعلن هؤلاء الصهاينة المتعصبون «أن مذبحة الخليل كانت تحقيقًا لوعد الانتقام»[٢٠] .

وقد نشرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية انتقاداً صارخًا وجهه أحد صحفييها إلى اليهود الأمريكيين لمناصرتهم الدولة الصهيونية دون قيد أو شرط :

«أنتم أيها الأمريكيون .. أنتم أيها الليبراليون .. أنتم يا من تحبون الديمقراطية .. إنكم تعملون على تدميرها هنا فى إسرائيل بتجاهلكم الحديث عن أى شئ ضد تصرفات الحكومة الإسرائيلية».

«إنكم تدفعون الإرهابيين إلى وضع القنابل فى سيارات العُمد الفلسطينية المنتخبين وتقومون بتسليح المستوطنين اليهود وقلّة من العرب الحالمين بالسلطة لإثارة القلاقل فى القرى العربية .. إن المستوطـ ـن قتلوا

---

(١٧) ألبيرت مخيبر، العلاقة الأمريكية مع الإرهاب الإسرائيلى، مجلة الوسط، لندن، العدد (١١٠)، ١٩٩٤/٣/٧.
(١٨) المصدر نفسه.
(١٩) المصدر نفسه.
(٢٠) المصدر نفسه.

عدداً من الفلسطينين، ورغم أن البوليس كان يعرف القتلة، إلا أنه لم يتحرك لأن لديه أوامر .. فما هو عذركم عن عدم تناول هذه الانتهاكات ضد القانون الإسرائيلي والأخلاق اليهودية ؟!».

«إن هؤلاء المستوطنين - من اليهود المتدينين الذى يتبعون كل ما يقوله لهم حاخاماتهم وقد ذكر أحد أعضاء حركة (جوش ايمونيم) المتطرفة «أن الواجب الدينى يقتضى تدمير كل السكان من غير اليهود بما فيهم النساء والأطفال» وقال الصحفى بجريدة (هآرتس) : «إن صحيفته لديها ملف كامل بقصص مرعبة رواها الجنود الإسرائيليون لدى عودتهم من دورياتهم فى الضفة الغربية المحتلة»، وقال الصحفى أنه «يمكن نشر هذه القصص بالتفصيل، ولكن الرقيب العسكرى الإسرائيلى يمنعنا» !! (٢١)

وفى تعليق البروفيسور اليهودى الأمريكى الليبرالى «نوام شومسكى» على هذه الواقعة يقول : «ويمكن للإنسان أن يتخيل ما يحويه مثل هذا الملف بالنظر إلى ما تنشره الصحف الإسرائيلية بالفعل .. ويجب أن نذكر أن كل ما ينشر فى الصحف الإسرائيلية بالعبرية يتم حذفه من الصحف الأمريكية حتى لا يعرف هؤلاء الذين يدفعون الضرائب، وبالتالى يساهمون فى المساعدات التى تحصل عليها إسرائيل، شيئًا عن ذلك .. لقد تحققت الأخطار التى تواجهها إسرائيل من مؤيديها الأمريكيين، مما سيؤدى بالتالى إلى مزيد من المعاناة فى المنطقة وبشكل يمثل تهديدًا متكرراً بنشوب حرب أكبر ربما كانت حربًا عالمية»(٢٢) .

وفى محاولة للتعبير عن المخاوف من تصاعد تشاطات الجماعات الصهيونية الإرهابية فى أمريكا، كان وفد من رؤساء الجمعيات العربية - الأمريكية فى الولايات المتحدة قد التقى مع «وارن كريستوفر» وزير الخارجية الأمريكى، بعد مذبحة الخليل، وقدموا إليه خمس توصيات هى :

- على إدارة الرئيس «كلينتون» أن تؤيد فى إطار مجلس الأمن تدابير ملائمة وفعالة لضمان حماية السكان الفلسطينيين المدنيين فى الأراضى المحتلة بما فى ذلك القدس.
- على الولايات المتحدة إقناع إسرائيل، الدولة المحتلة، اتخاذ خطوات سريعة لوضع حد لكل أعمال العنف ضد الفلسطينيين من قبل المستوطنين الإسرائيليين وأن تنزع سلاح هؤلاء، خصوصًا الذين ينتمون منهم إلى حركات عنصرية ذات أيديولوچية عنف وتدعو إلى تهجير الفلسطينيين.
- على الولايات المتحدة أن تدعو إسرائيل إلى وقف كل النشاطات الاستيطانية فى الأراضى المحتلة.
- دعوة الإدارة إلى إعادة تقويم دورها فى عملية السلام والتخلى عن «موقفها الهامد» الذى تميزت به خلال الأشهر القليلة الماضية والعودة إلى دور أكثر نشاطًا كشريك كامل فى العملية السلمية وعلى المسارات الأربعة.
- بناء على واقع أن مرتكب المجزرة فى الخليل «كان مواطنًا أمريكيًا ينتمى إلى منظمة إرهابية لها ارتباطات أمريكية، فإن من المهم أن تعمل مختلف أجهزة الحكومة الأمريكية على تحمل مسئولياتها وأن تفتح تحقيقاً وافيًا يشمل عضوية وتمويل وتدريب أتباع هذه المجموعات فى الولايات المتحدة(٢٣) .

---

(٢١) انظر : نوام شومسكى، المثلث المحتوم : الولايات المتحدة وإسرائيل والفلسطينيون
NU'AM SHUMSKY, The Inevitable Triangle : U.S.A. and Israel and Palestinian.
ترجمة :أحمد عز الدين بركات،دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ص ص : ٢٤ - ٢٥.
(٢٢) المصدر نفسه، ص : ٢٥.

وبالطبع، ففيما عدا بعض كلمات التهدئة والمجاملة، التى لا تقدم أو تؤخر فى الواقع شيئاً، لم تتخذ الإدارات الأمريكية خطوة فعلية واحدة لتنفيذ هذه التوصيات أو غيرها؛ بل على العكس تماماً تمادت فى تبنى المواقف والسياسات الإسرائيلية، «الرسمية» منها و «المتطرفة»، واللتان تلتقيان فى منبعهما الواحد وغاياتهما الواحدة، مع المنابع والغايات الأمريكية، والمصالح الاستراتيجية لها ... وتعترف مجلة «نيوزويك» أن المطلوب إغلاق الباب أمام حركة الأفراد .. والأموال والأفكار أيضًا، من أمريكا إلى إسرائيل، فى محاولة لإيقاف تصدير القاتلين من المتطرفين اليهود إلى الأراضى العربية المحتلة(٢٤) .. فهل هذا ممكنٌ ؟ .. ممكنٌ بالطبع فى حال إذا ما قررت الإدارة الأمريكية إيقاف إسرائيل ومتطرفيها عند حد معين .. لكن الواقع أن هذا الأمر غير مطروح تحقيقه بالمرة. بل إن أمريكا تتمادى فى تجاهل مشاعر ومصالح العرب إلى أقصى درجة ممكنة، ويكفى أن نقرأ تعليق الإدارة الأمريكية على تقرير الأمم المتحدة الذى يدين إسرائيل فى جريمة تعمد قتل المدنيين الذين لجأوا إلى مقر الأمم المتحدة - للاحتماء بها - فى قرية «قانا» بجنوب لبنان لنعرف حقيقة الموقف الأمريكى الفعلى، ففى حين نقل تقرير لمجلة «كول هائير» الإسرائيلية حول المذبحة التى نصبها جنود المدفعية الإسرائيلية، بدم بارد للمدنيين الأبرياء، تعليقات الجنود الإسرائيليين، الذين أبلغوها أنهم «لا يشعرون بأى ندم أو أسف على سقوط هذا العدد الكبير من القتلى المدنيين العزل»، واعتبارهم أن القتلى : «مجرد حفنة من العرب !!»، وفى حين ذكرت المجلة أن قائد المدفعية الإسرائيلية عقد اجتماعاً قبل القصف، مع الجنود، وأبلغهم بالحرف : «هذه حرب، إن هؤلاء النفايات البشرية يطلقون عليكم الصواريخ .. فماذا تفعلون !! .. أنتم تعرفون أن هناك ملايين كثيرة من العرب× !! فماذا أنتم فاعلون !!» .. جاء تعليق الرئيس الأمريكى (بعدما أعربت المؤسسات الرسمية الأمريكية عن غضبها على إدانة التقرير لإسرائيل)، على النحو التالى :

«نلتمس العذر لإسرائيل فى مذبحة «قانا» بجنوب لبنان، وما حدث هو من قبيل «الأخطاء» المتوقعة فى زمن الحرب .. والتى لا يمكن تفاديها مهما تكن دقة الأسلحة !! »(٢٥) .

يقول «نوام شومسكى» فى كتابه السابق الذكر، معلقاً على عشرات من المواقف الأمريكية الشبيهة .. إنه «الانحياز بعينه»(٢٦) ! لكنه انحياز مفهوم، ودوافعه واضحة؛ فتقييم علاقة أمريكا بإسرائيل قد «تحدد طبقاً للدور المتغير الذى لعبته إسرائيل، بمقتضى المفاهيم الأمريكية المتغيرة لمصالحها الاستراتيجية السياسية فى الشرق الأوسط»(٢٧) .

«فمن النفاق بالفعل، كما يذكر «شومسكى»، أن تدين إسرائيل بسبب إقامة المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة، بينما نحن ندفع لها من أجل إقامة هذه المستوطنات والتوسع فيها، ومن الزيف أن تدين إسرائيل لمهاجمتها الأهداف المدنية بالقنابل الفوسفورية والعنقودية بينما نحن نمدها بهذه الأسلحة ونعرف أنها ستستخدمها فى هذه الأغراض فقط، ومن الزيف والنفاق والكذب أن ننتقد قصف إسرائيل للمناطق المدنية المزدحمة بالسكان أو مغامراتها العسكرية الأخرى، فى الوقت الذى لا نمدها فيه فقط بالأسلحة بل نرحب

---

(٢٤) NEWS WEEK, U.S.A., November 27, 1995.

× أستخدم لفظ «عرابوشيم» العبرى، وهو تعبير عنصرى يحمل معانى الاحتقار والازدراء للعرب !.

(٢٥) جريدة الأهرام، القاهرة، ١١/٥/١٩٩٦.

(٢٦) نوام شومسكى، مصدر سبق ذكره، ص : ٨٩.

(٢٧) المصدر نفسه، ص : ٢٧.

أيضاً باختبار هذه الأسلحة الحديثة المتطورة فى ميدان المعركة لكى نتأكد بأكثر الطرق أمناً فى تنفيذ هذه التجارب .. وبصفة عامة، فإنه من النفاق المحض أن ننتقد ممارسة إسرائيل للقوة بينما نرحب بمساهمات إسرائيل نحو تحقيق الهدف الأمريكى بتصفية كل التهديدات التى تواجه السيطرة الأمريكية على منطقة الشرق الأوسط .. وبوضوح فإن علينا أن نتأكد من أنه طالما استمرت الولايات المتحدة فى تقديم الأداة، فإن إسرائيل سوف تستخدمها لتحقيق أغراضها !!»(٢٨) .

٢ - "الصهيونية غير اليهودية" والحرقة النووية :

تُعَرِّف «ريجينا الشريف» ما تسميه «الصهيونية غير اليهودية» باعتبارها «ظاهرة فريدة» تعبر عن «مجموعة من المعتقدات المنتشرة بين غير اليهود والتى تهدف إلى تأييد قيام دولة قومية يهودية فى فلسطين بوصفها حقًا لليهود، طبقاً لمؤتمر بازل» .. وعلى ذلك «فالصهيونيون غير اليهود هم أولئك الذين يؤيدون أهداف الصهيونية ويشجعونها بشكل صريح أو مقنع»(٢٩) .

فـ «الصهيونية غير اليهودية»، أو «المسيحية الصهيونية»، أو أياً كانت المسميات التى تتخذها الجماعات التى تحمل أفكاراً ومعتقدات مشابهة، انطلاقاً من هذا التعريف، تمثل وجه العملة الثانى للأصولية اليهودية العنصرية المتشددة، ويكمل كل فريق منهما عمل الآخر، ويتحدان فى المسعى النهائى لهما : انتزاع فلسطين من العرب وبناء الدولة اليهودية عليها، وعلى أراضٍ عربية أخرى، بحسب التفسيرات التوراتية التى يؤمن بها أتباع هذه الطوائف.

وهناك فرق واضح بين أنصار «الصهيونية غير اليهودية» والمسيحيين الخلص، هو أن الأولين تشكل دوافعهم السياسية الجزء الأساسى من البنية الأيديولوجية لمعتقداتهم، فيما يقتصر الآخرون على دوافع دينية وأفكار إيمانية لا يتعدونها إلى برامج ومشاريع وأهداف وخطط ذات طبيعة وغايات سياسية، يلجأون إليها لتحقيق مطامعهم كما يفعل دعاة الفريق الأول وأنصاره.

وتعود جذور هذه الدعاوى السياسية، التى تسترت بأزياء دينية، حسبما يُجمع الباحثون، إلى عهد حركة الإصلاح الدينى، البروتستانتى، فى القرن السادس عشر، فالأساطير الصهيونية التى بدأ غرسها فى هذه المرحلة المبكرة، كما تذكر «ريجينا الشريف»، «كانت متوافقة مع تلك التى أصبحت تشكل، فى النهاية، المنطق الروحى الباطنى للصهيونية اليهودية السياسية، وهى أساطير الشعب المختار، والميثاق، وعودة المسيح المنتظر .. وقد جعلت أسطورة الشعب المختار اليهود أمة مفضلة على الآخرين، بينما كانت أسطورة الميثاق تركز على الارتباط السرمدى الدائم تبين الشعب المختار والأرض المقدسة كما وعد الله، وبذلك مُنحت فلسطين لليهود كأرض كتبت لهم. أما أسطورة ترقب عودة المسيح فقد كفلت للشعب المختار أن يضع حداً لتشرده، فى

---

(٢٨) المصدر نفسه، ص : ١٥.

(٢٩) ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية : جذورها فى التاريخ الغربى، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٩٦)، ديسمبر ١٩٩٥، ص : ١٠.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ص : ٢٤ - ٢٥.

وقد صاحب حركة الإصلاح البروتستانتى اهتمام واضح بالتنبؤات التوراتية المتعلقة بـ «نهاية الزمان»، وتحقيق «العصر الألفى السعيد» وهى فكرة جوهرها الاعتقاد بعودة «المسيح المنتظر» الذى سيقيم «مملكة الله» فى الأرض، والتى ستعمر لمدة «ألف عام» كاملة، وكان أصحاب هذه العقيدة يؤمنون أيضاً بأن تقرير مصير اليهود جزء عضوى ومكون أساسى من مكونات نظريتهم، فالتفسير الحرفى لنصوص «سفر الرؤيا»، «قادهم إلى الاستنتاج بأن عودة اليهود كأمة «إسرائيل» إلى فلسطين هى بشرى الألف عام السعيدة»(٣١) .

وقد تواكبت هذه الدعاوى مع مصالح الفئات والجهات المعادية لليهود التى وجدت فى تهجيرهم إلى فلسطين حلاً نموذجيًا للمشاكل المتراكمة التى يثيرها وجودهم فى أوروبا، وكذلك مع رغبات كبار الرأسماليين الغربيين الذين رأوا فى هذا التوجه قطعًا للطريق على انضمام البروليتاريا اليهودية إلى صفوف الطبقة العاملة الثورية النشطة، أوائل هذا القرن.

فمن المعروف أن إعلان نتائج مؤتمر بازل، الصهيونى، الذى عقد عام ١٨٩٧ قد تواكب مع تدفق يهود أوروبا الشرقية إلى بريطانيا وأمريكا هرباً من موجات العنف التى تعرضوا لها أواخر القرن الماضى، وقد أزعجت موجات الهجرة اليهودية الضخمة القادة الكبار للإمبراطوريات الاستعمارية، مثل «جوزيف تشمبرلن،(١٨٣٦ - ١٩١٤م)، الذى تخوف من انعكاساتها السلبية على الاقتصاد البريطانى، «ومن مزاحمة الأيدى الرخيصة للمهاجرين اليهود للطبقة العاملة البريطانية»(٣٢) .

ومن جهة أخرى فلقد وجد دعاة الاستعمار الغربى، فى هذه الفكرة مصدراً جديداً لدعم أطماعهم وتطلعاتهم فى منطقتنا، وقد عبر «نابليون بونابرت» الذى وجه نداءه الأول إلى يهود العالم للقتال معه من أجل «إعادة إنشاء مملكة القدس القديمة»(٣٣) ، عام ١٧٩٩، عن هذه الأطماع، وكذلك جسدتها دعوة الرئيس الأمريكى «جون آدامز» إلى «استعادة اليهود لفلسطين وإقامة حكومة يهودية مستقلة»(٣٤) ، ثم تكرست فى الدور الذى لعبه الاستعمار البريطانى، برموزه وقياداته، فى تدعيم هذا التوجه وتيسير سبل تحقيقه دون النظر بأدنى اعتبار للحقوق المشروعة لأصحاب الأرض الأصليين، وهو ما عبر عنه اللورد «بلفور»، صاحب الوعد المشئوم المشهور، بوضوح قاطع : «ليس فى نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين .. إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية، وسواء كانت الصهيونية على حق أم على باطل، جيدة أم سيئة، فإنها متأصلة الجذور فى التقاليد القديمة العهد، والحاجات الحالية، وآمال المستقبل، وهى ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمائة ألف عربى الذين يسكنون هذه الأرض القديمة»(٣٥) ، وكذلك فالدعم المستمر الصريح من الولايات المتحدة لإسرائيل الآن، على كل المستويات، وبكل السبل يعبر بوضوح قاطع عن هذه الأطماع المُدركة من قبل الطرفين : الغرب الإمبريالى بزعامة الولايات المتحدة من ناحية، والدولة الصهيونية وقادتها، من ناحية أخرى مثلما صرح، بحسم، الرئيس الأمريكى «بيل كلينتون» بقوله :

---

(٣١) المصدر نفسه، ص ص : ٣٨.
(٣٢) محمد السمّاك، الصهيونية المسيحية، ط٣، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣، ص : ٤٨.
(٣٣) المصدر نفسه، ص : ٢٢.
(٣٤) المصدر نفسه.
(٣٥) ريچينا الشريف، مصدر سبق ذكره، ص : ١٥٩ - ١٦٠.

«إن الرباط الذى يشد أمريكا إلى إسرائيل هو رباط خاص : والعلاقة بين الدولتين هى علاقة مميزة وفريدة بين الأمم» (٣٦) .

والخطير فى أمر الخطوات الأمريكية المتصاعدة لدعم العدو الصهيونى بلا حدود ولا حساب، هو أن تلك التوجهات، تعتمد - إضافة إلى الدوافع المصلحية والاستراتيجية الأمريكية والغربية المفروغ منها، إلى بُعد «مسيحى - صهيونى» عميق الغور فى المكونات الأيديولوجية للقادة والرؤساء الأمريكيين المؤثرين، الذين ينتمون إلى اتجاهات كنسية «مسيحية - صهيونية» تؤمن كما يشير الدكتور «رفيق حبيب» فى كتابه «المسيحية والحرب : قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الإسلامى» بعدد من الأهداف، وضعتها نصب أعينها، منها :

«- حتمية تفوق أمريكا، فى السلاح، حتى تصبح أقوى قوى العالم.

- حتمية عودة اليهود، وإقامة دولة إسرائيل فى فلسطين العربية.

- حتمية عودة يهود الشتات، جميعًا، إلى دولة إسرائيل، وعلى رأسهم بالطبع، يهود (الاتحاد السوفيتى).

- حتمية هدم المسجد الأقصى، وإقامة هيكل سليمان (الثالث)، فى نفس مكانه.

- ضرورة تصاعد أحداث التاريخ، حتى تقوم قوى الخير، وعلى رأسها، أمريكا بمحاربة كل قوى الشر، فى معركة «هرمجدون» فى فلسطين، حتى يأتى المسيح، ليحكم العالم لمدة ألف عام سعيد» (٣٧) .

وقد أكد هذه التوجهات، قبل ذلك، الرئيس الأمريكى الأسبق «جيمى كارتر»، الذى ينتمى لجناح من الكاثوليكية المتشددة، المتعاطفة مع الصهيونية، فى خطاب له أمام الكنيست الإسرائيلى (القدس - مارس ١٩٧٩م) :

«لقد آمن، وأظهر، سبعة من رؤساء الجمهورية أن علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بإسرائيل هى أكثر من مجرد علاقة خاصة. لقد كانت ولاتزال علاقة فريدة لا يمكن تقويضها، لأنها متأصلة فى وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكى ذاته ..إننا نتقاسم معا ميراث التوراة » (٣٨) .

إنها، كما يصفها حقاً «د. رفيق حبيب»، «ليست إلا إمبريالية دينية، وإنها شكل جديد من الأشكال العصرية للرأسمالية العالمية، وعصر الهيمنة الأمريكية، ولم لا، والأصولية الأمريكية تعتبر أن أمريكا هى رائد إمبراطورية الخير، والسياسة الأمريكية تقول إنها قائدة العالم الحر، ولم لا، والأصولية الأمريكية، ترى الشعب الأمريكى ذا التراث الدينى، على أنه شعب الله المختار، بعد الشعب اليهودى، الذى فى الصدارة بين شعوب الأرض، باعتباره الشعب المختار الأول (!) » (٣٩) .

---

(٣٦) أنظر : أحمد بهاء الدين شعبان، الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية عام ٢٠٠٠، القاهرة، دار سينا للنشر، ١٩٩٣، ص : ٤٢٩.

(٣٧) د. رفيق حبيب، المسيحية والحرب، قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الأوسط، القاهرة، مركز يافا للدراسات والأبحاث، ١٩٩١، ص : ٣.

(٣٨) أنظر لواء أ.ح. د. فوزى محمد طايل، النظام السياسى فى إسرائيل، ط٢، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢، ص : ٢٩.

(٣٩) المصدر السابق، ص ص : ٥ - ٦.

وتبدو خطورة هذه العقائد المغلوطة على أمننا ومستقبلنا واضحة غاية الوضوح، بلا التباس أو تشويش، إذا ما عرفنا أن هذه التيارات الأصولية، المسيحية - الصهيونية (والمتمركزة داخل الحركة الإنجيلية العالمية)، قد استطاعت أن تدفع بعدد من المنتمين إلى أفكارها إلى سدة الحكم في أمريكا، ومنهم على سبيل المثال الرؤساء: «چيمى كارتر» و «رونالد ريجان»، و «چورج بوش»، وعدد كبير آخر منهم إلى المواقع الأولى فى الإدارات الأمريكية المتعاقبة.

ويزيد من إدراكنا لخطورة وأبعاد هذه الاتجاهات «المسيحية - الصهيونية»، التى تعمقت داخل أركان حركة «الإنجيليين الأصوليين»، إذا ما طالعنا الإحصاءات التى توضح الأعداد الضخمة من الأشخاص المنتمين إلى هذه التيارات، فى الولايات المتحدة، وعلى امتداد العالم كله، كما يذكرها «د. رفيق حبيب» فى كتابه السابق الإشارة إليه «المسيحية والحرب»، نقلاً عن «موسوعة العالم المسيحى»، (World Christian Encyclopedia)؛ وعن موسوعة «عملية العالم»، (Operation World):

١- الإنجيليون (الأصوليون) فى العالم، بمختلف تياراتهم، ١٠٠، ١٥٧، ٢٤٠ نسمة، وذلك فى سنة ١٩٨٥، وفى سنة ٢٠٠٠، يتوقع أن يصل عددهم إلى ٣١٠، ٥٥٤، ٣٤٣.

٢- الإنجيليون (الأصوليون) فى أمريكا، بمختلف تياراتهم، ٠٠٠، ٧٢٨، ٧٤ فى سنة ١٩٨٥، ومتوقع أن يصل عددهم فى سنة ٢٠٠٠ إلى ٠٠٠، ٥١٥، ٩٣، (المصدر الأول).

٣- تعداد الإنجيليين (الأصوليين) في العالم، فى عام ١٩٨٥، كان ٠٠٠، ٤٥١، ٢٤٥ نسمة.

٤- تعداد الإنجيليين (الأصوليين) فى أمريكا، فى عام ١٩٨٥، كان ٢٠٠، ٦٨٥، ٦ نسمة، وتقدر الموسوعة عدد المنتمين إلي الجماعات الأصولية (المجموعات الإنجيلية الأكثر تشدداً) بـ ١٠ ملايين نسمة، (المصدر الثانى)[٤٠].

وقد نشرت مجلة «New Republic»، «نيو ريبيلك»، بحثاً عن التحالف غير المقدس بين فئات متعصبة من المسيحيين الصهيونيين واليهود، لتقويض الحرم الشريف بالقدس، أعده «مايكل لادن» الأستاذ بمعهد الدراسات الاستراتيچية» فى جامعة «چورج تاون» بواشنطن، و «باربره لايدن»، نائبة رئيس تحرير المجلة العلمية «نظرة على الأثريات فى الأراضى المقدسة» وأشار إليه المحامى الفلسطينى «درويش ناصر» فى كتابه «الفاشية الإسرائيلية»، وقد ذكر الباحثان فى دراستهما أن فئات مسيحية أمريكية تسعى إلى الإسراع «بعودة المسيح إلى الحياة الدنيا» تدعم الأوساط اليهودية المختلفة التى تعمل جاهدة لطرد المسلمين من الحرم القدسى الشريف، ويشير الباحثان إلى أن خلوة «تاج الكهنة» فى القدس القديمة التى تعمل على إعداد كهنة للهيكل الثالث، تمول من قبل طائفة إنجيليكانية، وهى تدعم الخلوة المذكورة أيضًا فى استملاك أبنية فى الحى الإسلامى على طول الطريق المؤدى إلى الحرم القدسى».

ولا تقتصر نشاطات المجموعات الأمريكية الدينية المتعصبة على مساعدة الفئات اليهودية الدينية المتعصبة وحسب، بل تشجع أيضًا أوساطًا قومية متطرفة فى إسرائيل تؤمن بالهدف ذاته : السيادة اليهودية فى الحرم.

ويشير البحث إلى أنه فى العاشر من شهر مارس ١٩٨٢ ألقى القبض على أربعين يهوديًا بتهمة محاولة

---

(٤٠) المصدر السابق، ص : ١٩.

التسلل إلى الحرم القدسى، أربعة منهم حاولوا التسلل مدججين بالسلاح والمواد المتفجرة عبر نفق تحت الأرض إلى مسجد قبة الصخرة، بلغت مصاريف محاكمتهم خمسين ألف دولار مولت من قبل أثرياء طائفة إنجيليكانية فى تكساس. وفى السابع والعشرين من يناير ١٩٨٤ ألقى القبض فى القدس على عصابة أخرى جمعت فى مخبأ قريب من الحرم قنابل ومواد متفجرة. وفى وقت لاحق ألقى القبض على عصابة جمعت فى مخبأ واحد أكثر من مائة لغم من نوع «كليمور» وصورايخ مضادة للدبابات وكمية كبيرة من المواد المتفجرة، ويكشف البحث المذكور أن تمويل العصابات وصل من مصادر مشابهة فى الولايات المتحدة الأمريكية، وأن أكثر الطوائف حماسًا وسخاء، هى الطائفة الإنجيليكانية الأمريكية التى يبلغ تعدادها أكثر من أربعين مليونا والتى كثيراً ما التقى رؤساؤها مع شخصيات بارزة فى إسرائيل وحثوها على إقامة «الهيكل الثالث» لأنه حسب معتقداتهم : عندما يقام الهيكل سيظهر المسيح ثانية.

المؤسسة البارزة والعاملة لهذه الطائفة فى هذا المجال هى «صندوق هيكل القدس» ومركزه فى لوس أنجلوس، ويرأس إدارته «جرى روز نهاور»، متعصب وثرى كبير، وغيره من أثرياء تكساس وقساوسة كنيسته، الذين يرافقون الحجاج المتزمتين فى زيارتهم للأراضى المقدسة بقصد الترويج لفكرة المسيح والهيكل.

أما ممثل الطائفة فى إسرائيل فهو «ستانلى جولدفوت» من عناصر عصابة «ليحى» سابقًا، يؤمن بأن الحرم ملك لليهود وحدهم وبضرورة حرمان أبناء الديانات الأخرى من موطئ قدم فيه.

أما رئيس الصندوق «شارلز مونرو» فقد التقى مع كبار رجال الدين اليهود فى البلاد، وضمنهم مفتى الطوائف الشرقية، وحسب قوله أنهم باركوا مساعيه إلى إقامة كنيس يهودى فى الحرم.

يقول الباحثان «لايدن» أنهما طرحا سؤالاً على أحد زعماء الأوساط اليهودية التى تسعى إلى السيطرة على الحرم القدسى، فيما إذا كنت لا ترى تناقضًا بين الهدف النهائى للمسيحيين الذين يمثلون هذه الأوساط وبين الأهداف الدينية لليهود. فأجاب : «هم يعتقدون بأنه عند إقامة الهيكل الثالث سيظهر المسيح ثانية. ونحن نؤمن أنه عند إقامة الهيكل سيظهر المسيح لأول مرة. سنبنى الهيكل وننتظر من الذى سيأتى» !

وعلى كل حال - يقول «مايكل وباربرا لايدن» - إن ملايين المسيحيين المتعصبين فى أمريكا «تنتظر الحدث المسيحى» فى الحرم القدسى، وهى على استعداد لتقديم كل عون ومساعدة مهما كلف الأمر» (٤١).

... وهكذا فعشرات الملايين من الأتباع المتعصبين لعقيدة متطرفة ترى فى أرضنا محلاً لتحقيق نبوءات توراتية صارمة يؤمنون بها، يملكون إمكانيات مادية هائلة ويتمترسون فى أعلى مواقع التأثير، فى أكثر دول العالم قوة وجبروتًا : الولايات المتحدة، ودول الغرب، يشكلون دعماً ضخماً لا يستهان به للدولة الإسرائيلية .. هو أمر بالغ الخطورة لا يمكن التهوين من شأنه أو التقليل من آثاره.

وهذه الآثار لا تمتد فقط لكى تشمل عالمنا العربى، أو أرضنا المحتلة فى فلسطين ولبنان وسوريا .. بل تغطى الكرة الأرضية بكاملها، فالعقيدة (المسيحية - الصهيونية)، التى تؤمن بالعودة الظافرة للمسيح، وبقيامة المملكة الألفية تشترط وقوع معركة كونية شاملة بين قوى الخير والشر، وبين الأطهار والأشرار، ومن هنا يمكن أن نفهم ادعاءات «رونالد ريجان» عن التصدى لإمبراطورية الشر، «السوفيتية» السابقة، ويمكن أن ندرك

---

(٤١) درويش ناصر (المحامى)، مصدر سبق ذكره، ص ص : ٩٢ - ٩٤.

دواعى تصعيد حمى التسلح و «حرب النجوم» التى تدفع بالبشرية إلى حافة الكارثة، ومن هنا يمكن أن نفهم كذلك تحذير «د. نيلين كالديكوت» «Dr. Nelen Caldicatt»: الرئيس الفخرى لمؤسسة «الأطباء من أجل المسئولية الاجتماعية» :

«إن عقائد اليمينيين المسيحيين الجدد أخذت تبنى لها أرضية فى مجتمعنا بشكل واضح. لقد أظهر التصويت لقياس الآراء، أن أربعة من كل عشرة أمريكيين يعتقدون أنه عندما يتنبأ الكتاب المقدس بأن الأرض سوف تدمر بالنار، فإن ذلك معناه إخبارنا بأن الحروب النووية لا مفر منها .. والعواقب السياسية لهذا الاتجاه تصدم الفكر»[٤٢] .

وليس هذا الذى يصدم الفكر وحده، إنما الأهم والأخطر أن هذه التوجهات ترى، على حد تعبير «ميرل ثورب»، (Merle Thorbe)، «رئيس هيئة السلام للشرق الأوسط»، أن هناك مبرراً كاملاً يمكن التماسه، لدى أولئك الأشخاص، يدفع إلى اعتبار «الشرق الأوسط المكان الذى سيتم فيه الصدام العالمى .. والحرب النووية»[٤٣] القادمة!

---

(٤٢) جريس هايسل، النبوءة والسياسة : الإنجيليون العسكريون فى الطريق إلى الحرب النووية، ترجمة : محمد السمّاك، طرابلس - ليبيا، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩٠.

(٤٣) المصدر نفسه.

« إن الوقت خطير الآن ..

وأنا أظن أنى أستطيع أن أجعل الحكومة الروسية تقوم، بواسطتى، بدور فى إخماد المشاعر الثائرة. ولذلك أطلب من السلطات الرسمية أن ترتب لى مقابلة مع القيصر ».

من رسالة « هرتزل » إلى «بليغيه»

وزير الداخلية الروسى

١٩٠٣/٥/١٩

□ □ □ □

« لحماية أنفسنا من اليهود، لا أجد أمامنا غير وسيلة واحدة هى : نستولى على (أرض الميعاد) ونرحلهم إليها..».

« فختـه »

أبو القومية الألمانية

السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر.

كان وطننا العربى يحيا فى سكون ما قبل العاصفة، ركود مميت يشى بقرب الانفجار .. والاستعمار الأوروبى اقتسم أركانه، ووطد دعائمه .. فى مصر انهزم العرابيون، بسبب «الولس»، أو الخيانة، كما يقول الفلاحون، بعد أن هتف زعيمهم «أحمد عرابى» بصحيفته المدوية : «لقد ولدتنا أمهاتنا أحراراً ونحن لسنا عبيد إحساناتكم» ! أما فى باقى أجزاء الوطن الكبير فالحال لم يكن أفضل كثيراً : الجزائر انبسطت عليها العباءة الفرنسية، وليبيا العباءة الإيطالية والشام العباءة الفرنسية .. وهكذا دواليك.

وهناك على بسطة الركن الآخر من العالم، كانت تمور بمقدمات مؤامرة محبوكة، تدبر وقائعها على امتداد العالم أجمع.. من أوربا إلى أمريكا، ومن الشرق إلى الغرب، ومن الإمبراطوريات التى لا تغرب عنها الشمس إلى الإمبراطورية التى تحتضر، وتلفظ أنفاسها : إمبراطورية «بنى عثمان» !

وفى عمق هذا الخضم يبرز يهودى شاب من بوادست، العاصمة الثانية للامبراطوية النمساوية، وُلد فى مايو ١٨٦٠، وحصل على شهادة فى القانون من جامعة فيينا، و «نحوى» الأدب والمسرح، ثم عمل مراسلاً صحفياً فى باريس أعوام ١٨٩١ - ١٨٩٥ لجريدة «نويه فريبيه بريس Neue Freie Presse».

وحتى هذه اللحظات لم يكن «تيودور هرتزل» كثير الاعتناء بال «قضية اليهودية» بل كان دعاة الاندماج الذين آمنوا بأن الحل الجذرى للمشكلة اليهودية التى تجسد اضطهاد العالم لها وتعصبه فى مواجهتهم .. إنما يكون بتفاعل اليهود فى محيطهم .. وذوبانهم فيه، وتخليهم عن انعزاليتهم التى تخيف الآخرين وتدفعهم إلى الريبة فى أمرهم.

كانت المجموعات اليهودية - فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر - قد تغولت وسيطرت على مواقع شديدة الحساسية فى مجالات الاقتصاد والفكر والعلوم الأمر الذى استفز مخاوف عديدة فى أوروبا، ودفع إلى استنفار تراث الكراهية الكامن مجدداً فى مواجهة اليهود، الذى عُرف باسم «اللاسامية»، وانتشرت المفاهيم العنصرية وأصبح لها أنصار مرموقون، بعضهم صبّ جام غضبه على اليهود واتهمهم بكل نقيصة، وأرجع إليهم السبب فى كل ضائقة ألمت به أو بوطنه، وآخرون طالبوا بحجزهم - كالموبوئين - فى أحياء خاصة، أو معاز (جيتوهات)، يُمنعون فيها من الاختلاط بباقى المواطنين، وتصادر عبرها حرياتهم وممتلكاتهم جزاء وفاقاً لما ارتكبوه، ونفر ثالث أسال دمهم تكفيراً عما ارتكبوه من جرائم وآثام !

فى هذا المناخ الملبد بالغيوم، المنذر بالتفجرات، سافر «تيودور هرتزل» إلى باريس، وقيض له أن يشهد واحدة من أهم أحداث العصر .. اتهام ضابط المدفعية، اليهودى، «ألفرد داريفوس» بالخيانة العظمى لـ «وطنه» فرنسا، وأصبحت «قضية داريفوس» على كل لسان .. وحينما صدر الحكم بتجريده من رتبته العسكرية وسجنه سجناً مؤبداً فى أوائل عام ١٨٩٤، واجه «داريفوس» مشاعر الجماهير الغاضبة المستاءة، التى حاصرته بصيحاتها الهادرة : «الموت للخائن .. الموت لليهود» !

وكانت هذه اللحظة - فى حياة هرتزل - لحظة فاصلة.

ساعتها انقلب «تيودور هرتزل» من الدعوة للاندماج إلى الدعوة للانفصال .. وآمن بأن «المشكلة اليهودية» ليست مجرد مسألة إنسانية تحل باندماج اليهود فى مجتمعاتهم .. والزمن كفيل بعلاج زواياها الحادة .. وإنما هى مسألة «قومية» ! لا يمكن حلها إلا فى إطار التمايز اليهودى الذى يستوجب التفكير فى اتجاه آخر لحل إشكالاته، بعد أن اعتبر أن «قضية داريفوس» : «تعبير عن رغبة الأغلبية فى فرنسا لإدانة يهودى، وكل اليهود من خلال هذا اليهودى».

وهكذا بدأت مرحلة جديدة من مراحل حياة هرتزل .. طاف فيها بأرجاء المعمورة يدعو إلى فكرة الوطن القومى لليهود، قابل الملوك والرؤساء والوزراء ورجال المال والمفكرين، وألقى الخطب ودبج المقالات ونظم اللقاءات والمؤتمرات يدعو إلى فكرته .. بعد أن صاغها فى كراس صغير لم يلفت فى البداية انتباه أحد، ثم كان له بعد ذلك فى الواقع اليهودى المأزوم دوى الانفجار الهائل قبل أن يقيض لهذه الصفحات المحدودة أن تغير مصير بلادنا وأن تدفع أوطاننا إلى دوامة لا نهاية لها.

والحق أن هرتزل لم يكن مبتدع فكرة «الدولة اليهودية»، ولا صاحب براءة اختراعها .. فقد سبقه إليها «موشى هس» - الاشتراكى المرتد - الذى طرح جانباً من هذه الدعوة فى كتابه الشهير «روماد القديس»، (عام ١٨٨٦)، و «ليون بنسكر» صاحب كتاب «التحرر الذاتى»، (١٨٨٢) الذى ناقش فكرة الوطن القومى لليهود عبر صفحاته .. بل إن كلمة «الصهيونية» ذاتها، التى أصبحت علماً على الحركة السياسية المترتبة على كتاب «الدولة اليهودية» .. كانت أيضاً من بنات أفكار مفكر آخر اسمه «ناثان بيرنبوم» .. لكن القيمة الأساسية، التى جعلت «هرتزل» يتبوأ موقعه الريادى، هى كونه أول من جمّع هذه الأفكار المتناثرة، وجدل منها حبلاً واحداً .. قفزت به الحركة اليهودية من الضياع والتمزق إلى الوجود والتحقق .. فى قرن واحد لاغير، وفى علاقة جدلية مع تطور أفكاره ونمو شخصيته، بدأ «يبرز» دور «هرتزل» كزعيم سياسى دبلوماسى وخطيب، ومنظم جم النشاط، استطاع أن يجمّع من حوله شتات الحركة السياسية الصهيونية، ومزقها، الموزعة على أركان المعمورة .. ومن وحى أفكاره عقد المؤتمر الصهيونى الأول بمدينة بازل (سويسرا) فى أغسطس ١٨٩٧، بحضور ٢٠٨ عضوا يمثلون يهود ١٦ دولة .. لبحث مستقبل الحركة الصهيونية وآفاق نشاطها، وبعد انتهاء المؤتمر أعلن «هرتزل» يحسم : «فى بازل أسست دولة يهود» .فقد كان الإعلان الأعلى الذى برز فى بازل هو الهيكل الذى كسته الصهيونية السياسية، بمساعدة الغرب، لحمه ودمه . .فأصبحت دولة «إسرائيل».

«الدولة اليهودية» هى مانيفستو الحركة الصهيونية التى استهدفت بناء وطن ليهود الشتات .. إنه الخطة السياسية لليهود فى إطار سعى حركتهم المنظمة إلى حل مشكلتهم .. ولو كان ذلك على حساب الآخرين، لا يهم .. إنما المهم حقاً هو أن تكون لليهود دولتهم القومية وليكن ما يكون بعد ذلك.

ينقسم الكتاب إلى سبعة أجزاء، الأول مقدمة للمؤلف والثانى تمهيد كمدخل للكتاب وهما موجهان للقارئ اليهودى لإقناعه بأن فكرة «الدولة اليهودية» المأمولة ليست «يوتوبيا» وإنما فكرة قابلة للتحقق بمقدار قدرة الإرادة اليهودية على تجميع ذاتها، ودفق الدماء فى شرايينها الجامدة لأن «كل شئ يعتمد على قوتنا،. ولكن ما قوتنا الدافعة ؟ إنها بؤس اليهود .. فمن يجرؤ على إنكار وجوده ؟» .. «إن اليهود الذين يريدون الدولة ستكون لهم، وسوف تستحقونها» .. وليس هذا فحسب؛ بل لأن «الدولة الصهيونية ضرورية للعالم .. لذلك فسوف نقوم» لكن قيام هذه الدولة، يعتمد أولاً وأخيراً (وقد أثبتت الأحداث التالية صدق هذه النبوءة) على توفر عنصر القوة .. «إن القوة - يقول هرتزل - تسبق الحق. هذه هى الحقيقة الواقعة فى عالمنا المعاصر، وسوف تبقى كذلك إلى أمد بعيد».

ويشن «هرتزل» فى صفحاته التمهيدية حملة ضارية على دعاة الاندماج (وقد كان فى الماضى واحداً منهم).

إن من كان قابلاً للفناء، أو فى طريقه إليه، أو يجب أن يفنى - يقول هرتزل - فلندعه يفنى .. «أما القومية المتميزة لليهود .. فلا يمكن أن تفنى ولن تفنى، ولاينبغى لها أن تفنى .. إنه لا يمكن تدميرها، لأن الأعداء الخارجيين يدعمونها .. قد تبلى فروع كثيرة من اليهودية، وتسقط .. أما الجذوع فإنها تبقى ثابتة».

إن حلم الدولة «الملكى»، كما يصفه «هرتزل»، «هو وحده الذى يستطيع أن ينقل أمة من بيئة، لكى تستوطن فى بيئة أخرى»، أما أهل هذه البيئة الأخرى، فليس لهم أن يبتئسوا؛ لأن «رحيل اليهود الآن يؤدى إلى اضطراب اقتصادى أو أزمات أو اضطهادات ..

وستتم عملية ترحيل اليهود إلى دولتهم الجديدة من خلال «حركة بالغة التنظيم» وبالتعاون مع «الحكومات المعنية» .. إنها عملية اقتصادية مدروسة يضمن قوة تنفيذها إنشاء هيئة عامة سوف تسمى «جمعية اليهود The Society of Jews»، وإلى جانب هذه الجمعية ستوجد شركة يهودية وهى مؤسسة إنتاجية اقتصادية، سيضمن استقرارها توفير رأس المال الكافى لها.

إن كل المحاولات السابقة لحل المسألة اليهودية كانت بلا جدوى، وإن صحب أكثرها حسن القصد .. لماذا ؟! يجيب «هرتزل» .. لأنها اعتمدت - جميعها - على إذابة اليهود فى الأمم التى يوجدون بين ظهرانيها .. فى حين «أن الأمم التى يعيش فى وسطها اليهود جميعها مناهضة للسامية بشكل علنى أو مستتر» .. وكلها تهتف فى نفس واحد «أيها اليهود اخرجوا» .. وإذا توجب على اليهود الرحيل .. «فإلى أين ؟!» .. إلى أين و «العداء للسامية بين الشعوب يتعاظم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، وهى حرية بأن تتعاظم حقاً، لأن أسباب نموها مستمرة فى الوجود ولا يمكن إزالتها».

.. لقد أصبح من المستحيل أن يهرب اليهود وكما يقول «هرتزل» من هذه «الدائرة الأبدية» .. فلن يسمحوا لنا بالاندماج .. «إنهم لن يدعونا فى سلام» .. «إن الكراهية التى تحيط بنا هى التى تجعلنا غرباء مرة أخرى» .. وليس أمامنا من سبيل لتجاوز جدار الكراهية ومحيط الغربة إلا بتكوين «الدولة» .. و «إننا نملك كل المواد الإنسانية والمادية اللازمة لهذا الغرض».

خطة تأسيس الدولة :

إن خطة «هرتزل» - كما يذكر فى صفحات كتابه - فى جوهرها، «بسيطة كل البساطة .. :«فلنُمنح السيادة على جزء من الأرض يكفى للاحتياجات الحقيقية لأمة .. وسوف نتكفل نحن بالباقى»!

وليس هذا فحسب .. بل إن «الحكومات فى جميع البلاد، التى انتُقدت بسبب العداء للسامية، سوف تكون حريصة على مساعدتنا فى الحصول على السيادة التى نريدها.

وترتكز خطة «هرتزل» - كما بينها فى «الدولة اليهودية» - على ركيزتين :

١- جميعة اليهود، التى تقوم بالأعمال التمهيدية فى مجال العلم والسياسية.

٢- الشركة اليهودية، التى تقوم بتنفيذ الشق التطبيقى - العلمى - لإنشاء هيكل الدولة .. كما أنها سوف «تنظر فى تحقيق المصالح المالية لليهود الراحلين، وسوف تنظم الاقتصاد والتجارة فى الدولة الجديدة».

وخطة ترحيل اليهود اللازمين لوضع اليد على الأرض، وبناء أركان الدولة، ستستغرق عدة عقود من الزمن .. سوف يرحل أولاً الأكثر فقراً لزراعة الأرض، وفي إطار خطة سبق تصميمها : سوف ينشئون الطرق والجسور، والسكك الحديدية والتلغراف والأنهار، ويستثمرون الأنهار ويبنون المساكن ويمارسون التجارة، وسيرفع عملهم من قيمة الأرض، الأمر الذى سيغرى يهوداً آخرين بالرحيل، وسيتدفق المتعلمون على الأرض الموعودة .. ثم .. «سوف تعترف الحكومات بالجمعية باعتبارها سلطة لإقامة الدولة».

إن مهمة الشركة - بوضوح، وحسب تعبير «هرتزل» - «مهمة استعمارية خالصة»، وسر نجاحها (وهو أسلوب ظل معمولاً به على الدوام من الدولة الصهيونية)، هو أن تضع نفسها «تحت حماية دولة عظمى، انجلترا آنذاك ثم أمريكا بعد ذلك، وسيكون مركزها لندن (الذى منح رئيس وزرائها ووزير خارجيتها «بلفور» لليهود - بعد عقدين - وعده المشهور).

أما مهمة الجمعية اليهودية فهى الهيئة السياسية العامة التى يقترحها «هرتزل» لكى تقوم على سياسة شئون اليهود، ومن أجل استكمال تكوين دولتهم المقدمة، حيث سيكون لديها مهمات علمية وسياسية «فلن نرحل اليوم من مصر بالطريقة البدائية التى رحلنا بها فى العصور القديمة .. إننا سوف نحصل مسبقاً على إحصاءات دقيقة لعددنا وقوتنا» .. وستتكفل الجمعية بتجميع آراء اليهود المختلفة وستقوم بترتيب بحوث الخبراء فى الوطن الجديد، وتدرس ثرواته الطبيعية وتقوم بالتخطيط الموحد للهجرة والاستيطان والأعمال المبدئية فى التشريع والإدارة .. إلخ، وستسعى الجمعية - مع العالم الخارجى - إلى الحصول على اعترافها باعتبار الجمعية سلطة لإنشاء الدولة.

أى أن الجمعية ستكون قيادة الدولة السياسية والتشريعية فى حين تتولى الشركة مهامها التنفيذية، لاستكمال مهمة الدولة الرئيسية : احتلال الأرض .. «وحالما تضمن الأرض، فسترسل سفينة إلى هناك على ظهرها ممثلو كل من الجمعية والشركة والمجموعة المحلية، الذين سيدخلون فى ملكيتها على الفور : وهؤلاء الناس أمامهم ثلاث مهام لإنجازها :

١- البحث العلمى الدقيق لجمع الثروات للوطن.

٢- تنظيم إدارة مركزية صارمة.

٣- توزيع الأرض.

لكن أين هى الأرض التى ستتولى الجمعية مهمة تحويلها إلى الدولة المنشودة ؟! : «هناك منطقتان موضوعتان فى الاعتبار»، يقول «هرتزل» :

الأولى : فلسطين.　　　　والثانية : الأرجنتين.

وبرغم أن الأرجنتين التى تعد من أكثر بلاد العالم خصوبة، تمتد على مساحات شاسعة وفيها عدد قليل من السكان ومناخها معتدل، إلا أن لعاب الحركة الصهيونية كان يسيل على فلسطين . .إنها - يقول «هرتزل» بعاطفية مفرطة تتناقض وأسلوب الكتاب الجامد - «وطننا التاريخى الذى لا تمحّى ذكراه .. إن اسم فلسطين بحد ذاته سيجتذب شعبنا بقوة ذات فعالية رائعة .. ومن هناك سوف نشكل جزءاً من استحكامات أوروبا فى مواجهة آسيا كموقع أمامى للحضارة فى مواجهة البربرية : وعلينا - كدولة طبيعة - أن نبقى على اتصال بكل أوروبا التى سيكون من واجبها أن تضمن وجودنا».

لكن فلسطين - يعرف «هرتزل» وحركة صيد - أرض يملكها شعب وليست صحراء جرداء تنتظر المد اليهودى - بل إن «آثر زمن جنسبرج» الذى كان يوقع باسم «آحاد ها عام Ahad Ha-Am»، أى واحد من الشعب، كتب بعد عام واحد من مؤتمر «بازل» يحذرهم من مغبة الاعتقاد بأن «جميع العرب رجال بدائيون يعيشون فى الصحراء، وأنهم لا يرون ولا يفهمون ما يجرى حولهم .. وهذه غلطة كبيرة، لأن العرب، وخاصة سكان المدن منهم يرون ويفهمون ما نفعله وما نبتغيه فى فلسطين .. وإذا ما تطور الأمر فى فلسطين إلى درجة زحفنا على المجال الحيوى للمواطنين الأصليين فإنهم لن يتخلوا عن مكانهم بسهولة» .. «إن الدولة اليهودية الجديدة، تنشر الموت وتجلب العار على شعبنا».

لم يستمع «هرتزل» لكلمات «آحاد ها عام»، وإنما خاطب قومه متجاهلاً تحذيره .. «هناك أمر واحد يحتاج إلى شرح - يقول هرتزل - «وأعنى به كيف يتم احتلال الأرض بالنسبة للمجموعات المحلية؟».

«فى أمريكا كانت طريقة احتلال الأرض الجديدة المفتوحة - على نحو ما يشرح «هرتزل» - «طريقة بدائية .. حيث يتجمع المستوطنون على الحدود، وفى وقت محدد سيندفعون جميعاً فى وقت واحد بعنف لاحتلال الجزء الذى يقدرون عليه» .. لكن هذه الوسيلة الساذجة لم تعد تصلح فى عصر الاستعمار والعدوان والسلاح، ومن الغباء، على حد تعبير «هرتزل» الرجوع إلى المراحل الحضارية السابقة، كما يريد الكثير من الصهاينة أن يفعلوا .. فإذا توجب علينا أن نخلى أرضاً من الحيوانات المفترسة (إنهم هنا العرب، ملاكها الأصليون) .. «فلن نقوم بالمهمة بنفس الطريقة التى اتبعها الأوربيون فى القرن الخامس عشر.

فلا يصح أن نأخذ رمحاً وحربة ونخرج أفراداً وراء الدببة، بل ينبغى أن ننظم مجموعة قوية من الصيادين، فنسوق الحيوانات لنجمعهم معاً فى مكان واحد .. ثم نقذف وسطهم بقنبلة مدمرة» .. وقد كان لـ «هرتزل» - وحركته - وأنصاره - وحلفائه .. ما أرادوا.لقد ألقى الصهاينة بالقنبلة فوق مجموعة الحيوانات التى أرادوا التخلص منها، فانفجرت ولازال دويها يصم الآذان..

راحت نصيحة «آحاد ها عام» أدراج الرياح، وجاء «المتحضرون» لكى يقذفوا بقنابلهم المدمرة وسط «الحيوانات العربية المفترسة» .. وبعد مائة عام فقط على وضع كتاب «الدولة اليهودية» انفتح الطريق لـ «أبناء العم». تماماً مثلما تنبأ «هرتزل»، وهو يخاطب قومه :

.. «يا إخواننا اليهود هذه هى «أرض الميعاد» ! .. لا أسطورة هى ولا خدعة، وكل إنسان يستطيع أن يختبر حقيقتها بنفسه، لأن كل إنسان سيحمل معه قطعة من «أرض الميعاد» : بعضها فى رأسه، وبعضها فى ذراعيه، وبعضها فى ملكيته المكتسبة» !!

" يجب أن تكون حدودنا الشمالية تلك الجبال المواجهة لـ قبادوكيا (Cappadocia)، والجنوبية عند قناة السويس.

وسوف يكون شعارنا : " فلسطين داوود وسليمان"

" هرتزل ".

اليوميات، جـ١، ص : ٣٤٢

... " من نهر مصر إلي الفرات "

" هرتزل "، اليوميات،

١٨٩٨/١٠/١٥

الجماعات الإرهابية والأصولية الإسرائيلية [رصد عام]

أكدت وقائع عملية الاغتيال الناجح التى تعرض لها «إسحق رابين»، رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق، على يد أحد عناصر الجماعات الإرهابية، الأصولية، اليهودية، العديدة، العاملة فى إسرائيل ومحاولات الاغتيال المتطرفة التى تعرض لها «شمعون بيريز» رئيس الوزراء الحالى[1] ، واعترف بها علنًا ، أن مضمون ومساحة التهديد الفعلى لهذه الجماعات أكبر كثيراً من حدود الاهتمام الذى حظيت به، أو الدراسة الموضوعية التى خضعت لها. وقد ساعدها كونها مجهولة الهوية، غائبة الملامح، غائمة الصورة، كثيراً فى تأخير اكتشاف معالم خطورتها، والتحرك لضربها .. أحياناً، وفى أحيان أخرى ثبت أن جهاز الأمن الإسرائيلى ذاته ، كان متورطاً فى علاقات عميقة مع العديد من هذه الجماعات الفاشية الإرهابية، إلى حد المبادرة بتشكيل وإعلان بعضها ، من أساسه، مثلما كان الحال مع جماعة «آيال» التى اغتيل «رابين» برصاصات أحد العناصر المنضوية تحت عباءتها، ومع غيرها من منظمات الإرهاب.

ومن نافل القول بالطبع، الإشارة إلى أن هذه الجماعات ودورها الإرهابى، ما كان يمكن له أن يتم، إلا بدعم قوى ومباشر من هيئات عديدة فى الحكومة، والأحزاب السياسية والدينية والمؤسسات الصهيونية المختلفة داخل إسرائيل وخارجها.

ويلمس البروفيسور «أيهود سبرنيزهاك، الأستاذ بالجامعة العبرية فى القدس، هذه القضية، فى ملحوظة بالغة الأهمية، مفادها أن جريمة قتل «رابين»، قد نفذتها مجموعة إرهابية صغيرة، وليست منظمة سرية كبيرة أو قوية، وهى مجموعة ظلت مجهولة الهوية حتى نفذت ضربتها ، واعتبر البروفيسور «سبرنيزهاك»، أن هذه الظاهرة أكثر خطراً على المجتمع الإسرائيلى «حيث يكون من الأصعب توجيه الضربات عندما يكون الأمر متعلقاً بمجموعات متشعبة»[2] .

وهذه الملحوظة صحيحة للغاية، وهى ظاهرة عامة ليست مقصورة على الحركة الأصولية اليهودية وحدها ، حيث يمكن لنا - نحن هنا فى مصر - أن ندرك طرفاً من ملامحها ممثلاً فى ذلك التوالد الذى يشبه انقسام الخلايا الحية، السريع والمتواصل، للمجموعات والتنظيمات الإرهابية، بعضها من باطن البعض، أو بمحاذاته، أو عبر امتداداته ..إلخ.

كذلك يلمس البروفيسور «سبرنيزهاك» ملمحاً آخر من ملامح هذه الجماعات الإرهابية، ومصدراً جديداً لخطورتها ، حيث ينحصر عدد النشطين المعروفين فى إطار هذه الحركات المتطرفة بالعشرات فقط، فى حين أنهم يعتمدون على حلقة أوسع تضم مئات الشبان، غالبيتهم من المستوطنين، شديدى الحماس والمستعدين للقيام بأى عمل يشوخى تجنب الانسحاب من أراضى الضفة الغربية وغزة، باعتبارها مهمة مقدسة. ويقول «سبرنيزهاك» إن نجاح عملية اغتيال رابين، سيشجع هؤلاء المتطرفين، «فمن وجهة نظرهم كانت !! ملية ناجحة، وكل الأمور تدفع إلى الاعتقاد أنها ستحثهم على معاودة الكرّة» [3].

---

(١) جريدة الأخبار، القاهرة، ١٩٩٦/١/٣

(٢) أنظر: ماجد أبو دياك، هدف إسرائيل الكبرى قَتَلَ رابين، جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/١٢/٣.

(٣) المصدر نفسه.

وفيما يلى نقدم رصداً مكثفاً لأهم هذه الجماعات : تأسيسها ومظاهر أنشطتها، وأشكال حركتها، وأبرز رموزها ودعاتها، مع ملاحظة أن بعض هذه الجماعات قد اندثرت مع انقضاء المهمة التى أنشئت من أجل تحقيقها، والبعض الآخر دخل مرحلة «كمون مؤقت» حتى يتم تنشيطه فى الوقت المناسب، أما البعض الآخر فلا زال يمارس نشاطاته بحماس ووضوح، ونظراً لطبيعة الدوافع التى تكمن خلف إنشاء هذه الجماعات فإن أغلبها مرشح لدور متعاظم فى الفترة القادمة، حينما تبدأ المفاوضات الإسرائيلية - الفلسطينية فى التعامل مع أهم وأعقد موضوعين فى سياق التسوية السياسية الراهنة، وهما قضية المستوطنات التى أقيمت غصباً على الأراضى المحتلة، وكذلك قضية القدس، والتى ترى هذه الجماعات أنهما قضيتان محسومتان باعتبارهما من صلب «أرض إسرائيل الكاملة» التى وعد الرب بها «شعبه المختار» :

١- حركة "أرض إسرائيل الكاملة" :

بعد مرور أقل من شهرين على حرب الأيام الستة، أغسطس ١٩٦٧، وما آلت إليه من نتائج مذهلة على كافة الأصعدة، التقى نفر من الكتاب والمثقفين والفنانين والعسكريين وزعماء الكيبوتسات، وعدد من الزعماء والشخصيات البارزة، الذين لعبوا دوراً ملموساً فى الصراع من أجل تكوين الدولة، وأعلنوا تأسيس «حركة أرض إسرائيل» التى جعلت لها هدفاً أساسياً يتمثل فى الضغط من أجل الاحتفاظ بكامل الأراضى المحتلة التى سقطت فى قبضة إسرائيل مؤخراً. وبالنسبة لهذه الجماعة فإن القضية لم تكن تمثل مجرد سيطرة على أراضٍ جديدة تم احتلالها، وإنما اعتبرتها قضية أساسية تتصل بالمصير القومى لليهود، وبالرغم من أن برنامج عملها كان يخلو من العمق الدينى ومظاهره، إلا أن مؤسسيها نظروا إلى الاستيطان العاجل فى الأراضى المحتلة، والسعى إلى ضمها ضمًا مستديمًا لإسرائيل، على أنه مسألة لها أولوية مطلقة، متذرعين بأن الحكومة الإسرائيلية لا تملك «حق التخلى عن أية أرض كانت تنتمى إلى الشعب اليهودى على مر التاريخ»(٤) .

جمعت بنية «حركة أرض إسرائيل» أفراداً من الحركات العمالية والدينية والقومية، فى إطار واحد، وسعت إلى حشد كل ما يمكنها من طاقات حول هدفها الرئيسى؛ على المدى القصير : تحقيق استيطان زراعى وحضرى واسع، والدمج الاقتصادى للأراضى، وتطبيق القانون الإسرائيلى داخل هذه المناطق، وعلى المدى الطويل : إنجاز ضم نهائى، قانونى ورسمى، للأراضى المحتلة، إلى إسرائيل(٥) .

وقد جعل هذا الهدف عدداً من الباحثين ينظرون إلى هذه الجماعة باعتبارها قد أعادت بعث أيديولوجية تقليدية معروفة فى تاريخ الصهيونية السياسية، هى «الحركة التصحيحية»، التى ظلت قناعة ثابتة لدى العديد من الجماعات الإسرائيلية، على الرغم من كونها «لم تكن تملك أى مغزى عملى بين عامى ١٩٤٨ و١٩٦٧»(٦) .

وكما عبرت عن هذا الموقف فى برنامجها السياسى : «إن النصر الذى حققه شاهل (جيش إسرائيل) فى حرب الأيام الستة قد وضع الشعب والدولة فى حقبة جديدة ومصيرية، إن أرض إسرائيل كلها هى الآن، فى أيدى الشعب اليهودى، وكما أنه لا يجوز أن نتنازل عن دولة إسرائيل، كذلك نحن ملزمون بصيانة ما حصلنا عليه من «إرتس يسرائيل».

---

(٤) ديفيد نيومان، مصدر سبق ذكره، ص : ٣١.
(٥) المصدر نفسه، ص : ٣٦.
(٦) المصدر نفسه، ص : ٣٥.

نحن ملزمون بالولاء لكامل الوطن، من أجل ماضى شعبنا ومستقبله، ولا يحق لأية حكومة إسرائيلية أن تتنازل عن هذا الكمال الذى يمثل حق شعبنا الجوهرى الثابت منذ بداية تاريخه »(٧).

وبالرغم من تواجد بعض الحاخامات، فى صفوف الموقعين على البيان التأسيسى لحركة « أرض إسرائيل الكاملة »، إلا أن صلب توجهاتها اندرجت تحت لافتة الجناح القومى المتشدد من الصهيونية العلمانية، وهى، وإن لم تتجه إلى تشكيل حركة ذات بُعد جماهيرى أو إنشاء حزب سياسى، إلا أنها بلورت نظامها فى تشكيل جماعة ضغط قوية، تسعى إلى التأثير فى سياسة الحكومة بواسطة أشكال الضغط المتعددة : كالإعلام والصلات الشخصية بوزراء الحكومة ومسئوليها(٨).

وكان من أهم الشخصيات الفاعلة فى حركة «أرض إسرائيل الكاملة»، مؤسسها، «إبراهام يوفى»، الجنرال السابق فى الجيش الإسرائيلى، والذى اعتبر أن جوهر التوراة الذى يجسد «إرادة الشعب» ويُعبر عنها «هو الحرب»، وهى «أداة تحقيق السيادة على أرض إسرائيل الكاملة»(٩) .

كان عام ١٩٦٩ ذروة نشاط الحركة، وفيها انتخب عدد من أعضائها فى الكنيست ممثلين لأحزابهم الأخرى التى ينتمون إليها، وقد منحهم هذا الوضع قوة نسبية باعتبارها جماعة ضاغطة، تؤثر على الحكومة عبر عناصرها فى المؤسسة التشريعية، واستمر نشاطها فى بداية عقد السبعينيات، وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، ومع بروز جماعة «جوش ايمونيم»، بحركتيها ونطاق عملها الواسع، امتصت أعداداً مؤثرة من نشطاء الحركة فى سياقها، ومع مقدم عام ١٩٧٧ كانت الحركة قد ذابت داخل جماعة «جوش ايمونيم»، فتجمدت أنشطتها وتوقفت صحيفتها «زوت هآرتس» عن الصدور(١٠) .

٢- "أمناه" :

كانت «أمناه» وليدة اتساع مجال حركة جماعة «جوش ايمونيم»، وخروجها من حيز منظمة استيطانية محدودة النشاط، تركز جهودها على مظاهر الاجتماع والتظاهرات السياسية المحدودة، وعناصر التأثير الهامشى فى المجتمع، إلى حركة واسعة المقومات والقدرات، تحتوى فى إطار جهودها مخططات عملية لإنشاء وتعزيز المستعمرات اليهودية على الأراضى المحتلة، وفيما يعرف بـ «أرض إسرائيل الكاملة».

أنشئت «أمناه» عام ١٩٧٦، وفى ربيع ١٩٨٠، حينما كانت «جوش ايمونيم» تمر بأزمة أدت إلى تفرق شمل الشخصيات القيادية فيها، وإزاء تسارع معدلات الاستيطان ووتائر تملك الأراضى فى المناطق الواقعة تحت السيادة الإسرائيلية، أعلنت «أمناه» أنها هى «جوش ايمونيم» بكل ما تمثله، وفى استطاعتها النطق باسمها»(١١) .

---

(٧) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص : ٥٢.
(٨) المصدر نفسه.
(٩) ", P. 192.Book of the whole LandBEN AMI,"
مذكورة فى : إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص : ١٦٠.
(١٠) المصدر نفسه، ص : ٥٣.
(١١) المصدر نفسه، ص : ٧٠.

واستمرت منظمة «أمناه» فى العمل من أجل تدعيم الحركة الاستيطانية لجوش إيمونيم وتأثرت سلبياً معدلات حركتها بالانسحاب الإسرائيلى من «مستعمرة ياميت»، إثر معاهدة السلام مع مصر (أبريل ١٩٨٢)، لكن «أمناه» استمرت «تدار بواسطة عشرة من الأعضاء المتفرغين الموظفين، ولديها ممثلين منتشرين فى أوربا والولايات المتحدة وميزانيتها تقارب المليونى دولار سنوياً» (١٢).

٣- عصابة « درع ديفيد مكاي » :

مجموعة من المجموعات الإرهابية اليهودية الأمريكية المنشأ، أعلنت فى يناير ١٩٩٤ مسئوليتها عن محاولتى تفجير ضد جماعتين يهوديتين «ليبراليتين» مقرهما نيويورك هما : «الصندوق الإسرائيلى الجديد» و«الأمريكيون من أجل السلام الآن»، وقد أيد «إسحق شامير»، رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق، نشاطات هذه العصابة الإرهابية، وقدم لها غطاءً سياسياً، بقوله، فى معرض تعليقه على هجوم نيويورك : «إن حركة السلام الآن ألحقت بإسرائيل من الأذى والضرر أكثر مما كانت ستلحقه تلك القنبلة فيما لو انفجرت» (١٣).

وقد أصدرت هذه العصابة الإرهابية بياناً شنت عبر سطوره حملة ضخمة على حكومة حزب العمل السابقة، ورئيسها «إسحق رابين»، واتهمتها بأنها «باعث الشعب اليهودى»، ودقت طبول «الحرب الأهلية اليهودية التى بدأت»، من جراء السياسات (المهادنة) لرابين وحكومته ! (المصدر نفسه).

٤- جماعة "آيال" التنظيم اليهودى المقاتل :

فى إسرائيل جامعة دينية شهيرة هى جامعة «بار ايلان»، تعد من مراكز التطرف الإسرائيلى وأهم معامل تفريخه، وقد شكل نفر من طلبتها هذه الجماعة الإرهابية فى عام ١٩٩٢، ويمكن إدراك حدود هذه الجماعة الإرهابية ومنظور تطوراتها الإجرامية من تقويمها لأداء جماعتين مصنفتين باعتبارهما من أشد الجماعات الإرهابية اليهودية تطرفاً، وأكثرها عنفاً وعدوانية : جماعة «كاخ» التى أسسها الحاخام الفاشستى «مائير كاهانا»، وحركة «كاهانا حى» التى تأسست بعد مقتله على يد ابنه، فقد اعتبرت جماعة «آيال» هاتين الجماعتين «لا تجيدان سوى الكلام» (١٤)؛ بالرغم مما عرف عنهما من توجيه سهام عملياتهما الإرهابية تجاه العرب والأراضى المحتلة، (على النحو الذى أوضحناه فى موضع آخر من هذا الكتاب).

وتؤمن هذه الجماعة، كغيرها من جماعات الإرهاب الأصولى اليهودى، بقدسية «أرض إسرائيل الكاملة»، وبارتداد وكفر من يجرؤ على التنازل عما تعتبره حقاً توراتياً لا رجعة فيه، وتدفع بالحكم على من يرتكب هذه الكبيرة بالموت، وهى على علاقة وطيدة بغيرها من الأحزاب والقوى والجماعات الإرهابية والأصولية واليمينية الإسرائيلية. وبعد واقعة اغتيال «إسحق رابين» على يد واحد من عناصرها، «إيجال عامير»، تبين أن مكتب «إسحق شامير»، رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق، قد تدخل لدى جامعة «تل أبيب» - عام ١٩٩٢ - من أجل السماح بعودة «أفيشاى رافيف» زعيم جماعة «آيال»، للدراسة، بعد أن طُرِد منها لسلوكه العنصرى.

---

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) مجلة الوسط، لندن، العدد (١١٠)، ٧/٣/١٩٩٤.

(١٤) نهال شريف، هل ينجح بيريز فى الاختيار الصعب ؟!، مجلة المصور، القاهرة، العدد (٣٧١)، ١٧/١٠/١٩٩٥.

فى أعقاب اغتيال «إسحاق رابين»، وجهت اتهامات إلى جهاز الـ «شين - بيت» (جهاز الأمن الداخلى الإسرائيلى)، بتأسيسه لهذه المجموعة المتطرفة، وقد أعلن الحاخام «أيلون»، حاخام مدرسة «بيت عوروت» التلمودية الواقعة على جبل الزيتون، فى القدس الشرقية، وابن أحد قضاة «المحكمة العليا» فى إسرائيل أن «آيال أنشئت وتطورت بواسطة «شين بيت» ثم أعاد تأكيد هذا الاتهام، فى حديث للإذاعة الإسرائيلية، بقوله «إن شين بيت تعرف، ليس فقط من هم أعضاء «آيال»، بل إنها قامت بتأهليهم وتمويلهم»(١٥).

وقد كشفت صحيفة «أحرونوت» الإسرائيلية، بعد أيام من هذا الإعلان، أن «إيجال عامر»، قاتل «رابين»، قد تدرب بالفعل كأحد الحراس فى جهاز الأمن الداخل الإسرائيلى « شين - بيت » عام ١٩٩٢، وأنه قد تلقى تدريبات على كيفية إطلاق النار، ومحاضرات عن تمارين الحماية، قبل إرساله فى بعثة حكومية إلى «لاتفيا»، وقد تعلم فى إحدى هذه المحاضرات الكيفية العملية التى تتيح له اختراق حواجز الأمن الكثيفة بسهولة، لحظة وصول أو انصراف الهدف.

ولفت نظر المراقبين، الذين حضروا جلسة استماع لمحاكمة «إيجال عامير»، هدوءه وابتسامته التى لم تفارق وجهه، وتعليقه الذى ذكر فيه «أنه ربما يكون قد نفذ عملية القتل بمفرده، ولكن لم يجذب الزناد وحده، وإنما كل أمة إسرائيل التى تحلم بالوطن منذ ألفى عام، وضحت بالدماء من أجله، فعلت ذلك معه»، كذلك وصف «إيجال عامير» رابين، بأنه «لم يكن زعيماً شرعياً لليهود» مؤكداً أن اغتياله قد خدم «قضية العدل» فى البلاد، وذكر أنه حاول اغتياله قبل ذلك - عدة مرات(١٦).

ويزيد من أهمية ما تقدم ذكره، أن التحقيقات التى تمت عقب عملية اغتيال رابين،أثبتت أنها لم تكن العملية الوحيدة التى خططت لها منظمة «آيال»، وإنما أعدت المنظمة لعمليات إرهابية أخرى فى الأراضى المحتلة، كما أعدت قائمة جديدة للاغتيال على رأسها «شمعون بيريز» رئيس الوزراء، ووزير الخارجية السابق، والعديد من الشخصيات الفلسطينية والإسرائيلية الأخرى.

والأخطر من ذلك، أن التحقيقات كشفت تغلغل هذا التنظيم داخل «جيش الدفاع الإسرائيلى»، ومنه تحصلت الجماعة على الأسلحة والذخيرة والمتفجرات التى ضبطت بحوزة القاتل.

٥- عصابات أمناه "جبل الهيكل":

واحدة من المنظمات الإرهابية التى اتجهت إلى ترويع الآمنين من السكان العرب وممارسة العديد من أشكال الإرهاب والاعتداء، بهدف إكراه العرب الفلسطينيين على النزوح، وترك مواقعهم فى أراضيهم التى ورثوها، بحجة أنها جزء من «أرض إسرائيل الكاملة»، التوراتية.

شاركت عصابات جبل الهيكل، مع غيرها من التنظيمات والتجمعات الإرهابية اليهودية المسلحة فى إسرائيل، فى تنظيم العديد من المظاهرات الصاخبة وعمليات الهجوم على العرب وأملاكهم فى الخليل، وباقى مدن الضفة الغربية والقدس، تلك العمليات التى بلغت ذروتها فى الفترة بين عام ١٩٨٠ - ١٩٨٤، وهى الفترة

---

(١٥) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٨/١١/١٩٩٥.

(١٦) جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٢/١١/١٩٩٥..

التى شهدت ٣٨٠ اعتداء على أفراد عرب، وتمخضت عن قتل ثلاثة وعشرين فلسطينياً، وإصابة ١٩١ منهم بإصابات بالغة، كما تم خلالها اختطاف ٣٨ عربياً، وتنفيذ المئات من الهجمات والاعتداءات على الممتلكات والسيارات والمنازل والمتاجر، إضافة إلى ٤١ إعتداء على المؤسسات والهيئات الإسلامية والمسيحية. وفى تلك الفترة وقع حادث الاعتداء البارز الذى فجر سيارتى رئيس بلدية نابلس ورام الله، الأمر الذى أدى إلى إصابتهما بإصابات بالغة(١٧) .

ترتبط هذه العصابات بحركة «كاخ» الفاشية، وتعمل علناً من أجل هدم قبة الصخرة، ومن أجل إعادة بناء هيكل سليمان فى الموقع ذاته.

يرأس هذه الجماعة الآن «جيرشون سالمون» الذى كان عضواً نشطاً فى «رابطة الدفاع اليهودية الأمريكية»، ويعمل مديراً تنفيذياً لمدرسة «جبل المعبد»، واكتشف لديه مخزون هائل من الأسلحة والمتفجرات والخرائط، التى عكست تدبيراً إجرامياً لنسف المنطقة، وقتل سكان الأراضى المحتلة الفلسطينيين، وقد انضم «سالمون» وهو صبى إلى منظمة «الأرجون» الإرهابية، وفى مطلع الستينيات انضم إلى حزب «حيروت» اليمينى، وباسمها انتُخب فى مجلس بلدية القدس قبل أن ينضم إلى كتلة «جيئولا كوهين» وليشترك معها فى تأسيس حزب «هتحياه» المتطرف وليرأس فرعه فى القدس.

وبالرغم من اعتقال عدد من نشطاء الحركة بسبب نشاطاتهم الإرهابية ضد الفلسطينيين، أصحاب الأراضى الأصليين، فإن حكومة «إسحق شامير» السابقة أفرجت عنهم فى إطار عفو عام صدقت عليه(١٨) .

وكانت المحكمة العليا الإسرائيلية، قد أصدرت قراراً يقضى بالسماح لأعضاء الجماعة بالدخول إلى حرم المسجد الأقصى، وإقامة شعائرهم التوراتية فيه، الأمر الذى عُدَّ انتهاكاً جديداً للمقدسات الإسلامية، واستفزازاً مباشراً للسلطة الفلسطينية بعد اتفاقات الحكم الذاتى.

وينادى «سالمون» بضرورة نقل المحكمة العليا إلى «جبل البيت»، وبأن يؤدى رئيس الدولة القسم فيها، كما يدعو إلى مرور الطوابير الاستعراضية المسلحة للجيش الإسرائيلى فى ساحة المسجد الأقصى(١٩) .

٦- جماعة شوفو بانيم :

إحدى جماعات المستوطنين الذين نشطوا للاستيلاء على الأراضى العربية فى فترة تصاعد عمليات مصادرة الأراضى الفلسطينية وحمى الاستيطان الإسرائيلى عام ١٩٨٤.

وخلافاً للجماعات الأخرى المستلهمة من «جوش ايمونيم»،«ليس لشوفوا بانيم أية استراتيجية قومية ملموسة، بل إن طريقة أعضائها فى التعبد، وعقائدهم العنصرية المناهضة للعرب، هى التى كونت العامل المخل بالأمن والاستقرار »(٢٠) ، ومن أبرز أنشطتهم الاعتداء المتكرر على الفلسطينيين المقيمين فى فناء «حياى عولام»، وتعمد إزعاجهم بالصياح أثناء الصلاة والأناشيد طوال الليل.

---

(١٧) إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص : ٧٩.

(١٨) لواء أ. ح. أحمد سويلم، عودة الحركات الصهيونية لتضرب من جديد، جريدة الوفد، القاهرة، ١٩٩٤/٣/١٨.

(١٩) غازى السعدى، من ملفات الإرهاب الصهيونى فى فلسطين : مجازر وممارسات (١٩٣٦ - ١٩٨٣)، عمان - الأردن، دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، طبعة أولى، يونيو ١٩٨٥، ص : ٢٦٣.

(٢٠) مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد (٨)، خريف ١٩٩١، ص : ٤٣.

٧- حركة "وقف الانسحاب من سيناء" :

تأسست فى ربيع عام ١٩٨١، بهدف تطوير نشاطات وقف الانسحاب من مستعمرة «ياميت» على أثر الاتفاقية المصرية ـ الإسرائيلية، وانضم لصفوفها عناصر من دعاة «جوش ايمونيم» و «تحيا» و «بيشع»،الذين كانوا يخشون أن يكون الانسحاب من «ياميت» سابقة تكرس فكرة الانسحاب من المستوطنات المقامة فى الضفة الغربية وغزة، إضافة إلى عدد من الحاخامات الملتزمين بمبدأ يقول إن ياميت جزء لا يتجزء من أرض إسرائيل وأن التخلى عنها «سيعوق الخلاص الإلهى إعاقة شديدة»(٢١) .

الهدف الأول المعلن لحركة «وقف الانسحاب من سيناء» كان هو السعى عن طريق التعبئة الجماهيرية إلى تعويق عملية الانسحاب من مستعمرة «ياميت»، أما فيما إذا استحال تنفيذ هذه الغاية، فقد استهدفت الحركة القيام بأعنف ما يمكن من المصادمات بين الحكومة والمستوطنين المعارضين للانسحاب، بحيث تتحول ذكرى الصدمة النفسية والسياسية الحادثة إلى كابح يحول دون ميل أية حكومة مستقبلية إلى إخلاء المستعمرات اليهودية فى أى مكان.

وقد حاولت الحركة جمع «مليون توقيع» على عريضة تتضمن الاحتجاج على الانسحاب من ياميت، لكنها لم توفق .. ثم ذوى نشاطها بفشلها فى أداء المهمة الأساسية المنوطة بها، ألا وهى شل عملية تنفيذ الشق الخاص بإعادة سيناء للسيادة المصرية فى الاتفاق الموقع بين الحكومتين المصرية والإسرائيلية.

٨- حركة "العودة إلى سيناء" :

حركة شكلها العديد من أعضاء منظمة «وقف الانسحاب من سيناء» وكذلك من «بيشع» و «جوش ايمونيم»، ومن ضمنهم شخصيات بارزة مثل الحاخام «موشيه ليفنجر» و «بينى كتسوفر» والحاخام «حاييم دروكمان»، الذين استطاعوا التسلل إلى المنازل التى أخلاها مستوطنو «ياميت» واحتلالها، قبل أن يُجلوا عنها بتدخل سلمى لجنود إسرائيليين بلا سلاح.

استهدفت الحركة، على نحو ما يشير اسمها «إعادة الحكم اليهودى إلى سيناء»، لكنها أخفقت فى تحقيق هذه الغاية، الأمر الذى شكل «صدمة حقيقية» للمستوطنين، ولأعضاء «جوش ايمونيم» بالذات، وللأصوليين اليهود، عامة، الذين هالهم «تفريط حكومة مناحيم بيجن» فى «أرض إسرائيل»، وسعوا إلى التجمع من أجل إثنائه – دون جدوى – عن هذا القرار الخطير، والذى اعتبروه سابقة لا مثيل لها.

وقد جاء بداية نشاط حركة «العودة إلى سيناء» مواكباً لحدثين مهمين للغاية فى تاريخ الأصولية اليهودية : الأول : هو موت الحاخام «تسفى يهودا كوك» صاحب التأثير الهائل على الأصوليين اليهود، والثانى : هو شن حرب لبنان من قبل تكتل الليكود، والتى قادها «أريئيل شارون»، وزير الحرب الإسرئيلى آنذاك. وتعرض نشاطها – بعد إتمام الانسحاب الإسرائيلى من سيناء –للذبول يوماً بعد يوم.

---

(٢١) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص : ٢٠.

٩- حركة "هذه الأرض لنا" :

فى أوائل شهر أغسطس ١٩٩٥ صعّد آلاف من المستوطنين المتطرفين، ذوى القبعات السوداء، حركتهم الاحتجاجية على مفاوضات الحكم الذاتى الفلسطينى بين الدولة الإسرائيلية والجانب الفلسطينى (برئاسة ياسر عرفات)، فاحتلوا ١٥ تلة محاذية لمستوطنات فى الضفة الغربية، فيما عرف بـ «حرب التلال»، وتصاعدت الصدامات الدموية من جراء هذه الخطوة، بعد أن استولى المستوطنون على العديد من المواقع الأمامية التى أقيمت على طرق الضفة الغربية فى ضواحى المستوطنات، وأعلن وزير الشرطة «موشى شاحال» على إثر ذلك أنه «فى حال مواصلة المتطرفين أعمالهم، قد يؤدى ذلك إلى سفك دماء» مشدداً على أن حكومة إسحق رابين «لن تسمح بأن تعيش البلاد فى أجواء من الفوضى»، بعد أن أصيب نحو ٦٠ شخصاً، واعتقل أكثر من مائة مستوطن، وتم قطع الطرقات أمام السيارات.

كانت هذه الصدامات العنيفة التى قام بها المستوطنون تلبية لدعوة حركة «هذه الأرض لنا» (زو أرتيزينو بالعبرية)، اليمينية المتطرفة التى أعلن «شاحال» أن «الحكومة تعتزم إعلانها حركة محظورة»، فيما أشار قائد الشرطة «عساف حيفيتز» أنه «فوجئ بحجم التظاهرات التى نظمها المستوطنون» بقيادتها (٢٢).

وفى معرض تعليقه على الأحداث، ذكر «شاموئيل ساكيت» أحد قادة الحركة: «أن قطع الطرق ليس سوى الخطوة الأولى، وهدفنا الآن هو تعزيز أنصارنا الذين انتشروا على طول الطرق لضمان أمننا .. فى الوقت الذى تخلى الجيش عنا (!)» .. «إن هدفنا هو إثبات أن هذه الأرض هى أرضنا، وأن يهودا والسامرة (الضفة الغربية) لن تصبح يوماً غزة جديدة، حيث يطبق الحكم الذاتى منذ مايو ١٩٩٤».وأضاف ساكيت «أن حركته لن تتردد فى اللجوء إلى القوة .. إننا مستعدون للمواجهة مع الأراضى الفلسطينية»، (المصدر نفسه).

وبعد أن نجحت جماعة « هذه الأرض لنا » - بدعم عدد كبير من أنصار الأحزاب اليمينية - فى تعطيل حركة المرور بضع ساعات على مئات من الطرق الرئيسية فى إسرائيل، اعتقلت قوات الأمن نحو مائة شخص آخرين، كان من بينهم «موشى فيجلن»، رئيس الحركة، الذى دعا إلى « العصيان المدنى » ، مهدداً الحكومة ومحرضاً المستوطنين على الانضمام إلى حركات المعارضة العنيفة، فى مواجهة أية اتفاقية تعقد بين الحكومة الإسرائيلية والطرف الفلسطينى.

وحركة «زو أرتزينو»، (هذه الأرض لنا)، التى قادت ما أطلق عليه المراقبون «أكبر عصيان مدنى شهدته إسرائيل منذ بدء العملية السلمية مع الفلسطينيين، وامتد من الضفة الغربية ليشمل أنحاء إسرائيل»(٢٣)، إحدى الحركات اليمينية حديثة المنشأ، أعلنت فى ديسمبر ١٩٩٣، حين اجتمع مؤسسوها فى حى «نفى عليزا» بمستوطنة «جينون سمرون» فى الضفة الغربية، بهدف «تأسيس حركة تسلك طريق العصيان المدنى»، وبالرغم من نظرة الاستخفاف التى قوبلت بها الجماعة، فى مقتبل فترة الإعلان عنها، إلا أن حجم التأثير الواسع الذى أحدثته، ألقى أضواء هامة وكاشفة على الأصول الأيديولوچية لها، وقد اعترف فيجلن (وهو خبير كمبيوتر فى الرابعة والثلاثين من عمره) بانتماء حركته إلى معسكر اليمين المتطرف، نافياً أن يكون أعضاؤها من أتباع

---

(٢٢) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/٨/١٠.

(٢٣) ربى الحصرى، من الأرض المحتلة، جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/٨/١٠.

الحاخام «مائير كاهانا» ويضيف : «لسنا سياسيين فى الحركة، ولا ننتمى إلى الحركات السياسية، ولا علاقة لنا بكاهانا أوغيره، ولكن إن شئتم، نحن كل هؤلاء فى ذات الوقت»، وقد عمدت الحركة إلى احتلال أعداد من المنتمين لها مواقع خالية، وإعلان تأسيس مستوطنات جديدة فيها، وهو ما يدعمه الحاخام «بنى ألون»، أحد منظرى الحركة، [الذى يدير حلقة دينية فى مستوطنة «بيت إيل» القريبة من «رام الله»، وتتركز أنشطتها فى دعم منظمات الاستيطان المتطرفة، وبالذات «عطيرت كوهانيم»]، وقد أعلن الحاخام «ألون» أن «العصيان المدنى أصبح الطريق الوحيد المتبقى أمام الإسرائيليين الذين يشعرون بأزمة لأن «رابين» لا يستجيب لهم (..) فعندما يكون ظهرك للحائط يجوز لك استخدام العصيان المدنى شرط أن تكون مستعداً لدفع الثمن والمكوث فى السجن»، (المصدر نفسه).

وقد قُدم الحاخامات الثلاثة : «فيجلين» و «ألون» و «همويل ساكت» الأعضاء القياديين للجماعة، إلى محاكمة، كانت هى الأولى من نوعها تحت سقف قانون «المعاقبة على العصيان»، من جراء تحركاتهم التى تحض الإسرائيليين على التمرد (٢٤).

١٠- كاخ : (هذا هو الطريق) :

منظمة إرهابية عنصرية فاشية النزعة، وواحدة من أهم هذه النوعية من المنظمات التى عرفها تاريخ إسرائيل، ظهرت أوائل السبعينيات على يد الحاخام الإرهابى «مائير كاهانا»، وتبنت منظومة من الأفكار النازية التى تتوعد العرب، وتدعو إلى طردهم، وتمارس فى مواجهتم أحط أشكال القهر والإرهاب والتمييز العنصرى فى دول تزعم التمسك بالديمقراطية واحترام حقوق الإنسان.

أيديولوجية التنظيم هى أيديولوجية مؤسسها «كاهانا» التى شرحناها بالتفصيل فى موقع آخر من هذه الدراسة.وفى بداية نشاط حركة «كاخ»، «وزعيمها كاهانا» نظر الكثيرون باستهانة ولا مبالاة إلى هذه الظاهرة، خاصة مع تكرار فشل «كاهانا» فى الحصول على مقعد فى انتخابات الكنيست الإسرائيلى لأعوام ١٩٧٣، ١٩٧٧، ١٩٨١، بيد أن التغيرات العميقة فى المناخ السياسى والفكرى الذى واكب سيطرة تكتل «ليكود» على مقاليد السلطة عام ١٩٧٧، ومع نمو «الأصولية الدينية اليهودية» و (اليمين) الصهيونى «الراديكالى»، وارتفاع حدة العداء الموجه للعرب ومستوياته «بدأت كاخ» تشق طريقها بقوة نحو المركز، فيما وصف بـ «فضيحة سياسية لإسرائيل»، لكن هذه «الفضيحة» كانت، فى الواقع، تعكس مناخاً بات يحقق تقدماً مستمراً ملحوظاً : «الأفكار التى نادى بها (كاهانا) استوعبت جيداً، من دون أدنى شك، فى أوساط تتسع باستمرار فى المجتمع»(٢٥).

يبلغ عدد أعضاء تنظيم «كاخ» المسجلين عدة مئات، لكن دائرة أنصاره أكثر كثيراً وتقدر بالآلاف، ويتمركزون أساساً فى «كريات أربع» والخليل، وله فروع علنية فى القدس والمدن الكبرى، وفى بعض «مدن التطوير» فى إسرائيل.

---

(٢٤) Le MONDE, Paris, 5/12/1995

(٢٥) جريدة عال همشمار، إسرائيل، ٩/١١/١٩٩٠.

يستمد تنظيم «كاخ»، أنصاره على نحو مايذهب الباحث «أحمد خليفة»، فى الغالب، من الشرائح الاجتماعية الفقيرة، المتذمرة، الناقمة على المؤسسة الحاكمة، والتى تحمل كراهية وعداء شديدين للعرب، ويبرز فى «نواته الصلبة»، وقيادته العناصر المهاجرة من الولايات المتحدة «مدفوعة بتعصبها الدينى وعدائها للأغيار، وحلمها بالخلاص المسيحانى»[٢٦] ، وله فروع نشطة للغاية فى الولايات المتحدة تمده بالدعم المالى وبحاجته من الأسلحة، وترفده بأعضاء جدد بعد تدريبهم على السلاح.

تتألف قيادة «كاخ» العليا من ثلاثة أعضاء هم «باروخ مرزيل»، (٣٦ عاماً)، رئيس الحركة، و «نوعام قدرمان»، الناطق بلسانها، «وتيران بولاك»، رئيس «لجنة الأمن على الطرق» وقد كان «باروخ مرزيل» أمين سر «كاخ» فى الكنيست والناطق بلسان الحركة، وساعد «كهانا» الأيمن، وقد علق على مجزرة الحرم الإبراهيمى فى الخليل، مشيداً بسفاحها «باروخ جولدشتاين» قائلاً «إنه ليس مجنوناً، إنه رجل عظيم، إنه رجل صدِّيق»[٢٧] كما علق «شموئيل بن بشاى» على الموقعة نفسها بقوله : «لقد كان (جولد شتاين) رجلاً حقيقياً، وقام بعمل بطولى، لقد قال دائماً إنه يجب أخذ الأمور باليد وقتل العرب»[٢٨].

وقد رصد «دان عومر»، الكاتب الإسرائيلى، العشرات من عمليات حركة «كاخ» الإرهابية، كان من أبرزها :

- محاولة الاستيلاء على المسجد الأقصى ثم إطلاق النار على المصلين فى باحته.
- خطة تفجير قبة الصخرة.
- اغتيال عدد من نشطاء «حركة السلام الآن»[٢٩] ، منهم «أميل جرينسفاريح».
- تفجير أتوبيسات ركاب ملأى بالمواطنين العرب.
- نشر متفجرات مفخخة فى منطقة القدس.
- إحراق سيارات العرب الفلسطنيين فى حى «أبو طور».

وكما يذكر «آمنون كابليوك»، فى كتابه «الخليل، مجزرة معلنة» فإن المناقشة حول (شرعية) قتل العرب والانتقام منهم كانت دائرة على قدم وساق فى «المجلس البلدى» لمستوطنة «كريات أربع»، الذى كان «جولد شتاين» عضواً فيه قبل أن يستقيل استعداداً لمجزرته، واستند فى ذلك إلى فتوى من الحاخامات الأصوليين فى المستوطنات اليهودية، تربط بين الفلسطينيين و «العماليق»، الذين جسدوا على مسار التاريخ اليهودى (منذ هزيمتهم على يد الملك داوود) العدو الأكثر شراسة، والذى «ببساطة ينبغى العمل على إبادته»[٣٠] ،و«جولد شتاين» هنا، من وجهة نظر أصولية يهودية، «لم يقتل أناساً أبرياء يصلون، وإنما قتل «عماليق» مثل «هامان» و «هتلر» وغيرهم، وهو بهذا العمل قد قدس الرب، كما يدعون، ورفع ذكره وشأنه،

---

(٢٦) أحمد خليفه، حركة كاخ فى المشهد السياسى الفلسطينى، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد (١٨) ربيع ١٩٩٤، ص ص : ١٩١ - ١٩٢.

(٢٧) جريدة هآرتس، إسرائيل، ١٩٩٤/٣/٤.

(٢٨) جريدة يديعوت أحرونوت، إسرائيل، ١٩٩٤/٣/٤.

(٢٩) دان عومر، الفاشية الجديدة فى إسرائيل، مجلة هعولام هزيه، إسرائيل، ١٩٨٣/١٢/٢٨.

(٣٠) أمنون كابليوك، مصدر سبق ذكره.

فقتل شخص من العماليق يكون شرعياً حتى لو كان فى زمان أو مكان مقدس» .. أما بيان ممثل «كاخ» فى نيويورك بشأن المجزرة، فقد قال «إن «جولد شتاين» كان رجلاً نقياً صالحاً درس التوراة وشريعتها، وسينقذ عمله الآلاف من العرب واليهود بتبديده الفكرة الخاطئة التى تقول إن العيش سوية سيجلب السلام»(٣١)

١١- كاهانا حي:

منظمة صغيرة نسبياً، وإن كانت أكبر عدداً من «آيال». وأنشئت بعد قتل الحاخام «مائير كاهانا»، الذى تحمل اسمه، فى نيويورك، واتُهم بقتله الشاب المصرى «سيد نصير».

يتولى رئاستها الإرهابى الشاب «بنيامين كاهانا»، ابن الحاخام «كاهانا»، وقد أنشأها بعد انشقاقه على حركة «كاخ» ورفض الانصياع إلى توجيهات زعمائها، ويساعده بصورة رئيسية «دافيد اكسلرود»، (٢٨ عاماً)، وهو يهودى متعصب، ولد فى أمريكا ثم هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٨٠، ويعد من غلاة المتعصبين لإتمام تدمير المسجد الأقصى وبناء «هيكل سليمان» فى موقعه.

وتنشط جماعة «كاهانا حى» لتحقيق الأفكار العنصرية لـ «كاهانا الأب»، فتتحرش بالعرب الفلسطينيين، وتعتدى عليهم وعلى أملاكهم، وتهدد علناً بالاقتصاص منهم، والعمل على إبادتهم، ويقع مركزها فى مستوطنة «كفار تبواح»، بقضاء نابلس.

عقب مقتل «إسحق رابين» خطب «بنيامين كاهانا»، فأعلن أن «وزير الداخلية قد هدد بتصفيتنا .. لكنه سيتأكد من خطئه قريباً !!»، وتوعد بأن «رابين»، «لن يكون آخر المغتالين !»(٣٢).

فى منشور وزعه هذا التنظيم (فى مارس ١٩٩٢) عنوانه «اقصفوا أم الفحم»، صدر تعقيباً على الأنباء التى أذيعت متضمنة مشاركة عربيين من سكانها فى عملية ضد معسكر للجيش الإسرائيلى، أدت إلى قتل ثلاثة جنود، ما يشير إلى مضمون برنامج هذا التنظيم الإرهابى وإطاره الفكرى، حيث يصرخ: «لماذا عندما خرج عرب من «أم الفحم» وذبحوا ثلاثة جنود، أرسلت الحكومة (الطائرات) لقصف حزب الله فى لبنان، بدلاً من أن تقصف «أم الفحم» ؟! لماذا فى كل مرة يُقتل فيها يهودى يقصفون لبنان، لا القرى العدوة فى دولة إسرائيل؟! »(٣٣).

ولـ «كاهانا حى»، مثله فى ذلك مثل «كاخ»، فروع كبيرة فى الولايات المتحدة، ترفده بالأموال والأسلحة والأفراد المدربين على السلاح وأعمال التخريب، وينظم هذه الأنشطة فى الخارج «يكتوئيل بن يعقوب»، (٣٣ عاماً) سبق واتهمته الـ FBI الأمريكية بأعمال عنف ضد أهداف عربية فى أمريكا، كما أتهم بالاشتراك فى عملية اغتيال «فيليكس عوده»، رجل الأعمال الأمريكى عربى الأصل، فى الولايات المتحدة عام ١٩٨٥، كما يوجد لها فرع للفتيان يسمى «نوعر مائير»، (فتيان مائير)، ارتكب أربعة من عناصرها (المبتدئين) جريمة إلقاء قنبلة فى سوق القصابين بالبلدة القديمة، بالقدس فى نوفمبر ١٩٩٢، أدت إلى قتل وجرح عدد من المواطنين العرب.

---

(٣١) جعفر هادى حسن، جولد شتاين يقول إن قتل العرب مهمة دينية، جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٤/٣/٢٥.

(٣٢) مجلة آخر ساعة، القاهرة، ١٩٩٥/٩/١٥.

(٣٣) نزاف شراغى، كهانا حى . . . وهو يخوض الانتخابات، جريدة هآرتس، إسرائيل، ١٩٩٣/٣/١٢.

١٢- لجنة "أمن الطرق" أو "رابطة الأمن على طرق يهودا والسامرة":

فرع من فروع منظمة «كاخ» الفاشية التى أسسها «مائير كاهانا»[(٣٤)] عام ١٩٧٩، وقد ركزت نشاطاتها على تخريب الممتلكات العربية وتخريب سيارات ومصالح العرب الفلسطينيين والتصدى لـ «معتدلين» من اليهود الذين لا ينساقون وراءها فى مخططاتها الإجرامية. وتعد الهيئة الأكثر تنظيماً وتجربة وتدريباً وسط مثيلاتها من جماعات وتنظيمات صهيونية إرهابية فى الوطن المحتل[(٣٥)] .

ويشير «رونى شلن»، فى صحيفة «يديعوت أحرونوت»[(٣٦)] إلى أن لجنة «أمن الطرق قد أصدرت بياناً عقب مقتل عدد من العمال العرب، يمجد هذه العمليات الإرهابية، ويشجع أفراداً آخرين من حركة «كاخ» وأنصارهم «على الاستمرار فى عمليات القتل»، ويضيف: أن هذه المجموعات الإرهابية المنضوية تحت مسمى «لجنة أمن الطرق» تدفع إلى زيادة سرعة دائرة العنف العربى ـ اليهودى فى المناطق (المحتلة)، وتهدد أمن جميع المستوطنين، حيث إن أعمال «القتل الجنونية» (كما يصفها شَلِيد) قد تدفع فلسطينيين معتدلين كثيرين إلى الانضمام إلى حركة حماس، أو القيام بعمليات انتقامية ضد اليهود».. خاصةً وأن الرئيس الأول لها «شموئيل بن يشاى» قد صرح فى عهد رئاسته للجنة، أن أية حادثة (يرتكبها عرب) تنطوى على مضايقة لحرية تنقل اليهود على الطرق تجعله يطلق النار للقتل من دون إنذار : «إننى لا أطلق النار فى الهواء، أنا أطلق النار كى أقتل»[(٣٧)] .

وقد أنشئت «لجنة أمن الطرق» باعتباره تنظيماً سرياً يملك كميات هائلة من السلاح والذخيرة والمتفجرات، بدعم من رئيس الأركان السابق «رفائيل إيتان»، ويقدر عدد أفراده بمئات من الأعضاء، يقيم معظمهم فى مستوطنة «كريات أربع»، وقد جهزت بوسائل نقل سريعة، وأجهزة اتصال حديثة، وتمتلك - كما أكدت التقارير الصحافية الإسرائيلية - مخابئ للأسلحة ومواد للتفجير وأسلحة فردية مرخص بحملها لأعضاء التنظيم، وتشير المعلومات إلى أن لجان هذا التنظيم قد بدأت نشاطها علناً، فى البداية، بتوفير مواكبة مسلحة لأتوبيسات «إيجد» ولسيارات المستوطنين المسافرين على طرق الضفة الغربية (ومن هنا اتخذت اسمها المعروف)، ثم مالبثت وأن انتقلت إلى العمل السرى، حيث بادرت إلى تنظيم حملات انتقامية إرهابية ضد الفلسطينيين، ومن اللافت للانتباه، أنه «فى المجالات كافة، كان [illegible] يصل إلى أماكن الحوادث بعد أن يكون أعضاء التنظيم قد غادروا المكان»![(٣٨)]

ومع تفاقم نشاطات هذا التنظيم الإرهابية والتى وصلت إلى حدود خطرة عام ١٩٩٠، تقدم مجموعة من أعضاء الكنيست (اليساريين) بطلبات استجواب للحكومة بشأن هذا التنظيم، طالبت فيها «بالكشف عنه ووضع حد لأنشطته»[(٣٩)] ، ولم تستجب الحكومة بالطبع.

---

(٣٤) جريدة يديعوت أحرونوت، إسرائيل، مذكورة فى جريدة العربى، القاهرة، ١٩٩٥/١١/١٣.

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) المصدر نفسه، ١٩٩٤/٢/١٤.

(٣٧) أحمد خليفة، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٩٠ - ١٩٣.

(٣٨) المصدر نفسه.

(٣٩) المصدر نفسه.

١٣- منظمة "قمع الخونة"، أو "دب":

اختصار للكلمتين العبريتين «ديكوى بوجريم»، «دال - بيت»، وهو تنظيم مغلق يضم نشطاء حركة «كاخ»، وتتولى المنظمة تجهيز عمليات الاغتيال، والتخطيط لتصفية خصومها وأعدائها، وهى لا تخفى أهدافها وإنما تعلنها عبر منشورات توزعها علناً (٤٠).

وقد اختار «مائير كاهانا» لهذه الحركة شعاراً لها هو شعار «رابطة الدفاع اليهودية» نفسه التى كان كاهانا قد أسسها من قبل فى الولايات المتحدة، وهو عبارة عن قبضة يد مضمومة داخل درع داود.

١٤- منظمة دولة يهودا:

أنشأ مؤسسو «دولة يهودا» السابق التعرض لها فى القسم الخاص بـ «تخوم الحرب الأهلية» تنظيماً سرياً مسلحاً أطلقوا عليه اسم «منظمة دولة يهودا» وقد اعتقل عدد من عناصره (والمنضمون إلى منظمة «كاخ» فى الوقت نفسه) للتحقيق معهم بشأن حوادث قتل لفلسطينيين، ووقائع لتهريب المتفجرات والأسلحة .. ولكن سرعان ما أفرجت السلطات عنهم «لعدم ثبوت التهم» ضدهم، فيما ظلت «منظمة دولة يهودا»، شأنها شأن «لجنة الأمن على الطرق»، «شبحاً يظهر ويختفى فى الصحافة الإسرائيلية من وقت لآخر». (٤١)

١٥- منظمة "سكان الدقائق الخمس":

مركزها مستوطنة «كفار سابا»، مجموعة شديدة التطرف، بالغة العدوانية، تميل إلى إثارة المشاكل وافتعال أسباب العنف (ضد العرب) والفوضى باستمرار (٤٢).

١٦- وحدات " الدفاع الإقليمي ":

بدءاً من عام ١٩٧٨، على نحو ما يذكر «دان روبنشتاين»، انتظمت فى المستوطنات اليهودية، وبتأييد ودعم من رئيس الأركان الإسرائيلى، آنذاك، «رفائيل إتيان»، أجهزة لـ «الدفاع الإقليمى» فى الأراضى المحتلة، اعتمدت، فى تشكيل بنيتها الأساسية، على المستوطنين المتعصبين، الذين تم تسريحهم من الوحدات الاحتياطية العادية التى خدموا بها، لكى ينتظموا فى هذه الوحدات الجديدة التى انتشرت فى مناطق مختلفة من الضفة الغربية المحتلة، وقد أصبح المستوطنون، بمقتضى هذا الإجراء، يخدمون فى «وحدات مستقلة ومتجانسة، وتحت قيادة ومعدات عسكرية تابعة للمستوطنات، وبتنسيق مع الحكم العسكرى فى المناطق المحتلة» (٤٣).

ويعلق «دانى روبنشتاين» على هذا الأمر، مشيراً إلى أن منازل المستوطنين، قد أصبحت ملآى بالأسلحة «التابعة للجيش الإسرائيلى»×، وأصبح كثيرون من المستوطنين يحملون الأسلحة ويتجولون بها فى شوارع الضفة الغربية وداخل المدن العربية (إمعاناً فى استفزاز العرب وجرح مشاعرهم وإرهابهم) حيث يخول القانون لهم صلاحية استخدام السلاح بصفتهم جنوداً خاضعين لوحدات الدفاع الإقليمى.

---

(٤٠) جريدة يديعوت أحرونوت، مصدر سبق ذكره.
(٤١) يهوشع ماتيرى، جريدة هآرتس، إسرائيل، ١٩٩٠/١/١٢.
(٤٢) مجلة روز اليوسف، القاهرة، العدد (٣٤٣)، ١٩٩٤/٣/٧.
(٤٣) دانى روبنشتاين، مصدر سبق ذكره، ص: ٨١.

وليس المقصود بهذه الوحدات، مجرد حراسات عسكرية بسيطة التجهيز، إنما الواقع أنها تمتلك تجهيزات عسكرية متقدمة، من ضمنها آليات حربية وأجهزة لاسلكى وأسلحة متطورة، الأمر الذى حولها «إلى قوة ردع فعال، وأصبح السلاح بحوزتهم أداة للانتقام والعقاب (للعرب)».(٤٤)

وفى أعقاب هذا التطور أصبح استخدام السلاح من قبل المستوطنين «أمراً روتينياً»، وخلال مظاهرات احتجاجية نظمها العرب فى الضفة الغربية، ظهرت على شاشات التليفزيون الإسرائيلى «صور للجنود وهم يسيرون جنباً إلى جنب مع المستوطنين المدججين بالسلاح، بينما يوجه المستوطنون - وليس الجنود - أسلحتهم ويطلقون النار على المتظاهرين مباشرة!»(٤٥).

١٧- منظمة «سيف داود»:

واحدة من المنظمات الإرهابية اليهودية فى إسرائيل، تعلن عن هدفها المركزى، وهو تصفية العرب الفلسطينيين، وتطهير «أرض إسرائيل الكاملة» من وجودهم(٤٦).

وقد وزعت منظمة «سيف داود»، فى سبتمبر ١٩٩٤، منشوراً غطى كل إسرائيل أعلنت أنه «قد قام من بين الشعب اليهودى خائن يدعى «إسحق رابين»، وهذا الخائن يريد أن يبيع القدس، وإطلاق سراح الآلاف من الفلسطينيين القتلة، ولذلك فإن عقوبته الموت»(٤٧).

١٨- الـ«سيكريكيم»:

جماعة إرهابية يهودية، تركز فى نشاطاتها على التصدى لأعضاء الأحزاب والتجمعات (اليسارية) بالعنف والإرهاب للحد من نشاطاتهم التى ترفضها الفاشية اليهودية؛ حيث تتصدى لعدوانيتها الزائدة فى مواجهة العرب.

وتتشبه هذه الجماعة السرية بطائفة من القتلة اليهود الذين كانوا يقومون باغتيال الرومان خلال عصر «المعبد الثانى».

وتشير المعلومات أن علاقة وثيقة تربط هذه الجماعة بجماعة «كاخ» الفاشية التى أسسها «مائير كاهانا»، وهى تستخدم أساليب محددة فى نشاطها، منها توجيه رسائل تهديد، وإلحاق الأضرار بالشخصيات العامة اليهودية من مؤيدى (السلام) مع العرب.(٤٨) وقد مارس هذا التنظيم نشاطاته لفترة محدودة ثم خَفُتَ إيقاعه.

---

(٤٤) المصدر نفسه.
(٤٥) المصدر نفسه.
(٤٦) جريدة يديعوت أحرونوت، مصدر سبق ذكره.
(٤٧) المصدر نفسه.
(٤٨) أحمد خليفة، مصدر سبق ذكره، ص : ١٩١

١٩- منظمة T.N.T. (إرهاب ضد إرهاب)، وبالعبرية "تيرور نيفد تيرور":

واحدة من أكثر المنظمات الإرهابية الإسرائيلية فاشية وعنصرية وعدوانية وشراسة، تأسست في مايو ١٩٧٥ تحت زعم التصدي لـ «الإرهاب العربي»، ودشنت الإعلان عن وجودها بحرق أتوبيس لنقل الركاب العرب في حي «وادي الجوز» بالقدس، ثم اتبعتها بإطلاق رسائل تهديد لشخصيات عربية قيادية في الضفة الغربية، محذرة بأنها «ستقوم بتصفيتهم إذا استمرت عمليات (التخريب) العربية ضد الإسرائيليين».(٤٩)

شديدة التأثر، من الناحية الأيديولوجية، بالأفكار والدعوات الفاشية والعنصرية التي تطلقها الحركات المشابهة في إسرائيل كحركة «كاخ» و حركة «جوش ايمونيم»، وهي وثيقة الارتباط - من الناحية التنظيمية - بالحركة الأولى، وتشير القرائن إلى أن عناصر (T.N.T.) هم في الغالب من اليهود الأمريكيين الذين تم إعدادهم تنظيمياً، وتدريبهم عسكرياً، قبل أن يتم شحنهم - لأداء مهماتهم - في الأرض العربية المحتلة، (٥٠) وقد تم هذا الأمر برعاية الفاشي «مائير كاهانا» الذي اعتقل ذات مرة وهو يحمل لافتة كتب عليها «أنا أؤيد T.N.T.»، ويشير البعض من كوادر هذه المنظمة إليها باعتبارها الجناح السري العسكري الذي يكمل عمل النشاط السياسي العلني لحركة «كاخ» العنصرية الفاشية، و «لمواجهة الإرهاب بإرهاب مثله»، وقد غمرت البوسترات شوارع الأراضي المحتلة وغطت أبواب محلاتها التجارية ملصقات تتضمن شعار : « العين بالعين، والسن بالسن ».(٥١)

وقد أثبتت التحقيقات مع العديد من عناصر هذه المنظمة الإرهابية مسئوليتها عن العديد من العمليات الإجرامية مثل محاولة اغتيال رؤساء البلديات العرب، الثلاث، «بسام الشكعة» و «إبراهيم الطويل» و«كريم خلف»، (١٩٨٠)، والانفجار الذي أطاح بمدخل «سينما الزهراء»، في القدس، (فبراير ١٩٨٢)، ووضع عبوات متفجرة في مساجد الخليل (ديسمبر ١٩٨٣)، ووضع متفجرات في أنحاء متعددة بالأراضي المحتلة، وغيرها.

ويقول «آندي جرين» عضو منظمة «T.N.T.» وأحد «صبية» منظمة «كاخ»، وهو شاب يهودي مهووس، مولود في أمريكا، وتلقى تدريبه العسكري في معسكر للتدريب تابع لرابطة الدفاع اليهودي، قبل انتقاله إلى الأراضي المحتلة لكي يمارس «مهماته» الإرهابية : «ليس للعرب أي حق في الأرض، إنها أرضنا على نحو مطلق، لقد ورد هذا في التوراة، ذلك أمر لايمكن الجدال فيه، لذلك لست أرى مبرراً في الجلوس والتحدث إلى العرب عن الادعاءات المتعارضة بالحقوق، فالأقوى دوماً يحصل على الأرض»، وهو - بناء على تعليمات لكاهانا ألقاها عليه - يعتبر «الذين يقتلون العرب أبطالاً»، وقد شارك مع مجموعات من شباب اليهود الذين انتموا إلى فرع «بروكلين» من «رابطة الدفاع اليهودي» في مئات من عمليات إلقاء القنابل والاعتداءات الإرهابية وعمليات الاغتيال للفلسطينيين، وحينما كان مجنداً بالجيش الإسرائيلي هرَّبَ أسلحة ومتفجرات إلى تنظيمه، وحاول ذات مرة سرقة دبابة من معسكره، لقصف مدينة أريحا في الضفة الغربية، وحينما اعتُقل في أعقاب عمليات تدمير واغتيال في الضفة الغربية، أخبر جهاز الأمن الداخلي «الشين بيت»، بحكايات مرعبة عن أعمال عنف ارتكبت بأسلوب «الكلوكلوكس كلان»(٥٢) الإرهابية الأمريكية الشهيرة ضد أبناء

---

(٤٩) مجلة هعولام هزيه، إسرائيل، ١٩٨٤/١/٤
(٥٠) جريدة عال همشمار، إسرائيل، ١٩٨٣/١٢/٢١.
(٥١) جريدة هآرتس، إسرائيل، ١٩٨٤/١/٦.
(٥٢) مجلة هعولام هزيه، مصدر سبق ذكره.

الشعب الفلسطينى.

٢٠- مجموعة « معهد الهيكل » :

العقل المدبر وراء إنشاء هذا المعهد وقيادة هذه المجموعة هو الحاخام «إسرائيل أرئيل»، وهو حاخام متطرف سبق وأن رأس «يشيفاه»، «مدرسة دينية» يهودية، فى مستعمرة «ياميت» التى رحل عنها مستوطنوها وعادت إلى مصر، عام ١٩٨٢، فى أعقاب الاتفاقية المصرية - الإسرائيلية، وقد كان الحاخام «إسرائيل أرئيل» أحد القادة الذين نظموا حركات الاحتجاج العنيف على قرار إجلائهم من «ياميت».

كما رشح هذا الحاخام على قائمة حركة « كاخ » الفاشية للكنيست، عام ١٩٨١، ولكنه فشل فى أن يحوز عدد الأصوات المطلوبة لنجاحه.

اشتُهِرَ عنه فتاويه التى تبرر تدمير ممتلكات العرب وإبادتهم وتصفية وجودهم فى فلسطين المحتلة، فى الثمانينيات، واعتبر «باروخ جولد شتاين»، سفاح مجزرة الحرم الإبراهيمى فى الخليل، بعد مقتله «شهيد حرب من أجل أرض إسرائيل (..) فهؤلاء القتلى العرب، الذين يقال عنهم أبرياء، كانوا قد ذبحوا أناساً أبرياء من اليهود، من الشيوخ والنساء والأطفال عام ١٩٢٩ (!)»(٥٣).

ويستهدف المعهد إعداد كل الدراسات والاحتياجات الأساسية والتجهيزات اللازمة لاستخدامات «هيكل سليمان» بعدما يتم إعادة بنائه، فى موقع المسجد الأقصى، حسبما يخطط الأصوليون اليهود، ويضم من أجل تحقيق هذه الغاية، كل الكفاءات البشرية والفنية التى يحتاجونها لأداء هذه المهمة «المقدسة».

٢١- ميليشيات المدارس الدينية :

مجموعات إرهابية تضم طلاب «اليشيفوت»، (المعاهد الدينية اللاهوتية فى إسرائيل)، الذين نظموا أنفسهم لتحقيق غاية واحدة هى قتل العرب الفلسطينيين(٥٤).

وهذه المدارس تضم عشرات الآلاف من الطلاب، ويتم تجنيدهم وتدريبهم على استعمال السلاح فى إطار مدارس خاصة تكفل لهم - إضافة إلى هذا - عدم الانقطاع عن الدراسات التوراتية والتلمودية.

٢٢- تنظيم « ييشع »، « مواطنون من أجل يهودا والسامرة وغزة » :

أسسه عام ١٩٨٥ محامٍ من غلاة (القوميين) الطليعيين من مستوطنى «كريات أربع»، ويعد واحداً من أشد العناصر المتطرفة جهداً ونشاطاً هو «الياكيم يعتسينى». تحددت حماية هذا التنظيم فى تعبئة المعارضة السياسية لاستباق أية تسوية سلمية بين الإسرائيليين والفلسطينيين والعرب، وبالذات مبادرات حسين - بيريز «السلمية» التى كانت بوادرها تلوح فى الأفق، آنذاك.

---

(٥٣) جعفر هادى حسن، معهد بناء الهيكل يباشر بإعداد المعدات واللوازم، جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٤/٧/٦.

(٥٤) مجلة روز اليوسف، القاهرة، العدد (٣٤٣)، ١٩٩٤/٣/٧.

(٥٥) ELIAKIM HARTZNI, Shock of withdrawal from the land of Israel (Jerusalem : Elisha 1986), P. 9.

ويصل «يعتسيني» في كتاب له عنوانه «صدمة الانسحاب من أرض إسرائيل» إلى القول بحق «اليهود الأوفياء لأرض إسرائيل في مقاومة دولة إسرائيل أو حتى إطاحتها، إذا ما خانت الصهيونية والشعب اليهودي، بالموافقة على ترك بعض أجزاء الوطن للحكم العربي»(٥٥). وقد اتخذ تنظيم «مواطنون من أجل يهودا والسامرة وغزة» قراراً يتضمن أن أي نظام للحكم في إسرائيل، يتجه إلى تطبيق أية مقترحات «سلمية»، سيعد نظاماً «غير شرعي»، كما عَدَّ الجنرال «ديجول» نظام المارشال «بيتان» الذي خان الشعب الفرنسي في فيشي»(٥٦)، وكان يعتسيني، قد انتقد بحدة، في يناير ١٩٨٥، كبار رجال الدولة والجنرالات العسكريين «لأنهم لم يطبقوا سياسة الأرض المحروقة في لبنان، بما في ذلك تدمير بيروت تدميراً كلياً وطرد مئات الألوف من الشيعة، من الجنوب اللبناني»(٥٧).

٢٣- المنظمة الدولية لضحايا الإرهاب العربي:

تجمع صهيوني مُغرَق في يمينيته ترأسه «شيفرا هوفمان»، وهي واحدة من الدعاة المتطرفين للفكر الصهيوني الكاهاني. وتضم المنظمة عناصر شديدة العداء والكراهية للعرب، وتعمل على تعبئة الرأي العام بحقنه بمزيد من المزاعم عما يطلق عليه «الإرهاب العربي».

وقد ألقت هوفمان خطبة تحريضية صاخبة في احتفال أقامه أنصار «مائير كاهانا»، الحاخام الفاشي، بعد يومين من اغتيال «إسحق رابين» على يد «إيجال عامير» بالمدرسة التلمودية الواقعة في حي «صامويل حنافي»، أكدت فيها: «أن حكومة رابين هي المسئولة عن العنف في إسرائيل، لأنها أفرجت عن الآلاف من (الإرهابيين) من منظمة التحرير الفلسطينية» مبرزة مقالات في الصحف عن العمليات الفدائية التي جرت وقائعها في العامين الأخيرين، كما عرضت صوراً ضمت نحو مائة من الإسرائيليين القتلى، يحيطون بصورة لإسحق رابين يصافح «ياسر عرفات»، في إشارة موحية إلى أنهما القتلة!(٥٨)

٢٤- منظمة «هاشوير الجديدة»:

لاحظت أوساط إسرائيلية كثيرة، ومنهم صحفيون نافذون قريبون من مصادر المعلومات ومراكز اتخاذ القرار في إسرائيل، أن هناك بوادر تشير إلى تشكيل «تنظيم عسكري سري وسط المستوطنين» يستهدف القيام بعمليات انتقامية ضد العرب الفلسطينيين، وإرهابهم بالعنف الهمجي لدفعهم إلى ترك وطنهم والنزوح عن أراضيهم بالقوة، الأمر الذي «يزيد المؤشرات حول احتمالات فقدان السيطرة على التطورات» كما يذكر زئيف شيف المحرر العسكري لصحيفة هآرتس الإسرائيلية.(٥٩)

---

(٥٦) (the State of Israel VS. the State of Yesha) MOSHE SHABIRA, Nekuda, Israel, No. 93, Novermber 22, 1985,P. 11.

مذكورة في : إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص : ١٢٩.

(٥٧) مذكورة في :

Nekuda, Israel, No. 98, April After The Next War, ELIAKIM, HARTZNI, 23,1986, P. 35.

(٥٨) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٥/١١/٧.

(٥٩) مذكورة في جريدة العربي، القاهرة، ١٩٩٥/٢/١٤.

«رونى شكيد»، فيكتب فى صحيفة «يديعوت أحرونوت» (٦٠) مؤكداً أن لدى هذا التنظيم «إمكانيات هائلة، مثل قدرتهم على دراسة منطقة العمليات، ومعلومات استخبارية مسبقة، وتخطيطاً للوصول والانسحاب، وإعداداً الأسلحة، وأيضاً أسلوباً لإيصال معلومات عن العملية لوسائل الإعلام» (٦١) .

ومن وجهة نظر إسرئيلية، فإذا لم يتم لجم هذه العمليات، ستعرض للخطر الاتفاق بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، «حيث توجد لدى بعض الأطراف مصلحة فى مضاعفة حالة عدم الإحساس بالأمن، حتى تصبح الأرض خصبة للنشاطات التى يمكن أن تقوم بها هذه المجموعات المسلحة». (٦٢)

وفى مراحل لاحقة، بعد ذكر هذه الأنباء أشارت جريدة «معاريف» الإسرائيلية(٦٣) إلى أنه قد تم - بمشاركة من «أرئيل شارون» - وزير الدفاع الأسبق، تكوين شبكة من المستوطنين اليهود، المتفرغين للتدخل فى «الأحداث الأمنية»، وأن اجتماعاً قد عقد فى «السامرة»، (الضفة الغربية)، ضم مستوطنين متدينين، ومجموعة من العسكريين المتقاعدين (منهم «مائير هريستون»، «بطل» الوحدة ١٠١)، وكان موضوع اللقاء إنشاء تنظيم عسكرى لتجنيد عشرات الآلاف من المتطوعين، من داخل مستوطنى «الخط الأخضر» (حدود عام ١٩٤٨)؛ بهدف : حماية وتعزيز وضع اليهود فى الضفة الغربية، مع بدء دخول القوات الفلسطينية للمواقع التى تم الاتفاق على منحها للفلسطينيين بموجب اتفاقية التسوية مع الدولة الإسرائيلية.

وذكرت القيادة المبادرة لهذا العمل أنه «فى مواجهة ٢٠ ألف (مخرب) مسلح، يجب أن يكون هناك على الأقل مثل هذا العدد من المتطوعين اليهود، يدعمون أشقاءهم وشقيقاتهم، وسيأتى هؤلاء من دولة إسرائيل، وربما من أنحاء العالم، لتحقيق المبدأ القديم الذى يقول إن الإسرائيلى عون أخيه». (٦٤)

وتشتمل الخطة المطروحة لهذه التشكيلات على إقامة قاعدة تنظيمية، وجمع أموال، وإنشاء مراكز للدعاية وتسجيل أسماء المستوطنين المتطوعين، ومكاتب فى قلب المدن، وهيئات لتنظيم وتوزيع هذه القوات .. «وفى النهاية سيكون لكل مستوطنة احتياطى خاص بها مكون من فئات وآلاف المتطوعين» .. وهذا يعنى - حسب رأى «يهوشع سيشنى» أحد قادة هذا العمل فى «كريات أربع» والخليل، وأصحاب المبادرة لطرح وتحقيق هذه الفكرة - «أن الجيش فى نظرنا لم يعد له وجود». (٦٥)

ويشير «زان هعتسنى»، أحد غلاة المستوطنين العنصريين، إلى أن منظمى هذا العمل، «قد عادوا إلى اسم «هاشومير»، بكل شحنته التاريخية الكبرى» (٦٦).

ومعروف أن منظمة «هاشومير» المشار إليها، منظمة عسكرية أسسها المتعصبون من «حزب عمال صهيون» عام ١٩٠٩، حيث حددت منهجها برفض الحراسة السلبية للمستعمرات، ودفعت إلى ممارسة العنف ضد السكان العرب، حتى يمكن خلق مايسمى بـ «اليهودى العنيف» المتحرر من مشاعر الخوف، أو الجبن عن طريق

---

(٦٠) المصدر نفسه.
(٦١) المصدر نفسه.
(٦٢) جريدة هآرتس، إسرائيل، مصدر سبق ذكره.
(٦٣) جريدة معاريف، إسرائيل، ١٩٩٥/٩/٢٩.
(٦٤) المصدر نفسه.
(٦٥) المصدر نفسه.
(٦٦) : المصدر نفسه.

حياء الأساطير الشعبية اليهودية القديمة.

وقد كان للمنهج الذى وضعته فرق «الهاشومير» الفضل فى تأسيس الركائز التى استندت إليها الحركة الصهيونية، فيما بعد، لإنشاء «المؤسسة العسكرية الصهيونية» الراهنة.(٦٧).

٢٥- «سرايا الحرس المدني»:

أعلن «موشى شاحال»، وزير الشرطة الإسرائيلى، يوم ١٩٩٣/٩/٦، عن إنشاء سرايا من الحرس المدنى فى المستوطنات اليهودية بالأراضى المحتلة، وستقام قواعد هذه السرايا فى مستوطنات «معالى أوميم» و«جيفات زيف» و «آريل» و «معالى أفرانيم» بالضفة الغربية، وكذلك فى مستوطنات «جوش كاتييف» بقطاع غزة.

وكانت الحكومة الإسرائيلية السابقة التى رأسها «إسحق شامير» قد سمحت منذ أوائل التسعينيات بأن يقوم مستوطنون إسرائيليون مسلحون فى الضفة المحتلة بمهام الشرطة فى المستوطنات التى تحيط بها مدن وقرى عربية.(٦٨)

وقد جاءت هذه الخطوة فى محاولة من حزب العمل تستهدف «امتصاص غضب المستوطنين»(٦٩) اليهود، إزاء الاتفاق الذى كان على وشك التوقيع، بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، والخاص بالحكم الذاتى المحدود للفلسطينيين على مساحات محددة من الأراضى المحتلة، ونتيجة لإلحاح المستوطنين المستمر منذ عدة سنوات لإنشاء هذه القوات وتوسيع صلاحياتها.

وقد أعلن «شاحال» عن تشكيل هذه السرايا خلال لقائه مع ممثلى المستوطنات لبحث بنود الاتفاق الإسرائيلى - الفلسطينى، والذى ينص على إنشاء شرطة فلسطينية، وأوضح أن سرايا «الحرس المدنى» ستكلف بالأمن «وفقاً لقواعد الشرطة»، (٧٠) وسيقتصر مجال عملها على نطاق المستوطنات، وعلى الرغم من أن هذه السرايا تتصف بكونها هيئة رسمية تابعة للدولة، إلا أن ظروف تكوينها، ومحيط نشاطها، وطبيعة عناصرها، تجعلها - فى نهاية المطاف - جزءاً من ترسانة الجماعات والتنظيمات الإرهابية الصهيونية فى الأراضى المحتلة، والتى جعلت نصب أعينها هدفاً واحداً هو: إرهاب الفلسطينيين، ودفعهم دفعاً للرحيل من بلادهم.

٢٦- «فرق الموت» في الجيش الإسرائيلي:

أنشئت «فرق الموت»، إبان فترة قيادة «موشى آرينز» لوزارة الحرب الإسرائيلية فى أوائل التسعينيات كمجموعات انتقامية سرية، رسمية، داخل الجيش، إبان تصاعد انتفاضة الشعب الفلسطينى، لكى تقوم بعملية اغتيالات واسعة داخل صفوف القيادات الوطنية الفلسطينية، وهى ترتدى الزى العربى، حتى تلصق تهمة التصفية للخصوم داخل الصف الفلسطينى، محدثة الفرقة والشقاق بين فصائله المختلفة، وقد أشار الكاتب الإسرائيلى (الليبرالى) «أمنون كابليوك»، فى كتابه «الخليل مجزرة معلنة»، الصادر عام ١٩٩٤، عن دار «آرليا» الفرنسية، بالاشتراك مع دار «سوى»، إلى دور هذه الفرق فى مخطط قمع الشعب

---

(٦٧) راجع: صلاح زكى أحمد، نظرية الأمن الإسرائيلى، بيروت، دار الوسام - دار ابن زيدون، ط١، ١٩٨٦، ص ص: ٤٦-٤٩م

(٦٨) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩١/١٢/٢٧.

(٦٩) جريدة الوفد، القاهرة، ١٩٩٣/٩/٧.

(٧٠) المصدر نفسه.

لفلسطينى، أواخر عقد الثمانينيات وبدايات عقد التسعينيات.

وكان الرئيس الفلسطينى، «ياسر عرفات»، قد اتهم ما أسماه «تنظيماً سرياً داخل الجيش الإسرائيلى» والمستوطنين، بالرغبة فى نسف «الحل السلمى» بعد قتل ٨ فلسطينيين وجرح نحو ٤٧ آخرين فى قطاع غزة (المحتل) يوم ٢٨ مارس ١٩٩٤ (٧١)، فى حين دافع وزير الإسكان الإسرائيلى «بنيامين بن أليعازر» الذى كان مقرباً من «إسحق رابين»، عن سلوك عناصر هذا «التنظيم السرى» وقدم المبررات الضرورية لتغطية جريمتهم بتصريحه أن الجيش الإسرائيلى قد «قام بواجبه» عندما قتل ستة من عناصر «صقور فتح» فى مخيم جباليا، وقد سقط فى هذه المجزرة قتيلان آخران هما رجل وامرأة من المارة، وأصيب ستة فلسطينيين، من بينهم فتىً إصابة خطيرة، وامرأتان (٤٠ و ٦٥ عاماً). فى حين وصف «سفيان أبو زيدان»، المسئول فى حركة فتح، فى قطاع غزة هذا الحادث بأنه «عملية قتل بأعصاب باردة نفذها الجيش الإسرائيلى» (٧٢).

وفى تقرير أصدرته جماعة «بيت سلم» الإسرائيلية، لحقوق الإنسان (٧٣) (يونيو ١٩٩٢)، رصدت الجماعة مصرع تسعة عشر فلسطينياً فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين على أيدى هذه الفرق، فى الفترة من أول يناير إلى ٨ مايو ١٩٩٢، كما أشارت الجماعة إلى أن «فرق الموت» العسكرية، المكونة من قلب المؤسسة العسكرية الإسرئيلية، وبإشرافها، قد نفذت عمليات القتل لخمسة وعشرين فلسطينياً فى عام ١٩٩١، مشيرة إلى أن الجيش - بصورة عامة - قد أصدر تعليمات تخفف القيود الموضوعة على إطلاق الرصاص فى مواجهة أبناء الشعب الفلسطينى. وأشار التقرير إلى أن القتلى الفلسطينيين كانوا عزلاً .. كما أشار إلى أن إطلاق الرصاص قد تم على يد «فرق الموت» بواسطة طلقات قاتلة، أطلقت من مسافات قريبة، وعلى الجزء العلوى من أجسام الشهداء الفلسطينيين، وبكميات كبيرة من الطلقات، كما استنكر التقرير إشادة «موشى أرنيز»، وزير الدفاع الصهيونى الأسبق، بـ «فرق الموت» وتمجيده لأفعالهم الهمجية.

٢٧- حركة الحشمونيين :

«الحشمونائيم» أو «اللونريم»، نسبة إلى زعيمهم «لرنر»، أعلن عن هذه الحركة فى يوليو ١٩٨٢، بعد اكتشاف متفجرات مخبأة على سطح إحدى المدارس الدينية اليهودية فى البلدة القديمة بالقدس، عن طريق الصدفة، وذكر المختصون أن كمية المتفجرات المضبوطة كانت كافية - لو انفجرت - لنسف نصف الحى اليهودى.

وقد أدى التحقيق فى هذه الواقعة إلى اعتقال أعضاء تنظيم أطلقوا على أنفسهم اسم «الحشمونائيم»، بزعامة «يوآل لارنر»، وبعد تحقيقات مطولة معهم تبين أن تخزين هذه المتفجرات كان بغرض الإعداد لنسف «الصخرة المشرفة» فى القدس، وكان «لرنر» الذى عمل مدرساً للغة الإنجليزية بالمدرسة المفتوحة فى القدس، قد استفاد من موقعه فى تجنيد العديد من الطلاب والطالبات للحركة، وحُكم عليه فى هذه القضية بالسجن لمدة عامين.

غير أن حركة «الحشمونيين» لم تتوقف باعتقال زعيمها، فقد واصل أتباعه العمل الإرهابى بحرق سيارات العرب الفلسطينيين، وزرع قنابل موقوتة فى المناطق العربية بالقدس ومحاولة التخريب الفاشلة لـ «الدير

---

(٧١) جريدة الحياة الدولية، لندن، ١٩٩٤/١٢/٢٣.
(٧٢) المصدر نفسه ١٩٩٤/٣/٣٠.
(٧٣) جريدة الوفد، القاهرة، ١٩٩٢/٦/٥.

لتونسيسكانى» والكنيسة اليونانية، الأرثوذكسية، فى جبل «المكبر»، ومسجد قرية «بيت صفافا»، وبتفجير متفجرات فى قرية «هوسان» قضاء بيت لحم.(٧٤)

وبتحليل نوعيات المتفجرات توصلت أجهزة الأمن إلى اختراق تنظيم الحشمونيين للجيش الإسرائيلى، الذى استمد منه هذه المواد المحظور تداولها.

ويعد الحاخام «أفيدور نفتتسال» المرشد الروحى لهذه الجماعة، التى تعلن عن أهدافها الأساسية فى «السيطرة على بيت المقدس، وطرد السكان العرب من القدس كلها، ومن «أرض إسرائيل الكبرى» التى يجب أن تكون خالصة لليهود وحدهم».(٧٥)

٢٨- حركة «جبل البيت» السرية :

إحدى الحركات السرية الصهيونية، الأصولية، التى تركز نشاطها باتجاه العمل على هدم المسجد الأقصى، وإعادة بناء «الهيكل الثالث» فى مكانه. وهى، تحقيقاً لهذا الغرض، تؤمن بضرورة طرد العرب من أراضيهم لكى تصبح «أرض إسرائيل الكبرى» خالصة لليهود الصهاينة والأصوليين.

اكتُشِفَت هذه الحركة فى مارس ١٩٨٣، عقب اعتقال ٤٥ شاباً من المتدينين الأصوليين، الذين كانوا يعدون العدة لاقتحام «جبل البيت» والاستيطان فيه بقوة السلاح.

«وكان الكثير من هؤلاء الشبان يحملون لدى اعتقالهم أسلحة عسكرية إسرائيلية»(٧٦)، أى أنهم حصلوا عليها بمعونة، من عناصر مسئولة داخل الجيش الإسرائيلى، وتم اعتقالهم فى منزل الحاخام «يسرائيل آرئيل»، وأطلقت عليهم أجهزة الإعلام الصهيونية اسم «حركة الحاخام آرئيل» السرية، أو حركة «جبل البيت» السرية(٧٧).

ويتزعم هذه الحركة الحاخام «يسرائيل آرئيل»، الذى وُلد فى حيفا عام ١٩٣٩، كما درس فى مدرسة «مركاز هارب» الدينية، وعمل حاخاماً للجيش الإسرائيلى فى القطاع الشمالى، وبعد توقيع اتفاقات كامب ديفيد، والإعلان عن الانسحاب من سيناء، أنشأ منظمة «ماعوز»، وهى الجناح المتطرف لحركة وقف الانسحاب، ثم انتخب عضواً فى الكنيست الحادى عشر على قائمة حزب «هتحياه» العنصرية المتطرفة.(٧٨)

وإضافة إلى مواقفه السابقة، فالحاخام «آرئيل» من المؤمنين بأن حدود «أرض إسرائيل الكاملة»، تمتد أيضاً لكى تشمل الأراضى اللبنانية.

٢٩- عصابة «أبناء يهودا» :

مجموعة من اليهود المتطرفين، غريبى الأطوار والعادات؛ غيبية الرؤى، تستوجب عقائدهم الغريبة المشى ووجوههم دائماً فى اتجاه الشمس أياً كان موقعها من السماء!

---

(٧٤) مجلة هعولام هزيه، إسرائيل، ١٩٨٤/١/٤.

(٧٥) المصدر نفسه، ١٩٨٣/١٢/٢٨.

(٧٦) سعيد تميم، المنظمات الإرهابية فى الكيان الصهيونى، المجلة العسكرية الفلسطينية، تونس، العدد (٤)، السنة (٣)، أكتوبر ١٩٨٦، ص : ١٤.

(٧٧) المصدر نفسه، ص ص : ١٤ - ١٥.

(٧٨) مجلة الأرض، دمشق، العدد (٨١)، ١٩٨٤/٦/٧.

اختارت هذه المجموعة الغريبة خرائب قرية «لفتا» العربية، فى المشارف الغربية لمدينة القدس، للاعتكاف بها، نظراً لتواجد ينابيع للمياه، تقوم الجماعة بممارسة طقوس الطهارة فيها، ويعتبر أعضاء هذه الجماعة «رسل المسيح».

فى أواخر يناير ١٩٨٤، حاولت عناصر «أبناء يهودا» تهريب صناديق من المتفجرات إلى ساحة «المسجد الأقصى» و «قبة الصخرة» لتدميرهما، وقد اكتشف الحراس العرب الأمر وأحبطوا عملية التفجير فى الوقت المناسب، وأثبتت التحقيقات التالية تجهيز العصابة لقصف الحرم القدسى؛ باستخدام طائرة، من الجو.

وأثناء التحقيق مع أفراد العصابة، اعترف المتهم الثانى منهم أنه : «قبل حوالى أربع سنوات بدأت بالتفكير بضرورة تطهير جبل «الهيكل» من التواجد الإسلامى فيه، واليوم أرى فى هذه المهمة هدفاً، ومحوراً، وراية، فى سبيل إسرائيل ونحو الخلاص. كان من واجب الدولة أن تفعل ذلك، حالاً، وأثناء حرب الأيام الستة»(٧٩).

وقد ثبت من التحقيقات أن أفراد العصابة تلقت فتاوى من حاخامات متطرفين باركت هذا المسعى الإجرامى، وبرر بعض قياديها مسلكهم هذا، أمام المحكمة المركزية فى القدس.

٣٠- الاتجاه الثالث :

حركة استيطانية احتجاجية جديدة، أنشئت عام ١٩٩٥ بفضل مساندة «دان شوبرون» رئيس الأركان السابق، ونائبين آخرين من نواب حزب العمل فى الكنيست هما «أفيجدور كهلانى» و «عمانويل زيسمان»، وكلاهما من الضباط القدامى.

أعلنت هذه الحركة عن هدفها وهو «معارضة إعادة الجولان» للسوريين، ثم وسعت برنامجها لكى يضموا فيه «سائر الأراضى المحتلة الأخرى»(٨٠).

ويسعى أتباع هذه الحركة إلى تمييز أنفسهم عن أنصار «إسرائيل العظمى» وعمن يطلقون عليهم «اليساريين أنصار الخضوع الكامل لمطالب العرب !!».

وصوّت نائبا الحركة ضد اتفاقية «أوسلو -٢» فى الكنيست الإسرائيلى؛ وتقترح الحركة تجميع المناطق الفلسطينية المتفرقة حالياً فى تجمعات أوسع، مركزة حول «نابلس» و «رام الله» و «بيت لحم» و«الخليل (بانتوستات)»، وتربط بينها شبكة من «الممرات الضيقة»، الأمر الذى يضمن صراحة لإسرائيل ميزة السيطرة على مصادر المياه المتوافرة فى الضفة، علاوة على أنها ستحتفظ بالرصيد العمرانى الهائل الذى شيدته فى أكبر عشرين مستوطنة يهودية مثل «آريال» و «كروحيم» و «أوتاريم» و«جيفات» و «زياف» و «معالى أدويم» و «بيتار» و«أيفرات»، كما سيدعم هذا الاتجاه الصلة مع المستوطنات فى وادى الأردن ذات الأهمية الاستراتيجية البالغة لإسرائيل».

---

(٧٩) LE MONDEDIPLOMATIQU, Paris, December, 1995.

(٨٠) المصدر نفسه.

(٨١) مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (٨)، خريف ١٩٩١، ص : ٥٠.

٣١- "جمعية تجديد الاستيطان اليهودي في مدينة القدس القديمة كلها" أو "عطرا ليوشنا ـ بالعبرية" :

اعتبرها المراقبون «أهم أداة تحققت بوساطتها، أواسط الثمانينيات، أهداف إسرائيل الديموغرافية فى الأحياء الإسلامية من المدينة القديمة»(٨١) ، وقد تأسست عام ١٩٧٩ من أجل «استرجاع وبعث وتجديد الاستيطان اليهودى فى تلك الأحياء التى ليست أقل «يهودية» من الحى «اليهودى» نفسه»(٨٢) ، ومن رعاة هذه الجمعية ومؤسسيها : حاخام إسرائيل الرئيس «للسفارديم» وحاخام المدينة القديمة»(٨٣) .

وتركز المنظمة جهودها على تحقيق عملية الاستيلاء على الأراضى الفلسطينية التى لازالت بين أيدى الفلسطينيين، فى المدينة القديمة، بكل السبل الممكنة، ومصادرة ما تبقى من أملاك عربية، وإحلال مُلاك يهود محلهم.

ومن أبرز أنشطتها احتلال منازل فى طريق الواد، واحتلال دير «ماريوحنا» فى حارة النصارى، بدعم من الحكومة وأجهزتها.

٣٢- مجموعة «تاج الكهنة»، أو «عطيرت كوهانيم ـ بالعبرية» :

أسسها عام ١٩٧٨، عسكرى متطرف سابق فى الجيش الصهيونى هو « متتياهو هاكوهينى»، أحد مستوطنى مرتفعات الجولان، على هيئة مؤسسة تعليمية دينية «يشيفا» يقودها الحاخام «شلومو أفينز».

عناصرها من صفوف القوميين ـ الدينيين، وتُعتبر «يشيفا» النخبة الأصولية من عناصر «جوش إيمونيم» العنصرية؛ وهى تكثف جهودها فى دراسة الطقوس الكهنوتية التلمودية»، التى كانت متبعة فى «هيكل سليمان» استعداداً وتحضيراً لمجىء المسيح المخلص؛ مثلما أوضحها الحاخام «جافتس حاييم».

فى بداية عقد التسعينيات قدرت صحيفة «Jerusalem post» عدد عناصره بمائتى فرد، وهى تحظى بدعم مالى حكومى ضخم، وتقوم - إضافة إلى نشاطاتها اللاهوتية - بامتلاك الأراضى العربية، وهى تفضل العمل من خلف ستار على الضجيج الإعلامى الملفت للأنظار، وتؤمن - مثلما يقول الحاخام «أفينز» بوجوب أن تكون على استعداد للقيام بالشعائر الدينية عندما يُبنى الهيكل، وتعد نفسها - وجمهورها كذلك - للحظة التى يتحقق فيها هدفهم لأنه - من وجهة نظرها - «إذا شاء الجمهور أن يكون الهيكل .. فسيكون»(٨٤).

٣٣- توراة كوهانيم :

تُشبه فى أفكارها وأيديولوجيتها عقائد «عطيرت كوهانيم»(٨٥) ، وتنذر نفسها لدراسة المعارف المتعلقة بـ

---

(٨٢) كراس للمنظمة بدون تاريخ.

(٨٣) كراس للمنظمة، ١٩٨٦.

(٨٤) JERUSALEM POST, December 12/1983

مذكورة فى : مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (٨)، خريف ١٩٩١، ص ص :٤٧-٤٨.

(٨٥) مجلة الدراسات الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، ص ص : ٤٨-٤٩.

«هيكل سليمان» وكذلك السعى إلى امتلاك ما يمكن امتلاكه فى الأحياء الإسلامية من المدينة القديمة.

تنتمى إلى اليمين السياسى (القومى) - الدينى، وإلى المنظمة الاستيطانية «جوش إيمونيم»، وتعمل على اجتذاب طلاب «الهِسْدير»، أى الشباب الإسرائيلى الذى يخدم فترة تجنيده فى دراسة التوراة والتفقه فى الشريعة (الهالاخاه).

٣٤- حركة «إسرائيل الفتاة» :

تنظيم عنصرى للمستوطنين المتطرفين يتزعمه الحاخام «نحمان كاهانا» شقيق الحاخام العنصرى «مائير كاهانا»، زعيم حزب «كاخ».

يُدَرِّسُ الحاخام كهانا لعناصر حركته خليطاً من لاهوت «إسرائيل الكبرى» وبعض المعارف المتعلقة «بهيكل سليمان».

اصطدمت المجموعة اصطدامات عنيفة بالفلسطينيين حول «طريق المواد»، واتهم ابن الحاخام «نحمان كاهانا» بإطلاق الرصاص من بندقيته الآلية على حشد من الفلسطينيين بالمدينة القديمة؛ وهى تتحرش بالفلسطينيين فى المواقع الإسلامية، وتنظم رحلات استفزازية لزيارة «جبل الهيكل»، (الحمام الشريف)، كما توزع بطاقات بريدية تحمل صورة للهيكل الثالث فى موقع «الحرم الشريف»، و «قبة الصخرة» (٨٦) .

٣٥- رابطة «صندوق جبل البيت»

حركة صهيونية فاشية متطرفة، أعلن عن ميلادها عام ١٩٨٣، تمارس أنشطتها فى كل من إسرائيل والولايات المتحدة، ومركزها الرئيسى فى القدس المحتلة (٨٧) .

تمول هذه الحركة من قبل التجمعات المسيحية الصهيونية المتطرفة فى أمريكا عموماً، وفى كاليفورنيا بالذات ويترأسها رجل الأعمال الأمريكى الثرى «تارى أزينهوفر»(٨٨) ، وتضع على رأس مستهدفاتها العمل على هدم المسجد الأقصى وبناء «الهيكل الثالث» فى موقعه، وتنشيط عمليات احتلال الأراضى العبرية وقد أكد هذا التوجه عضو الكنيست الإسرائيلى «يهودا بيرح»، عن الليكود، الذى أعلن يوم ١٩٨٣/١/٢٢، أن «رابطة صندوق جبل البيت»، ستتبرع بعشرات الملايين من الدولارات للاستيطان فى «يهودا والسامرة»، (الضفة الغربية)، وأن الرابطة تضع نصب عينيها هدفاً أساسياً هو إعادة بناء «الهيكل الثالث» فى نطاق جبل البيت»(٨٩) .

وليست هذه الحركات والجماعات والمنظمات والروابط التى أشرنا إليها آنفاً هى كل ما يمكن رصده من تجمعات عنصرية فاشية، تستهدف اجتثاث جذور الوجود العربى فى الأرض العربية الفلسطينية وزرع الجسد الصهيونى الاستيطانى الإحلالى فى موقعها؛ فهناك - إضافة إلى ماسبق - عشرات المجموعات، النشطة والكامنة، التى

---

(٨٦) المصدر نفسه، ص : ٤٩.

(٨٧) أنظر : سعيد تميم، مصدر سبق ذكره، ص : ١٥.

(٨٨) مجلة هعولام هزيه، إسرائيل، ١٩٨٤/١/١١.

(٨٩) مجلة الأرض، دمشق، عدد : (١٨)، ١٩٨٤/٦/٧.

تضغط لتحقيق الغايات الاستراتيجية للمشروع الصهيونى، بشقيه العلمانى والدينى فى فلسطين والمنطقة، ومنها حركة «إعادة التاج»، التى يتزعمها «يسرائيل فويختو نفر»، والتى تضم مجموعة عدوانية من الشباب المتعصب الذين يقومون بطرد العرب الفلسطينيين من ديارهم بالقدس وإحلال مستوطنين يهود محلهم، تحت زعم أن هذه المواقع كانت مملوكة لليهود فى الزمن الغابر(٩٠)، وهناك حركة «الاستيلاء على المسجد الأقصى» التى يحمل اسمها مضمون طبيعة هدفها الأساسى، وحركة «الرائد السرية»، إحدى تفريعات حركة «الاستيلاء على المسجد الأقصى» التى كُشف عنها بعد اعتقال خمسة عشر شاباً من المتدينين المتعصبين، فى مارس ١٩٨٣، أثناء إعدادهم العدة لاقتحام «جبل البيت» وفرض استيطان مجموعات يهودية فيه بقوة السلاح، وكذلك منظمة «سيورى صهيونى»، أو (جولات صهيونية)، التى تستهدف، حسبما يوضح أحد مسئوليها، «زئيف أنسباخ» : «نقل الشعب اليهودى من حائط المبكى إلى أماكن مقدسة أخرى فى جبل البيت»(٩١).

ومن المهم توضيح أن أغلب هذه الحركات تعمل بتنسيق مع الاتجاهات والمؤسسات المسيحية الصهيونية مثل «السفارة المسيحية الدولية» فى القدس، وهى هيئة مسيحية بروتستانتية تنشط فى دول أمريكا الجنوبية، وتمثل مجموعة من الكنائس التى تطالب بإقامة «كنيسة فى ظل الهيكل»(٩٢)، وغيرها من الهيئات الشبيهة، ومن جهة أخرى، فإن دعم الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، على اختلاف انتماءاتها وادعاءاتها السياسية والأيديولوجية، العلنى والخفى، كان مصدراً أساسياً من مصادر استمرار وتفشى هذه الجماعات واستفحال أمرها فى السنوات السابقة، برغم أية إجراءات قد تضطر لها هذه الإدارة أو تلك، فى مواجهة بعض تصرفات هذه الجماعات أو مسلكياتها.

---

(٩٠) سعيد تميم، مصدر سبق ذكره، ص : ١٥.
(٩١) المصدر نفسه.
(٩٢) المصدر نفسه.

لا للدولة الفلسطينية

ولا للقدس عاصمة لها

ولا للانسحاب من الجولان

« بنيامين نتنياهو »

رئيس الوزراء الإسرائيلى

انتخابات ١٩٩٦ : ماذا بعد ؟!

فاز تكتل الليكود بانتخابات الكنيست الرابع عشر ، مايو ١٩٩٦، وتولى «بنيامين نتنياهو» رئاسة الحكومة الإسرائيلية، لمدة أربع سنوات قادمة ، معتمداً فى تشكيل أركانها على ائتلاف يمينى - دينى (أصولى)، يرتكز على التحالف بين الاتجاهات الصهيونية السياسية شديدة التعصب والعنصرية من جهة،وعلى الأحزاب الدينية التى حصلت على ٢٦مقعداً بزيادة ١٣ مقعداً عن الكنيست الثالث عشر، من جهة أخرى.

وصل نتنياهو إلى قمة السلطة فى إسرائيل باعتباره «الأفضل لليهود» وعلى أساس برنامج سياسى يضم مجموعة من اللاءات القاطعة ، أبرزها :

- لا للدولة الفلسطينية ،ويكفى الفلسطينيين ما حصلوا عليه من حكم ذاتى شكلى محدود، بدون أمل فى تطويره أو طموح لتعميقه وتوسيع مداه.

- لا للمشاركة فى مدينة القدس باعتبارها «عاصمة لدولتين» كما كان يطمع بعض الواهمين ، فالقدس هى العاصمة الوحيدة الأبدية لإسرائيل.

- لا للانسحاب من الجولان : فهى «أرض تحت السيادة الإسرائيلية المطلقة».

وإضافة إلى هذه اللاءات، احتوى البرنامج الليكودى المعلن تنويهاً بقوة الجيش الإسرائيلى، باعتبارها مفتاح الحل والربط فى المنطقة،وهو الذى يردع العرب ويحمى أمن إسرائيل، الأمر الذى يخوله حق دخول الأراضى الفلسطينية المدارة بواسطة السلطة الوطنية إذا اقتضى الوضع، كما يعتبرحزب الليكود أن حدود إسرائيل الشرقية هى نهر الأردن عند بحيرة طبرية إلى البحر الميت ثم جنوباً حتى البحر الأحمر، ويؤمن «بحق اليهود فى جميع الأراضى الواقعة بين نهر الأردن والبحر الأبيض المتوسط باعتباره «حق مطلق ونهائى» ولهذا ينبغى تعزيز الاستيطان اليهودى فى الضفة الغربية ، وزيادته بنسبة نصف مليون مستوطن جديد حتى عام ٢٠٠٠»(١) .

وقد أجمل «نتنياهو» سياسته فى مفهوم جديد غريب هو «السلام مقابل السلام» ، بعد أن أطاح بالمفهوم السابق «الأرض مقابل السلام» الذى اعتبرته الأوساط الإسرائيلية العمالية والعربية، أطراف عملية التسوية السياسية السابقة، مرجعية مقبولة للتحرك فى إطارها.

وكان أبرز دلالات نتائج الانتخابات الأخيرة التى خسرها حزب العمل وخسر معها عشرة مقاعد، كما خسرت خلالها كتلة «ميرتس» (اليسارية) ثلاثة مقاعد،ما أشار إليه المحللون من أن التيار العلمانى فى إسرائيل قد أخذ فى الانحسار،وفى المقابل حققت الأحزاب الدينية واليمينية المتطرفة تقدماً فى عدد المقاعد عما كان لها فى الكنيست السابق.

.. «فالحزب القومى الدينى «المفدال» كسب أربعة مقاعد إضافية (من ستة إلى عشرة مقاعد) وحزب شاس (الذى يمثل المتدينين من اليهود الشرقيين) فاز أيضاً بأربعة مقاعد إضافية (من ستة إلى عشرة مقاعد).

---

(١) مجلة «الوسط» ، العدد ٢٢٧،، ٣ / ٦ / ١٩٩٦

حزب «موليدت» الذى لا يعترف بالدولة الفلسطينية ويدعو إلى ترحيل جميع العرب سواء المقيمون منهم داخل إسرائيل أو فى الأراضى المحتلة إلى الأردن أو إلى أية دولة عربية أخرى على سبيل تحقيق النقاء العنصرى لإسرائيل كدولة يهودية .. قد فاز بمقعدين بعد أن كان له مقعد واحد.

وهناك حزبان جديدان لم يكن لهما وجود فى البرلمان السابق وحققا مكاسب ملحوظة وهما :

- حزب «الطريق الثالث»، الذى انشق على حزب العمل، بسبب الخلاف مع «بيريز» حول الانسحاب من الجولان، وهو يضم أعضاء المستوطنات اليهودية التى أقيمت فى هضبة الجولان، وترفض الانسحاب منها حتى فى ظل معاهدة سلام سورية ـ إسرائيلية وقد حصل على أربعة مقاعد من لاشئ.

- حزب «إسرائيل إلى العلا» أو «إسرائيل باعاليا». وهو حزب جديد أسسه أخيراً اليهود القادمون من الاتحاد السوفيتى بزعامة «ناتان شارانسكى» واسمه الأصلى «أناتول شارانسكى»، وكان جاسوساً إسرائيلياً فى الاتحاد السوفيتى واعتقلته السلطات السوفيتية وحاكمته وحكمت عليه بالسجن مدى الحياة، ثم جرى تبادله منذ ست سنوات مع جاسوس كان يعمل فى إسرائيل لحساب الاتحاد السوفيتى. ومنذ وصول «شارانسكى» إلى أرض إسرائيل عام ١٩٩١ اعتبروه بطلاً قومياً، واتخذه اليهود السوفيت المهاجرون إلى إسرائيل زعيماً لهم لكى ينهض بالدولة على نحو ما فعل مؤسسو الدولة منذ نحو نصف قرن، حيث كان معظم هؤلاء «الآباء» المؤسسون هم من المهاجرين من الاتحاد السوفيتى وشرق أوربا مثل «بن جوريون» و «موشى دايان»، و «جولدا مائير»، وأيضاً «شيمون بيريز» نفسه.

وقد حصل هذا الحزب على سبعة مقاعد من لاشئ.

ومعنى هذه المكاسب الملحوظة للأحزاب الدينية واليمينية المتطرفة أن هناك مداً واضحاً فى الموجة «الدينية القومية»، وأن هذه الموجة جاءت على حساب انحسار «التيار العلمانى»[٢] ، ذلك التيار الذى راهن عليه كثير من العرب فى الفترة السابقة.

وللدلالة على التوجهات الحاكمة لمواقف هذه الأحزاب الدينية المتشددة، التى تحكم إسرائيل وسياساتها الآن، يكفى أن نستعرض تصريحاً للنائب «حنان بورات» عضو «الحزب القومى الدينى» (٩ نواب) المتحالف مع حزب الليكود، فقد صرح «بورات» قائلاً :

«إذا نَفَّذ ياسر عرفات تهديده بإعلان قيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس ينبغى على الحكومة أن تعلن على الفور بسط سيادتها على قطاعات يهودا والسامرة (الضفة الغربية) التى لا تزال تحت سيطرتها».

وأوضح «بورات» أن عملية الضم هذه يجب أن تشمل المناطق التى لا تزال تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة أو الجزئية، أى أكثر من ٩٠ ٪ من مساحة الضفة الغربية، لكن باستثناء المدن السبع فى المنطقة التى باتت خاضعة للسلطة الوطنية الفلسطينية.

وقال أيضاً إن أياً من المستوطنات الـ ١٤٠ فى الضفة الغربية وقطاع غزة لن تفكك وأن «المستوطنات الواقعة فى مناطق حيوية بالنسبة إلى أمن إسرائيل ستخضع للسيادة الإسرائيلية».

---

(٢) حسن فؤاد : ما بعد الانتخابات الإسرائيلية (١) : هل تضع إسرائيل مصيرها بين أيدي «آيات الله اليهود» جريدة الأهرام ١١ / ٦ / ١٩٩٦

ومن الجدير بالذكر أن «بورات»، قد كُلف بالتعاون مع نائب الليكود «ميخائيل ايتان» بإعداد مسودة برنامج عمل الحكومة الإسرائيلية الجديدة، التى احتوت أيضاً ما يشير إلى أن هضبة الجولان السورية التى احتلتها الدولة الصهيونية فى العام ١٩٦٧ حُددت «كمنطقة حيوية لأمن إسرائيل» واستبعدت أى «تنازل» عن الأراضى فى حال التفاوض مع سورية»[٣] .

يمكن ، اختصاراً، إجمال ما تم فى إسرائيل خلال الشهور القليلة الماضية على أنه انقلاب أطاح بالعلمانيين الإسرائيليين، ورفع إلى سدة الحكم فيها تحالف الجنرالات والحاخامات الأكثر تعصباً وعدوانية وكراهية للعرب وللفلسطينيين وللمصريين، وللسلم والحرية.

إن هذه النتيجة تستدعى إعادة تقويم شاملة للموقف القومى والوطنى، وإعادة بناء لحائط المواجهة العربى والمصرى الذى تصدعت أركانه فى السنوات السابقة، وإعادة تأكيد لثوابت الصراع المصيرى، بين أصحاب الأرض الحقيقيين وبين المغتصبين .. وهى أولاً وأخيراً تستدعى وقفة موضوعية مع الذات لتصحيح الخلل الاستراتيجى فى مفهوم الصراع وآليات المواجهة، التى لن تنتهى إلا بهزيمة الطرف المعتدى، ودحره نهائياً.

---

(٣) جريدة «الحياة» الدولية ١٤ / ٦ / ١٩٩٦

« خريطة مملكة إسرائيل الوارد ذكرها في التوراة، يجرى رسمها من جديد على أساس النتائج الحاصلة من عملية مسح الآثار في مناطق جبال (اليهودا والسامرة) .. ومرتفعات الجولان ».

« بنيامين مازار »

رئيس مجلس الآثار الإسرائيلي

١٢/٤/١٩٦٨

□ □ □ □

« ولما كان عندنا كتاب التوراة (Book of the Bible)، ونحن أهل الكتاب (People of the Book)، يصبح لدينا أيضاً « أرض التوراة »، (Land of the Bible)، ارض القضاة والآباء، في القدس والخليل وأريحا وجوارها»!

« موشيه دايان »

في ٩ أغسطس ١٩٦٧

مقتطفات من فكر الحاخام العنصرى "مائير كاهانا"

مؤسس حركة "كاخ" الإرهابية

مقتطفات من كتاب كاهانا .. كاشواك فى عيونكم .. !!

«عرب إسرائيل الحاد سافر»

وستحل بنا اللعنة إن لم نطردهم»!

فى عام ١٩٧٦ أجرت مكتبة الكونجرس الأمريكى بحثاً عن السكان العرب واليهود توصلت فيه إلى نتيجة : أنه حتى وإن تنازلت إسرائيل عن المناطق التى حررتها ، سيكون العرب فى إسرائيل أكثرية عظمى خلال مائة عام.

توقعات البحث المذكور استندت إلى هجرة يهودية سنوية إلى إسرائيل بمعدل ٢٥٠٠٠ مهاجر، هذا مع أن إسرائيل لا تقترب إلى هذا العدد فى أيامنا هذه. فإذا أخذنا بعين الاعتبار الوضع الاقتصادى المتهاوى فى البلاد ، فقد يكون من الصعب تقليص عدد المهاجرين من إسرائيل بأقل من عدد المهاجرين إليها. فمدة سبعين سنة هى المدة المعقولة لتحقيق الأكثرية العربية، فما دام الوضع على هذا الحال فما الذى يحدو بالعربى اتخاذ مواقف معتدلة ! .. دولة إسرائيل تأسست كدولة يهودية وهذا المبدأ يحتم على دولة إسرائيل منع تمكين العرب بأن يكونوا أكثرية فيها ..

.. الخبير الإسرائيلى للشئون العربية، «تسفى البيلج»، كتب فى أعقاب تمرد يوم الأرض «العرب يعرفون كيف يخفون عداءهم، وتحديد الوقت المناسب لانفلات هذا العداء، فى الظرف الذى لم تكن فيه الفرصة مناسبة لإظهار العداء سارت الأمور على ما يرام، علاقات حسن جوار، وحسن ضيافة ..

«مئير هارتسيون»، أشهر أبطال جيش الدفاع الإسرائيلى كتب فى كانون ثان ١٩٧٩ عن العرب : «أنا لا أقول بأنه يجب طردهم وقتلهم .. بل يجب خلق ظروف لا تمكنهم من العيش هنا، بل فى الأردن والسعودية أو فى أى دولة عربية أخرى».

أقوال «هارتسيون» هذه لاقت إعجاب الملحنة الإسرائيلية المشهورة «نعومى شيمر» فكتبت فى صحيفة «دافار» ٧٩/٣/٩ «هجرة العرب من إسرائيل إن تمت باحترام متبادل وعن طيبة خاطر .. فقد تكون الحل الأفضل».

وفى النقاش الذى دار فى الكنيست حول الإرهاب العربى قال عضو الكنيست «امنون لين» ٧٦/٥/١٨ : «يجب البدء بعمليات طرد كاملة لكل الذين شاركوا فى المظاهرات ونقلهم إلى ما وراء الحدود، بدون استثناء بما فيهم الرجال والنساء والأطفال».

هذه الأصوات ما زالت أقلية ولم تتفهم بعد كل ما يجب فعله، إن مجرد انتخاب حكومة حازمة وصارمة سيحد من مقاومة العرب.. دولة إسرائيل ليس وليدا سياسيا بل دينيا .. عرب إسرائيل هم إلحاد سافر بالله .. ستحل بنا مصيبة إن لم نبعد العرب من بين ظهرانينا، لأن الخلاص بأجلى صوره سيشملنا إن أطعنا وصايا الله وستحل بنا كارثة إن عصينا.

إن مدى صدق إيماننا فى ظرف يحتم علينا اتخاذ قرارات حاسمة.. يقاس بمدى استعدادنا لاعتبار مخافة الله قبل مخافة العبد وطرد العرب من إسرائيل.

.. وأزال «داوود» رأس «جالوت» من على كتفيه وبذا أزال العار عن بنى إسرائيل. هيا نزيل العرب من بين ظهرانينا وبذا نقرب الخلاص.

مقتطفات من كتاب كاهانا " أربعون عاماً ..

.. قامت دولة اليهود من خلال المحارق والرماد .. ليس لأننا كنا أهلاً لها، بل نكاية بالأجانب - لأننا سحقنا، فجاء غضب الله ونقمته، أنزلها بالعالم الذى أهان وهزئ بالله، إله بنى إسرائيل، أنا على يقين أن دولة إسرائيل التى قامت عام ١٩٤٨، ليست بداية الخلاص فقط بل أيضا المهلة التى أعطيت لنا، أنا مقتنع فى قرارة نفسى بأن الله تبارك وتعالى منحنا بذلك الفرصة الأخيرة، لقلب العذاب إلى خلاص عظيم وسريع كما قال العلامة اليعزر «سنهدرين» : «أيام المسيح أربعون عاماً».

.. حقيقة المجد - أيام المسيح - تشملنا بالعزة والمجد إذا أيقنا بالمبدأ .. «إذا تمسكتم بحبلى .. أمنح السلام للبلاد»، «فيكرا»، «وإن لم تصغوا لى أصيبكم بعذاب أليم .. »، هذا هو السبيل الوحيد. الوقت يمضى والقرار بأيدينا.

العربى صار «حقيقة» تفزع الصهيونى. وهذا بحد ذاته هو نتيجة التناقض الأساسى بين دولة يهودية صهيونية ونمط الديمقراطية الغربية ودعاتها بين اليهود والتى بموجبها يحق للعرب أن يكونوا أكثرية، ولذا بإمكانهم، وبدون مجهود خاص تقويض الدولة اليهودية التى قامت على أساس وثيقة الاستقلال، أنتم اليهود العلمانيون المهووسون، هل تودون رؤية الحقيقة؟ أخرجوا إلى الجليل والمثلث حيث توجد أكثرية عربية تحلم بالتسلط على الدولة.

اذهبوا إلى عكا واللد والرملة، إلى الناصرة العليا، يافا والقدس، لتروا توسعهم الهادئ والسريع، لجعل الجليل والمثلث معقلاً للقومية والمطالبة بالحكم الذاتى .. العربى يتمادى يوميا فى الكفر المتمثل فى تجواله فى البلاد بحثا عن يهوديات لمضاجعتهن وحتى لزواجهن، يهوديات يشبعن الغرائز الجنسية للعربى - هذه مظاهر الدولة الهائمة - لكن من هو مستعد للاعتراف بهذه الحقيقة المرة والمؤلمة.

الزعيم الذى يتكلم أو يكتب عن مشاكل اليهودى، حتى دون ذكر اسم الله، أقل ما يوصم به ويقال عنه، أنه يمنى - تجنبوه وابتعدوا عنه ! سيقودنا لمأساة قومية، فانبذوه.

مصير اليهودى مرتبط دائما بمدى إخلاصه لله وتعاليمه، وهذا مفتاح الفرج إلى الأبد. الشعب اليهودى سوية فى سفينة واحدة ومن يثقب قعرها بخطايا، يلقى بنا جميعا إلى الأمواج.

«الله خلق الكون من أجل التوراة والشعب اليهودي» !

ولا توجد «فلسطين» في الماضي أو الحاضر .. ولا في المستقبل.

الشعب الذي اختاره الله العلي العظيم، كشعب عليه، لا مبرر له أن يرهب أي جبروت في هذا العالم، الرسالة اليهودية مصونة ومحمية من الرب، ليس روع الأجنبي، بل خشية الله والإيمان بملكوته، تقرر مصيرنا، قال رب العالمين، «الكون خلق لغاية واحدة: التوراة والشعب اليهودي».

«العالم ومضمونه لم يخلق إلا بحق التوراة»، «سفر التكوين». رب العالمين خلق الكون لغاية توراة بني إسرائيل، كي تترجم ثوابتها ومثلها، في الحياة العملية، وهو تعالى اختار شعب إسرائيل ليحمل مشعل التوراة ومثلها، للحفاظ عليها وبث تعاليمها، هذا وهذا فقط غاية الخليقة.

كل ما يدور في العالم من حروب وكوارث، بزوغ وافول دول عظمى - لا مفاد ضمني لها إلا إذا كانت جزءا من الرسالة الالهية ولها تأثير على سعادة - أو تعاسة - بني اسرائيل، رسل الله تعالى، الشعب اليهودي هو حقا قلب العالم، ولا سبب أو غاية لوجود شعوب ودول عظمى، ملوك وسلاطين وحكومات، سوى تأثيرهم على الشعب اليهودي ومصيره وتحقيق الرغبة الالهية في تكوين الخليقة.

الشعب اليهودي هو شعب الله، تربط بينهما عروة وثقى، «لأنك شعب مقدس لله، اختارك الله لتكون له شعبا مختارا من بين جميع الشعوب على وجه البسيطة»، «دفريم».

شعب مختار، ليس شعبا أو دولة كبقية الشعوب والدول، وليس تقليدا شاحبا للغرب أو الشرق، أو انتماء للمعسكر الاشتراكي أو الرأسمالي، بل شعب أوحد فريد.

الشعب اليهودي الذي اختاره الله ليكون شعبه المختار الفريد الخاص - شعب مقدس :

«وتكونون لي مقدسين لأني ربكم المقدس»، «فيكرا».

اختيار اليهود معناه واجب ورسالة شاقة ومضنية.

«ولا تخالطوهم»، «فيكرا»، «وإن اختلطتم بهم تزوغون عن طريقي، وما فائدتي منكم وأنتم تسيرون في طريق التهلكة».

الأمور بسيطة، فلا غاية من الوجود المنفرد لشعب إسرائيل بدون قدسية شعب إسرائيل، وتوراة بني إسرائيل.

الرسالة تنبع مباشرة من المهمة «وجعلتكم منارا للشعوب»، «اشعيا». الحفاظ على الوصايا والتمسك بحبل الله والعمل بالتعاليم - هذا كله يجعلنا مقدسين .

هذه هي التوراة وهذا هو الشعب وهذه هي الرسالة وهذه هي العروة الوثقى. التملص من تحمل عبء الرسالة لن يجدي ومحاولة التملص من الغاية لن تفلح.

فلا مفر من الروابط الخاصة بالله تبارك وتعالى، لأن حاجزا أبديا يفصل بين عالم اليهود وعالم الشعوب الأخرى.

اليهودى، فى الماضى لم يصغ ورفض الحكمة والتعقل، وابتعد عن التوراة التى هى مضمون حياته، لذلك طُرد اليهودى من بلاده وزج به فى بلاد الغربة «كورقة تحملها الريح»، ملأ الذعر قلبه. هناك وبخه الأجانب وأهانوه، داسوه، بصقوا فى وجهه، استباحوا ماله، طردوه من بلاد لأخرى، حرقوه حيا، أغرقوه، خنقوه بالغازات وقهقهوا قهقهة الشيطان عندما أهانوه إهانة لم يذقها من قبله إنسان.

اليوم نعيش حقبة، يقف المسيح على عتبتها ويطل علينا فجر الخلاص، يتحتم علينا أن نعرف جليا ما ينطوى عليه هذا الحدث، باستطاعتنا إنقاذ أنفسنا من الكارثة والتهلكة لو هدينا.

الفرصة أمامنا وهى ثابتة وبسيطة، إما أن تحظى بالخلاص وإما لا تحظى. أيها الشعب الضال والمسكين ! الوقت أمامنا قصير، انقذوا أنفسكم وتجنبوا الكارثة.

الايمان والاعتصام بحبل الله هما مفتاح الخلاص.

أركان الخلاص الأربعة :

١- القرار الحاسم لتطبيق سلطان شعب إسرائيل ودولة إسرائيل على جميع أجزاء بلاد إسرائيل.

٢- القرار الحاسم بطرد كل من هو غير يهودى ولا يعترف بالحق القطعى للشعب اليهودى على كل بلاد إسرائيل ولا يقبل بوضع أجنبى قاطن - مبتور الحقوق.

٣- القرار الحاسم بحب كل يهودى كما تحبه لنفسك، والتسليم بأن دولة إسرائيل هى القيم والأمين على بنى إسرائيل حيثما وجدوا.

٤- القرار الحاسم بترك المقبرة المسماة «المهجر» والعودة إلى بلاد إسرائيل.

السلام أخاذ، لكن ليس للسلام جاء «يهوشع بن نون» لاحتلال بلاد الكنعانيين وليس بالسلام - كهدف سام - أعادنا الله إلى بلادنا .. لذلك لا يجوز أى انسحاب - وكل انسحاب مبنى على «الأمن العسكرى» أو «الاستراتيجية العسكرية»، أو التعقل السياسى أو أى سبب علمانى آخر لن يكون مجديا.

الانسجاب يمحو عن البلاد المقدسة اسم وملكوت الله. هذا عين الكفر. عدم التنازل حتى عن «شبر» ليس شعارا سياسيا بل دينيا، كل البلاد ملك الله وهو أعطاها لنا، لا توجد «فلسطين» ولا يوجد شعب أو دولة بهذا الاسم، لا فى الماضى ولا فى الحاضر ولا فى المستقبل، بلاد إسرائيل ملك لشعب إسرائيل، جميع البلاد لجميع الشعب.

للإسماعيلى قد تكون حقوق دينية، حضارية، اجتماعية واقتصادية فى دولة يهودية، لكن لن يكون ابدا متساوى الحقوق تماما مع اليهودى، اليهودى فى سوريا المسلمة غير متساو مع المسلم فيها، لا يمكن أن يسود السلام فى دولة يسكنها شعبان، فى حين يؤمن كل منهما أنها ملكه هو وحده. عرب البلاد هم قنبلة موقوتة تضمن لنا وضعا مثل «أيرلندا» أو «قبرص».

«لنسلك أعطيت هذه البلاد من نهر مصر حتى النهر الكبير، نهر «الفرات»، «سفر التكوين»، هذا هو الأساس، إبقاء سلطان الغرباء على قسم من البلاد، مثله كمحو اسم الله عن الأراضى التى بأيديهم.. سيادة اليهود على بلاد إسرائيل هى تجسيم اسم الله على الأرض .. هى فريضة من التوراة، وهكذا قضى «موسى بن

ميمون» فى «تعالم الكفرة» : فى «زمن سلطان بنى إسرائيل محظور علينا إبقاء كفرة بيننا» .. إلا إذا التزموا باتباع وصايا أبناء «نوح» حيث جاء «لن يقطنوا فى بلادك»، «شموت»، حتى ولو مؤقتا.

فما دام محظور علينا أن نبقى غريباً، إلا من حظى بوضع غريب قاطن فكيف نجرؤ على التخلى عن أجزاء من بلاد إسرائيل ونحن أصحاب سلطان فيها.

التوراة تابعت وحظرت، ليس فقط التنازل عن أراض مقدسة للغريب، بل حتى بيع أرض الملكية الخاصة اليهودية للغريب داخل حدود الدولة المستقلة، حيث جاء «لا تنزلهم»، «دفريم»، أى لا تجعلهم يقيمون على الأرض، وأفتى الحاخام «موسى بن ميمون»، «لا تباع لهم البيوت والحقول فى بلاد إسرائيل»، واعلم ولا تنس أن التنازل عن أجزاء من أرض إسرائيل هو بمثابة إثم يتوجب منعه حتى وإن كلف ضحايا بشرية، لأن الحرب من أجل البلاد هو جزء أساسى من الحرب التى تسميها التوراة حرباً مقدسة، العدو الذى يهاجم إسرائيل، من الطبيعى أن يكون هدفا لحرب مقدسة تلزم كل يهودى حتى العريس فى يوم زفافه، المشاركة فيها..

مقتطفات من مشروع قانون (عنصرى) قدمه عضو الكنيست الحاخام "مائير كاهانا"

إلى رئيس الكنيست الحادية عشرة لطرحه على الكنيست

مشروع قانون

(قانون لتحريم التمازج بين اليهود وغير اليهود ولقدسية شعب إسرائيل)

(أ)

١- جميع المؤسسات التربوية فى بلاد إسرائيل بما فيها رياض الأطفال، المدارس الابتدائية والثانوية، معاهد التعليم العالى والتدريب المهنى وكل مؤسسة أخرى تكون منفردة «واحدة لليهود وأخرى لغير اليهود».

٢- تخصص شواطئ بحر لليهود وأخرى لغير اليهود بدون فرق فى مستوى خدماتها. ابن الشعب الذى يتواجد فى الشاطئ المخصص لابن الشعب الآخر يعرض نفسه لعقوبة السجن لمدة نصف سنة.

٣- لا يسمح لغير اليهودى السكن فى حى يهودى بدون موافقة أكثرية السكان اليهود فى تلك البناية. أو إذا كان البيت خاصا أو بناية يسكنها أقل من خمس عائلات وبموافقة أكثرية اليهود القاطنين فى تلك المنطقة.

(جـ) يحرم على اليهود واليهوديات مواطنى الدولة التزوج من غير اليهود، سواء فى البلاد أو خارجها، بأى شكل كان مدنى أو دينى.

(هـ) يحظر على اليهود واليهوديات مواطنى الدولة، إقامة علاقات جنسية بأى شكل كان مع غير اليهود، بالتزاوج أو بدونه، مخالف هذا البند يعاقب بالسجن لمدة سنتين.

(و) غير يهودى ـ يهودية ينتحل شخصية يهودى ـ يهودية، ليغرى يهودياً ـ يهودية، للزواج به ـ بها، أو لإقامة علاقات جنسية من أى نوع كان معه ـ معها، يعاقب بالسجن لمدة خمس سنوات.

١- غير يهودى ـ يهودية، يغرى يهودياً ـ يهودية، للزواج منه ـ منها، أو لإقامة علاقات جنسية من أى نوع كان معه ـ معها يعاقب بالسجن لمدة ثلاث سنين.

٢- غير يهودى يقيم علاقات جنسية مع عاهرة يهودية أو ذكر يهودى يعاقب بالسجن لمدة خمسين سنة، عاهرة يهودية أو ذكر يهودى يقيما علاقات جنسية مع ذكر غير يهودى يعاقبا بالسجن خمس سنوات.

(ز) عند فرض العقوبات المذكورة لا تأخذ المحكمة أى اعتبارات لظروف المخالفة.

(ح) لم يعرف اليهودى ـ اليهودية أن القرين غير يهودى ـ يهودية، يستطيع اليهودى ـ اليهودية مطالبة القرين، بالتعويضات المالية عن الألم النفسانى الذى سببها ـ سببته وذلك بالإضافة إلى العقوبات المذكورة فى القانون.

(ط) حالات التزاوج المختلط التى تمت سابقا يرغم فيها الزوجان على الفرقة حالا.

(ى) يبقى أبناء الزوجين فى كل الحالات فى حضانة والدتهم وانتماؤهم الدينى والقومى يتبع والدتهم.

شـــرح

التقاليد اليهودية واضحة.

(وتكونون مقدسين، لأنى ربكم المقدس وأميزكم عن الشعوب لتكونوا لى)، «فيكرا».

(ولا تزاوجوا منهم، لا تعطى ابنتك لابنه ولا تأخذ ابنته لابنك)، «دفريم»، لماذا ؟ لأنك شعب مقدس ولا يجوز أن تدنس قدسيتك وتولد نسلاً طالحاً.

«ولما عاد بنو إسرائيل من سبى بابل وكان لليهود سلطان اتخذ زعماء الشعب الوسائل الكفيلة للقضاء على ظاهرة الامتزاج «لم يميز بنو إسرائيل والكهنة عن بقية شعوب البلاد لأنهم اتخذوا لأنفسهم ولأولادهم أزواجا منهم وتمازج النسل المقدس مع شعوب البلاد»، «عزرا».

«فى تلك الأيام رأيت اليهود يستكينون إلى نساء من نسل أشدوت وعامون ومؤاب فقاتلتهم ووبختهم»، «نحميا».

لزام علينا نحن برلمان إسرائيل أن نقتدى بطريق آباء الأمة ونضع حدا للكارثة الروحية التى تفشت فينا ونسن قانونا لهذا الغرض.

موسى بن ميمون

يلعب «موسى بن ميمون» Maimonides أو راميام (اسم مركب من الرابای موسى بن ميمون) فى فكر الجماعات الأصولية والمتطرفة اليهودية، دوراً هاماً ومؤسساً، شبيه بالدور الذى يلعبه «ابن تيمية» فى فكر الجماعات الأصولية والمتطرفة الإسلامية المعاصرة.

ولد ابن ميمون بقرطبة إبان حكم المسلمين لها عام ١١٣٥م ودرس الآداب العربية والعبرية القديمة، كما درس الشريعة وأصول الدين اليهودى، وتفقه فيهما وإزاء تهديد جيش «الموحدين» لقرطبة فرت أسرته إلى غرناطة، ثم مدينة المرية، وبعدها رحلت إلى فارس حيث استكمل «ابن ميمون» دراساته الفلسفية والدينية وكتب أول كتاباته.

هاجرت أسرة «ابن ميمون» إلى فلسطين عام ١١٦٠م ، وأقامت بعكا وزارت القدس التى لم يكن بها سوى أربع أسر يهودية فقط وأنقاض لبعض المعابد اليهودية، وقد كتب «ابن ميمون» بتأثير زيارته : «ليمنحنى الله القوة فى كل شئ والعون على الوفاء بعهودى، وأن يحقق ما صليت لأجله بين تلك الأنقاض، ويرى شعب إسرائيل كله هذه الأرض المقدسة وقد ازدهرت وأنقذت من هذا الخراب»، ثم سافرت أسرة ابن ميمون إلى مصر، وأقامت فى الإسكندرية وبعدها رحلت إلى «الفسطاط» حيث أتم تفسيره الكبير للتلمود (المشنا) عام ١١٦٨م، وعمل طبيباً فى بلاط السلطان «صلاح الدين الأيوبى»، الذى لم يلبث أن عينه «نجيباً» أو (حاكماً) على الطائفة الإسرائيلية عام ١١٧٧م.

فى الفترة من (١١٨٥ - ١٢٠٠) كتب «ابن ميمون» أهم وأكبر أسفاره : «دلالة الحائرين» [The Guide of Perplexed] بالعربية، وتبدت فى آرائه الفلسفية تأثره بأفكار المعتزلة، و «الفارابى»، و «ابن ماجه» و «ابن طفيل»، الفيلسوف الأندلسى المعروف. وقد اعترف له يهود العالم بمكانة رفيعة فى الفكر التلمودى، قبل وفاته بمصر عام ١٢٠٤، ثم دفن بطبرية، فى فلسطين.

من أهم مؤلفاته، إضافة إلى «دلالة الحائرين» و «المشنا» كتب : «السراج» و «الفرائض»، و«تثنية التوراة»، و «رسالة فى صناعة المنطق»، ومجموعة أجوبة «موسى بن ميمون»، و«فصول القرطبى» و «المختصر فى الطب»، وغيرها، ومعظمها كتب بالعربية قبل أن يترجم إلى العبرية وغيرها من اللغات.

وقد استندت الاتجاهات الأصولية اليهودية، إلى تأويلات «ابن ميمون»، وتفسيراته للكتب المقدسة، فى تبرير العديد من مواقفها، والتدعيم الفقهى لتصرفاتها السياسية.

المصدر :

- عدد خاص لمجلة «رسالة اليونسكو» عن «ابن رشد» و «ابن ميمون»، العدد : (٣٠٤)، سبتمبر ١٩٨٦.
- معجم أعلام الفكر الإنسانى، المجلد الأول، ألفه «نخبة من الأساتذة المصريين»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.

نتائج الانتخابات العامة فى إسرائيل (١٩٩٢)

الأحزاب الممثلة فى الكنيست الثالث عشر الحزب	عدد الأصوات	الأصوات بالنسبة المئوية	عدد المقاعد	المقاعد فى الكنيست ١٢
العمل	٩٠٦,٨١٠	٣٤,٦	٤٤	٣٩
الليكود (التكتل)	٦٥١,٢٢٩	٢٤,٩	٣٢	٤٠
ميرتس (قائمة أحزاب اليسار)	٢٥٠,٦٦٧	٩,٥	١٢	١٠
تسومت (الصهيونية التقدمية)	١٦٦,٣٦٦	٦,٣	٨	٢
المفدال (الحزب الدينى القومى)×	١٢٩,٦٦٣	٤,٩	٦	٥
شاس (السفاراديم حراس التوراة)×	١٢٩,٣٤٧	٤,٩	٦	٦
يهدوت هتوراه (يهودية التوراة)×	٨٦,١٦٧	٣,٢	٤	٧
موليدت (الوطن)	٦٢,٢٦٩	٢,٣	٣	٢
حاش (الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة)	٦٢,٥٤٦	٢,٣	٣	٤
الحزب الديمقراطى العربى	٤٠,٧٨٨	١,٥	٢	١

الأحزاب التى لم تتجاوز نسبة الحسم (١,٥ ٪)

الحزب	عدد الأصوات	المقاعد فى الكنيست١٢
هنحيا (النهضة)	٣١,٩٧٥	٣
القائمة التقدمية للسلام	٢٤,١٨١	١
الحزب الليبرالى الجديد	١٦,٦٦٩	
خلاص إسرائيل	١٢,٨٥١	
الديمقراطية والهجرة	١١,٦٩٧	
المحالون على التقاعد	٨,٣٢٧	
ضحايا الرهون العقارية	٥,٩٦٢	
بيكانتى	٣,٧٥٠	
التوراة والأرض	٣,٧٠٨	
عال غلغاليم (سائقو التكسيات)	٣,٣٥٥	
النساء	٢,٨٨٦	
الأمل	٢,٠٥٣	
قانون الطبيعة	١,٧٣٤	
تالى (حركة تجديد إسرائيل)	١,٣٣٦	
تسيبور (العصفور)	٥٢٣	

× أحزاب ذات طبيعة دينية

المصدر : «هارتس»، ٢٨ و ١٩٩٢/٦/٢٩

التركيبة النهائية للكنيست الإسرائيلى الثالث عشر

(انتخابات يونيو ١٩٩٦)

الأحــــزاب	عدد المقاعد	في البرلمان السابق
حزب العمل	٣٤	٤٤
ليكود وحلفاؤه	٣٢	٤٠
شاس (دينى)	١٠	٦
الحزب الوطنى الدينى	٩	٦
ميريتز (يسارى)	٩	١٢
إسرائيل بعليا (روس)	٧	حزب جديد
حداش (شيوعى)	٥	٣
اليهودية الموحدة للتوراة	٤	٤
اللائحة العربية الموحدة	٤	٢
الطريق الثالث (وسط)	٤	حزب جديد
مولوديت (يمين متطرف)	٢	٣

الأحزاب الرئيسية الإسرائيلية

وأبرز زعماتهـــــا (انتخابات ١٩٩٦)

حزب العمل : شمعون بيريز

تكتل ليكود : بنيامين نتانياهو (بالتحالف مع حزب «جيشر» بزعامة دافيد ليفى وحزب «تسوميت» بزعامة رفائيل ايتان).

تجمع ميرتيس : يوسى ساريد (ويضم حركة حقوق المواطن بزعامة ساريد، وحزب مابام بقيادة حاييم أورون، وحزب شينوى بقيادة آمنون روبنشتاين).

حزب المفدال : (الحزب الوطنى الدينى)، زيجولن هامر.

حزب التوراة اليهودية الموحدة : مائير بوروش (دينى متشدد - غربى).

حزب شاس : آربيه دورى (دينى متشدد - شرقى).

حزب موليديت : رحفعام زئيفى (يمينى متشدد).

حركة الطريق الثالث : افيجدور كحلانى (منشق عن حزب العمل - يمينى)

حزب يسرائيل باعليا (الهجرة إلى إسرائيل) : ناتان شارانسكى (يمثل المهاجرين الجدد من روسيا - يميل إلى اليمين).

جبهة حداش (الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة) : هاشم محاميد وتامار غوزانسكى وعزمى بشارة (الشيوعيون واليسارالعربى واليهودى).

القائمة العربية الموحدة : تضم «الحزب العربى الديمقراطى» بزعامة عبد الوهاب الدراوشة، والحركة الإسلامية بزعامة عبد المالك الدهامشة (تتحالف عادة مع العمل واليسار).

الحركة العربية للتجديد : أحمد الطيبى (مستشار الرئيس عرفات للشؤون الإسرائيلية، انسحب لمصلحة القائمة العربية الموحدة والعمل).

المصدر : مجلة «الوسط»، العدد ٢٢٧، ١٩٩٦/٦/٣ .

المصـــــادر

(١) د. جمال حمدان، اليهود، القاهرة، كتاب الهلال، فبراير ١٩٩٦.
(٢) على محمد على، ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية، ط١، القاهرة، مركز دراسات الشرق الأوسط، بدون تاريخ.
(٣) محمد السماك، الصهيونية المسيحية، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣.
(٤) غريس هانسل، النبوءة والسياسة : الإنجيليون العسكريون فى الطريق إلى الحرب النووية، ترجمة محمد السمّاك، ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩٠.
(٥) محمود نعناعة، الصهيونية فى الستينات : الفاتيكان واليهود، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤.
(٦) ريچينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية : جذورها فى التاريخ الغربى، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، العدد (٩٦)، ١٩٨٥.
(٧) د. منى ناظم، المسيح اليهودى ومفهوم السيادة الإسرائيلية، دولة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبى، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر، ١٩٨٦.
(٨) د. رفيق حبيب، المسيحيون والحرب : قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الإسلامى، القاهرة، مركز يافا للدراسات والأبحاث، ١٩٩١.
(٩) محمد السماك، الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكى، مالطا، مركز دراسات العالم الإسلامى، ١٩٩١.
(١٠) رجاء جارودى، أصول الأصوليات والتعصبات السلفية، بدون مترجم، القاهرة، مكتبة الشروق، يناير ١٩٩٦.
(١١) د. عبد الوهاب المسيرى، الجمعيات السرية فى العالم، القاهرة، كتاب الهلال، نوفمبر ١٩٩٣.
(١٢) د. عبد الوهاب السيرى، الأيديولوچية الصهيونية، دراسة حالة فى علم اجتماع المعرفة (القسم الأول)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، يناير ١٩٨٢.
(١٣) IAN S. LUSTICK, Israel's Dangerous Fundamentalists, U.S.A., Foreign Policy, No. 68, Fall 1987.
مترجمة فى سلسلة «شؤون استراتيجية»، منظمة التحرير الفلسطينية (مركز التخطيط)، يونيو ١٩٨٨/٦.
(١٤) د. محجوب عمر، (تقديم) الترانسفير، الإبعاد الجماعى فى العقيدة الصهيونية، ترجمات مختارة من العبرية، القاهرة، دار البيادر للنشر والتوزيع، ١٩٩٠.
(١٥) يفجينى يفسييف، الفاشية فى ظل النجمة السداسية، بدون مترجم، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، بدون تاريخ.
(١٦) ديفيد لانداو، الأصولية اليهودية : العقيدة والقوة، ترجمة مجدى عبد الكريم، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٤.

(١٧) د. رشاد عبد الله الشامى، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد (١٠٢)، يونيو ١٩٨٦.

(١٨) أشرف راضى،الفجوة : الصراع الطائفى فى التجمع الصهيونى، القاهرة، دار البيادر للنشر والتوزيع، ١٩٨٧.

(١٩) د. إميل توما، الصهيونية المعاصرة، الأردن، الدار العربية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢.

(٢٠) نصر شمالى، إفلاس النظرية الصهيونية، بيروت، منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨١.

(٢١) يعقوب شريف، دولة إسرائيل زائلة، عمان-الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩١.

(٢٢) وجيه حسن هاشم (أبو مروان)، نظرة جديدة فى التحالف الصهوينى الامبريالى، القاهرة،دار البيادر للنشر والتوزيع، ١٩٨٧.

(٢٣) توم سيغف، الإسرائيليون الأوائل - ١٩٤٩، ترجمة خالد عايد - رضا سلمان - رنده حيدر شراره - كمال إبراهيم، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦.

(٢٤) موسى ميليمان، الإسرائيليون الجدد : مشهد تفصيلى لمجتمع متغير، ترجمة مالك فاضل البديرى،عمان- الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

(٢٥) يهوشفاط هركابى، قرارات إسرائيل المصيرية، ترجمة منى سماره، عمان-الأردن، منشورات دار الكرمل- صامد، ١٩٩٠.

(٢٦) «الكتاب المقدس، كتب التاريخ : يشوع - القضاة - راعوت - صموئيل - الملوك - الأخبار - عزرا - نحميا - طوبيا - يهوديت - استير - المكابيون»، بيروت، دار الشرق، ١٩٨٦.

(٢٧) «الكتاب المقدس، كتب الشريعة الخمسة : التكوين - الخروج - الأحبار - العود - تثنية الاشتراع»، بيروت، دار الشرق، ١٩٨٦.

(٢٨) «الكتاب المقدس، كتاب المزامير»، بيروت، دار الشرق، ١٩٨٦.

(٢٩) درويش ناصر (المحامى)، الفاشية الإسرائيلية، عمان-الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٠.

(٣٠) جدع جلادى، إسرائيل نحو الانفجار الداخلى، القاهرة، دار البيادر للنشر والتوزيع، ١٩٨٨.

(٣١) د. خليل فاضل، سيكولوجية الإرهاب السياسى، القاهرة، إصدارات خليل فاضل، ١٩٩١.

(٣٢) أمنون كابليوك، تحقيق حول مذبحة صبرا وشاتيلا، ترجمة منى عبد الله، القاهرة، دار العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٤.

(٣٣) حسن شكرى، الملف السرى الأسود لإسرائيل : من ٣٥٠٠ ق.م حتى اليوم، القاهرة، دار الطباعة المتميزة، ١٩٩٢.

(٣٤) نخبة من الأساتذة المصريين، (إعداد)، معجم أعلام الفكر الإنسانى، المجلد الأول، القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

(٣٥) رجاء جارودى، فلسطين : أرض الرسالات الإلهية، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، القاهرة، دار التراث، ١٩٨٦.

(٣٦) محمود عوض، ممنوع من التداول، القاهرة، كتاب الإذاعة والتلفزيون،١٩٧٣.

(٣٧) د. حسن شريف (سفير)، المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ، الجزء الأول (من العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥.

(٣٨) رجاء جارودى، ملف إسرائيل : دراسة للصهيونية السياسية، بدون مترجم، القاهرة،دار الشروق، ١٩٨٣.

(٣٩) أحمد عيد، جغرافية التوراة فى جزيرة الفراعنة، القاهرة، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، ١٩٩٦.

(٤٠) عاطف عبد الغنى،شهود يهوه : مملكة إسرائيل على الأرض، دار ديوان للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٥.

(٤١) أحمد فؤاد، إسرائيل : ذلك المجهول - حوار ومشاهدات من الجانب الآخر، مطابع الوليد، القاهرة، ١٩٩٦.

(٤٢) **Conquest Through IMMIGRATION :How** GROUP, **Zionism Turned palestine into a Jewish State,** U.S.A., Caleifornia, Institue For Special Research, Caleifornia, 1968.

(٤٣) مجدى نصيف، الصهيونية فى الولايات المتحدة، العربى للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧.

(٤٤) أثمار لطيف نصيف،جماعة الضغط اليهودية فى أربع إدارات أمريكية (تأثير اللوبى الصهيونى فى السياسة الخارجية الأمريكية)، بغداد، ١٩٨٩.

(٤٥) فيصل أبو خضرا، تاريخ النفوذ اليهودى فى أمريكا، العلاقة الأمريكية الصهيونية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها، الرياض، ١٩٩٢.

(٤٦) د. محمد عبد العزيز ربيع، المعونات الأمريكية لإسرائيل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠.

(٤٧) فى أحاديث مع موشى بيرلمان، بن جوريون يستعيد الماضى بدون اسم مترجم، القاهرة،بدون دار نشر، ١٩٦٦.

(٤٨) د. رشاد عبد الله الشامى، القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،عدد (١٨٦)، يونيو ١٩٩٤.

(٤٩) د. أحمد هيبى، هل يحدث انقلاب عسكرى فى إسرائيل؟ ستار برس للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢.

(٥٠) إيان لوستيك، الأصولية اليهودية فى إسرائيل، ترجمة حسنى زينه، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩١.

(٥١) د. رفائيل ميرجى - د. فيليب سيمونو، مائير كاهانا : الحاخام الذى يخيف اليهود، ترجمة مجلة الحرس الوطنى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٧.

(٥٢) مائير كاهانا، شوكة فى عيونكم، عمان-الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٣.

(٥٣) دانى روبنشتاين، جوش ايمونيم : الوجه الحقيقى للصهيونية، عمان-الأردن،دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٣.

(٥٤) ديفيد نيومان، الاستيطان الصهيونى : دور جوش ايمونيم، بيروت، دار كمبيونشر للدراسات والإعلام والنشر والتوزيع، ١٩٩١.

(٥٥) د. عمران أبو صبيح (إعداد)، دليل المستوطنات الإسرائيلية فى الأرض العربية المحتلة، عمان-الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٣.

(٥٦) عبد الرحمن أبو عرفه، الاستيطان : التطبيق العملى للصهيونية، عمان-الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٦.

(٥٧) أليشع إنعبرات (البروفيسور)، الاستيطان الصهيونى : جغرافياً وسياسياً، عمان-الأردن، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩١.

(٥٨) ديفيد بن جوريون، إسرائيل : سنوات التحدى نيويورك، هولت ورينهات ونستون، ١٩٦٣.

(٥٩) إبراهيم العابد، العنف والسلام : دارسة فى الاستراتيچية الصهيونية، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، سلسلة دارسات فلسطينية، رقم (١٠)، مارس ١٩٦٧.

(٦٠) العسكرية الصهيونية، (جـ٢)، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيچية بالأهرام، ١٩٧٤.

(٦١) د. أسعد مرزوق، فى المجتمع الاسرائيلى، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١.

(٦٢) صلاح أحمد زكى، نظرية الأمن الإسرائيلى، بيروت، دار الوسام - دار ابن زيدون، ١٩٨٦.

(٦٣) ثيودور هرتسل، الدولة الصهيونية، القاهرة،دار الزهراء للنشر، ١٩٩٤.

(٦٤) إيلان هاليش، إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة، ترجمة منى عبد الله، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥.

(٦٥) جولد روز، إسرائيل : الدولة الخاطفة - كلب الحراسة الأمريكى فى الشرق الأوسط، بيروت، دار الحمراء. ١٩٩٠.

(٦٦) بييد ديميرون، ديميرون ضد إسرائيل، ترجمة شفيق محمد شفيق، القاهرة، مركز الدراسات للشرق الأوسط، ١٩٦٨.

(٦٧) د. عبد المنعم الحفنى، عالم بلا يهود (دراسة فى المشكلة الصهيونية فى كتابات ماركس وسارتر وتشمبرلين وسيجمون فرويد ومارتن بوبر ويل ديورانت وآخرين)، القاهرة، دار الرشيد، ١٩٩٢.

(٦٨) رجاء جارودى، الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية، ترجمة قسم الترجمة، القاهرة، دار الغد العربى، ١٩٦٦.

١- دوريات : (مصرية وعربية وعبرية وأجنبية) :

(Le Monde Deplomatique)

جريدة «الفيجارو» الباريسية (Le Figero).

جريدة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية.

جريدة «عـال همشـمـار» الإسرائيلية.

جريدة «جيروزاليم بوست» الإسرائيلية (Jerusalem Post).

جريدة «هآرتس» الإسرائيلية.

جريدة «معاريف» الإسرائيلية.

٢- مجلات: (مصرية وعربية وعبرية وأجنبية)

مجلة «المجلة» السعودية.

مجلة «جيروزاليم ريبورتر»، (Jerusalem Reporter) الإسرائيلية.

مجلة «حداشوت» الإسرائيلية.

مجلة «نيكوداه» (النقطة)، (Nekuda) الإسرائيلية.

مجلة «چويش كرونيكل»، (Jewish Chronicle).

مجلة «نيويورك تايمز»، (New York Times).

مجلة «كوتيريت» (Koteret) الإسرائيلية.

مجلة «آرتسى» (Artzi) الإسرائيلية.

مجلة «هعولام هزيه» الإسرائيلية.

للمؤلف

- **٤٨ ساعة هزت مصر.**

(يوميات شاهد لحركة موقع من مواقع الأحداث فى انتفاضة الشعب المصرى يومى ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧) .

دار فلسطين الثورة - بيروت - ١٩٧٨ (نفذ).

- **النفط العربى والاستراتيجية الأمريكية.**

دار المصير الديمقراطى - بيروت - ١٩٨١ (نفذ).

- الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية عام ٢٠٠٠

دار سينا للنشر - القاهرة - ١٩٩٤

- **اتفاق غزة - أريحا**

(الملامح والنتائج السياسية والاقتصادية) .

(بالاشتراك مع الأستاذة نادية رفعت)

القاهرة - ١٩٩٥.

- مقالات ودراسات سياسية وأستراتيجية فى صحف ومجلات مصرية وعربية.

تحت الطبع

- السلم المسلح .

(توجهات العسكرية الإسرائيلية فى ظل التسوية) .

- تشريح الأصولية (فى مصر والعالم العربى) .
- التاريخ السرى للقنبلة النووية الإسرائيلية .

المحتويات

هذا الكتاب

فجرت وقائع حفر الإسرائيليين لنفق يمر تحت المسجد الأقصى غضبة الشعب الفلسطيني مجدداً على الاحتلال وقواه الباطشة، وعلى حكومة الليكود المتحالفة مع اليمين الديني الأصولي المتطرف، برئاسة "بنيامين نتنياهو"، الذي يقود الوضع في المنطقة إلى نفق مظلم يهدد بالانفجار.

وهذا الكتاب: **(حاخامات وجنرالات : الدين والدولة فى إسرائيل)** الذي يعرض رؤية بانورامية واسعة المدى لتحالف قوى اليمين السياسي والأصولية الدينية في إسرائيل وتنظيماتهما وأفكارهما، وبرامجهما الاستراتيجية، وخططهما المنظمة التي تستهدف تكريس واقع الاحتلال والاستغلال الصهيوني لبلادنا يجيء في وقته، لكي يلقي أضواء ساطعة على واقع الخطر الماثل الذي يحدق بأوطاننا، ولكي يدعو الجميع إلى الانتباه والحذر، والاستعداد للمواجهة التي ستحدد مستقبل أوطاننا ومصير شعبنا.

من أبرز موضوعات الكتاب

خريطة القوى والأحزاب (الأرثوذكسية) الدينية والأصولية في إسرائيل. الحركة الصهيونية : رؤية برجماتية للدين. المرجعية الأيديولوجية للأصولية اليهودية المعاصرة. اليهودة اللوبافتش. مائير كاهانا : الفاشية تتقدم. جوش إيمونيم. بناء الهيكل الثالث: نحو حرب أصولية مقدسة. تخوم الحرب الأهلية. ثقافة من أجل القتل. يهود ضد الصهيونية . الأصولية اليهودية صناعة أمريكية. مائة عام على كتاب أنشأ دولة. الجماعات الإرهابية والأصولية الإسرائيلية : رصد عام. كما يحتوي الكتاب على ملاحق عامة تكمل ملامح صورة اليمين السياسي والأصولية الدينية في إسرائيل.

قرش صنيه
10

يطلب من مكتبة شرقيات

١ شارع أبو بكر خيرت - الشريفين - باب اللوق